

القسم الثاني

البواعث والمخططات



البَابُ الْأَوَّلُ

الحفظ

- تحقيق التلقى الشفوي والسماعي
- المحافظة على القراءات المتواترة والمشهورة
- المنع من القراءة بالروايات الشواذ



الفصل الأول

تحقيق التلقى الشفوي والسماعي

١

المعتمد عند المسلمين أن يكون تلقى العلم الثقلي بعامة والقرآن بخاصة من الأفواه .
وهذا قديم :

قابن مسعود أحد كبار الصحابة وأعلام رواة القرآن ومجويده وتحقيقه وترتيبه يقول :
حفظت من في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بضعا وسبعين سورة (١).
وعن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبي (٢) : « إن الله
أمرني أن أقرأ عليك القرآن » . قال : آله سَمَانِي لك ؟ قال : « نعم » . . . إلى آخر الرواية (٣)
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول عن أبي هذا : أقرأ أمي أبي (٤) .
وليس بعيداً أن يكون سبب هذه الأفضلية أن النبي نفسه هو الذي علّمه القراءة .

• • •

وأصبحت قاعدة متبعة - بالنسبة لطالب القرآن - أن يتلقاه من أفواه المشايخ الضابطيين
المتقنين ، وأن لا يعتدّ أبداً بالأخذ من المصاحف المكتوبة بدون معلم ، لما قد يقع في ذلك من
تصحيف يتغير به وجه الكلام . وهم يقولون : لا تأخذوا القرآن من مصحفٍ ، ولا العلم من
صَحْفِي (٥).

(١) انظر : ابن الجزري : غاية النهاية - ص ٤٥٨ و ٤٥٩

(٢) يعني : الصحابي « أبي بن كعب » ، وهو من أشهر من حفظوا القرآن على عهد النبي (ص) ، وكان رأساً في العلم
والعمل (الذهبي : سير أعلام النبلاء - ص ٢٨٠ - ٢٨٨) .

(٣) مسلم : الجامع الصحيح - ص ٨٥

وانظر : الذهبي : المرجع السابق ص ٢٨١ .

(٤) الذهبي : المرجع السابق

(٥) انظر : العسكري : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحرif ص ١٠

ومن أشهر ما يُروى في هذا :

أن حمزة الزيات أحد أئمة القراءة السبعة كان يتعلم القرآن من المصحف ، فتلا ، وأبوه يسمع : « ألم ذلك الكتاب لا زيت فيه » بدلا من « لا رَيْبَ فِيهِ » (١) ، فقال له أبوه : دع المصحف ، وتلقن من أفواه الرجال (٢) .

وحكى عن آخر (٣) أنه قرأ - من مصحفٍ - الصَّادَ ضادا في قوله تعالى : « صَ ، وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ » (٤) .

وروى أن حماد بن الزبير كان حفظ القرآن من مصحف ، ولم يقرأه على أحد ، فصَحَّفَ أَلْفاظاً في القرآن ، منها :

(بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ » (٥) ، قرأها : (في غرة) .
ومنها : « لِكُلِّ أَمْرٍ مَّهِمٍّ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ » (٦) ، قرأها : (يعينه) .

وروى أن عثمان بن أبي شيبة (٧) قرأ :

« فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ » (فضل) بدلا من : « فَطَلَّ » (٨) .

وأنه قرأ : « مِنْ (الخوارج) مُكَلِّبِينَ » مصحفةً من : « الجَوَارِح » (٩)

وقرأ : « وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ (حجازين) » يريد قوله : « جَبَارِينَ » (١٠)

وأنه أملى : خذوا سورة المدبر ، قالها بالباء .

(١) سورة البقرة / ٢ .

(٢) المسكوى : المرجع السابق ص ١٢ و ١٣ . (٣) نفس المرجع ص ١٣ .

(٤) سورة ص / ١ ، والصاد في المصحف العثماني مهملة .

(٥) سورة ص / ٢ . (٦) سورة عبس / ٣٧ .

(٧) هو أحد شيوخ البخاري ، وتوفى سنة ٢٣٩ هـ . وحكى أنه كان مزاحاً فيما يتصحف من القرآن (انظر الذهبي :

تذكرة الحفاظ ٢ ص ٣٠) .

ولكن ابن كثير (٧٠١ - ٧٧٤ هـ) يقول :

« وما ينقله كثير من الناس عن عثمان بن أبي شيبة ، أنه كان يصحف قراءة القرآن : فغريب جداً ، لأن له كتاباً في الضمير ، وقد نُقِلَ عنه أشياء لا تصدر عن صيان المكاتب ا ، (انظر : أحمد محمد شاكر : الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص ١٩٢ - ط . صبيح)

(٨) سورة البقرة / ٢٦٥ . (٩) سورة المائدة / ٤ . (١٠) سورة الشعراء / ١٣٠ .

وقرأ : « فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَحِيَبَ » ، فقال : أنا وأخي أبو بكر لا نقرأ لعاصم !
 وأنه قرأ : « فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ (سَنَوْر) كَهُ بَابٌ » ، فقيل له : إنما هو « بَسُوْر كَهُ بَابٌ » (١) ،
 فقال : أنا لا أقرأ قراءة حمزة ، قراءة حمزة عندنا بدعة (٢) .

وَرَوَى الدار قطنى - فى التصحيح - عن عثمان بن أبى شيبة أيضاً ، أنه قرأ على أصحابه
 فى التفسير : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ » (٣) ، يعنى قالها كأول البقرة (٤) .

وَرَوَى محمد بن جرير الطبرى أن محمد بن جميل الرازى قرأ : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُجْرِحُوكَ » (٥) .

وَرَوَى الدار قطنى أن أبى بكر الباغندى أملى فى حديث ذكره : « وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ
 يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا » بضم الهاء وياء بدلا من « هَوْنًا » (٦) .

وَرَوَى أن شيخا ظل يقرأ فى مصحفه أربعين سنة : « وَلِلَّهِ (مِيزَاب) السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ »
 حتى لُقِّبَ شفاها « مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » (٧) ، فاستغفر الله ، وصحَّح قراءته (٨) .

وروى أن رجلا اسمه مُشكدانه كان فى حوالى سنة ٢٣٦ هـ ، وكان يقرأ : « ويعوق
 (وبشرا) » ، فقيل له : « وَتَسْرًا » (٩) . فقال : هى متقوطة بثلاثة من فوق (١٠)
 وقد قال فيه أحد معاصريه متهكما : ذاك الذى يصحِّف على جبريل ! (١١)

وقيل إن رجلا قرأ : « والغاديات صباحا » بالعين المعجمة والصَّاد المهملة بدلا من

(١) سورة يوسف / ٧٠ . (٢) سورة الحديد / ١٣ .

(٣) انظر : ابن الجوزى : أخبار الحمقى والمغفلين - الباب العاشر : فى ذكر المغفلين من القراء والمصحفين ص ٥١ -
 ٥٧ والمسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيح والتحريف ص ١١ - ١٣ .

(٤) سورة الفيل / ١ . (٥) السيطى : المزهر ص ٢٣٠ .

(٦) سورة الأتقال / ٣٠ ، وانظر ابن الجوزى : المرجع السابق .

(٧) سورة القرقان / ٦٣ ، وانظر ابن الجوزى : المرجع السابق .

(٨) سورة آل عمران / ١٨٠ ، سورة الحديد / ١٠ .

(٩) ابن الجوزى : المرجع السابق . (١٠) سورة نوح / ٢٣ .

(١١) ابن الجوزى : المرجع السابق . (١٢) انظر : المسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيح والتحريف ص ١١

«وَالْعَدِيَّتِ صَبِيحًا» (١) ، فامتحنوه بالقراءة في المصحف ، فصحّف حيث قرأ :

« وَمِمَّا (يفرسون) » بدلا من « يَعْرُشُونَ » (٢) .

و « وَعَدَهَا » (أباه) « بدلا من « آيَاهُ » (٣) .

و « أَصْبَتْ بِهِ مِنْ أَسَاءٍ » بدلا من « أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءٍ » (٤) .

و « فَبَادُوا » وَ«لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ » بدلا من « فَنَادُوا » (٥) .

و « فَأَنَا أَوَّلُ (العائدين) » بدلا من « الْعَبِيدِينَ » (٦) .

و « كُلُّ (خباز) بدلا من « جَبَّارٍ » (٧) .

وقالوا إن رجلاً قرأ : « إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ (شيخنا) طَوِيلًا » بدلا من « سَبْحًا » (٨) .

وعن الكسائي ، قال : كان الذي دعاني أن قرأت بالرّي ، أتى مررت بمعلم صبيان يقرأ : « ذَوَاتِي أَكُلُّ خَمَطٍ (وأتل بالناء) » (٩) بدلا من « أَتْلٍ » ، فتجاوزته ، فإذا معلم آخر قد ذكرت له ذلك ، فقال : أخطأ ! الصواب : « وإبل » ! فدعاني أتى أقرأت الصبيان (١٠) .

وسمع أعرابي إماما يقرأ : « وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا » (١١) بنصب التاء ، فقال : سبحان الله ! هذا قبل الإسلام قبيح ، فكيف بعده ؟ فقيل له : إنه لحن ، وإنما القراءة : « وَلَا تُنْكِحُوا . . . » فقال : قبحه الله : لا يجعلوه بعدها إماما ، فإنه يُحِلُّ ما حَرَّمَ الله (١٢) .

• • •

وهذه الأخبار التي تنافي جلال القرآن ، والتي نشك علمياً في صحة أغلبها ، ونعتقد أنها مجرد نبادر موضوعة تقصد إلى الفكاهة ووسم من رُويت عنهم بالحُمق والغفلة . . . هذه الأخبار التي سقناها كارهين ، جدبيرة أن تنبه طالب القرآن إلى وجوب التزام التلقي الصوتي من قراء ضابطين محققين ، وجدبيرة أن تكون من أسباب تحوُّفنا من التصحيف في كتابنا الأكبر .

(١) سورة العاديات / ١ . (٢) سورة النحل / ٦٨ . (٣) سورة التوبة / ١١٤ .

(٤) سورة الأعراف / ١٥٦ . (٥) سورة ص / ٣ . (٦) سورة الزخرف / ٨١ .

(٧) سورة هود / ٥٩ ، وسورة إبراهيم / ١٥ ، وانظر : ابن الجوزي : المرجع السابق .

(٨) سورة الزمّل / ٧ ، وانظر : ابن الجوزي : المرجع السابق .

(٩) صحة اللفظ « أَتْلٍ » بالناء ، سورة ساء / ١٦ .

(١٠) ابن الجوزي : المرجع السابق ، الباب الثاني والعشرون ص ١٠٧ .

(١١) سورة البقرة / ٢٢١ ، والناء مضمومة .

(١٢) البلوي : ألف با ح ١ ص ٤٣ .

وفي بعض الأخبار . أن التصحيف قد يقع ، حتى من بعض الكبار ، فيبادرون - فور التثبّت - من التصحيح :

في ترجمة أبي بكر الأنباري النحوي اللغوي صاحب الاسم الجهير ، حكى الدار قطني أنه حضره في إملاء ، فصحّف اسماً في إسناد .

قال الدار قطني : « فأعظمت أن يُحمل عن مثله - في فضله وجلالته -- وهم ، وهبته أن أوقفه عليه . فلماً فرغ ، تقدّمتُ إليه ، وذكرتُ له ذلك ، وانصرفتُ ، ثم حضرتُ المجلس الآتي ، فقال للمستملّي : عرّف الجماعة أنا صحفنا الاسم الفلاني لما أملينا كذا في المجلس الماضي ، وبهنا ذلك الشاب على الصواب ، وهو كذا . . . وعرّف ذلك الشاب أننا رجعنا إلى الأصل ، فوجدناه كما قال « (١) .

* * *

ولخوف المسلمين من التصحيف ، أفردوا له علماً خاصاً صنف فيه بعض علمائهم . قال عبد الرحمن البطامي : « أول من تكلم في التصحيف الإمام علي - كرم الله وجهه - ومن كلامه في ذلك : خراب البصرة بالريح (بالراء والحاء المهملتين بينهما آخر الحروف) . قال الحافظ الذهبي : ما عُلِمَ تصحيف هذه الكلمة إلا بعد المائتين من الهجرة ، يعني : خراب البصرة بالزنج (بالزاي والنون والجيم) « (٢) .

ومن المؤلفات الإسلامية التي تحارب التصحيف : كتاب أبي أحمد الحسن بن عبد الله ابن سعيد العسكري المتوفى سنة ٥٣٨٢ هـ ، وهو كتاب في مائة باب أو ما يقاربها (٣) وفي مقدمته يقول مؤلفه : « هذا كتاب شرحتُ فيه الأسماء والألفاظ المشكّلة التي تشابه في صورة الخطّ ، فيقع فيها التصحيف . . الخ . . »

ومن أقوالهم : « من أعظم البليّة تشييع الصحيفة » ، أي أن يتعلم الناس من الصّحف (٤) . وكان الشافعي يقول : من تفقّه من بطون الكتب ضيّع الأحكام (٥) .

(١) السيوبي : بغية الوعاة ١ ص ٢١٢

(٢) انظر : طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ج ١ ص ٢٧٧ وصديق خالد : أبعاد العلوم - ٣٨٣ .

(٣) انظر المخطوطة رقم ٢ ش - مصطلح الحديث ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة . وقد طبع هذا الكتاب أخيراً ، بعنوان : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف بتحقيق عبد العزيز أحمد . وقد نقلنا أنفاً عن النسخة المطبوعة بعض ما روى عن المصحّفين

(٤) انظر : ابن جماعة : تذكرة السامع ص ٨٧ (٥) انظر : نفس المرجع .

وقريب من هذا أنهم كانوا يذمُّون الاكتفاء في تقييد العلم بالكتابة من دون الحفظ :
 عن سفيان الثوري ، قال : بشس المستودع العلم القراطيس . قال الخطيب البغدادي :
 « وكان سفيان يكتب . أفلا ترى إنَّ سفيان ذمَّ الأتكال على الكتاب وأمر بالحفظ ، وكان مع
 ذلك يكتب احتياطاً واستيثاقاً » ؟ (١)

وسمع يونس بن حبيب رجلاً ينشد :

استودع العلم قرطاساً فضيعة وبشس مستودعُ العلم القراطيس (٢)

وهم يعرفون « التصحيف » بأنه الخطأ في الصحيفة (٣) .
 ويسمَّون من يأخذ العلم عن الصُّحف فحسب : مصحِّفاً ، أي يروى الخطأ عن قراءة
 الصحف بأشباه الحروف موئدة (٤) .
 ويقولون : هو لحانة مصحَّف (٥) ، ويقولون : تصحَّفت عليه (٦) . ويسمَّون من يخطئ
 في قراءة الصحيفة : الصحفي (٧) .
 ويقول المعري : أصل التصحيف أن يأخذ الرجل اللفظَ من قراءته في صحيفة ، ولم
 يكن سمعه من الرجال ، فيغيِّره عن الصواب (٨)

• • •

وللمسلمين في التلقِّي الشفويِّ مناهج دقيقة ، وكأنما كانوا يعدُّون أفواه الرجال أهمَّ
 مستودعات العلم الحقيقية ، ويروُّن أن الثقل من الأفواه هو النقل السليم الذي يظهر كلَّ
 زيف يعتريه ، فقد كان يحيى بن معاذ يقول : أفواه الرجال حوائنها ، وأسنانها صنائعها ،
 فإذا فتح الرجل باب حانوته تبيَّن العطار من البيطار والتَّمار من الزَّمار (٩) . . .
 ومن أفضل المناقب التي عدَّدها أحد الشعراء ، وهو الحسن بن هاني ، لأحد علماء
 اللغة ، وهو خلف الأحمر ، أنه :

(١) انظر : الخطيب البغدادي : كتاب تقييد العلم ص ٥٨ .

(٢) انظر : ابن عبد البر : جامع بيان العلم ص ١٠ ص ٦٩ .

(٣) الفيروز ابادي : القاموس المحيط . (٤) المعكزي : المرجع السابق ص ١٢٣ .

(٥) انظر : الشَّرتوي : أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد .

(٦) الفيروز ابادي : القاموس المحيط . (٧) أحمد رعد : معجم من اللغة .

(٨) نقلاً عن السيوطي : المزهرة في علوم اللغة وأنواعها ص ٢٢٢ .

(٩) الزركشي : البرهان ص ٢٠ ص ١٥٣ .

لا يَمُّ الحاءُ في القراءة بالخاء ء ولا يأخذُ إسنادَهُ عن الصحف^(١)

° ° °

لذلك لم يكن غريباً أن يكون الاكتفاء بالأخذ من المصحف بدون موقّفٍ أمراً لا يجيزه المسلمون ، ولو كان المصحف مضبوطاً ، بل إنهم يعدّون هذا الاكتفاء منافياً للدين ، لأنه ترك اللواجب ، وارتكاب للمحرّم^(٢) . وهم يذهبون إلى هذا بناء على :

١ - أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، كما هو مقرر في الأصول .
٢ - أن صحة السند عن النبي ، عن روح القدس ، عن الله - عزّ وجلّ - بالصفة المتواترة أمر ضروري للقرآن^(٣) .

ويقول ابن حجر العسقلاني : « اعلم أن كل ما أجمع القراء على اعتباره من مخرج ، ومدّ ، وإدغام ، وإخفاء ، وإظهار ، وغيرها ، وجب تعلمه وحرم مخالفته » .

ويقول السبّوطي : « ولا شك أن الأمة - كما هم متعبّدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده - هم متعبّدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصّفة المتلقّاة من أئمة القراء المتّصلة بالحضرة النبوية » . ولعلّ قوله : « على الصّفة المتلقّاة . . إلخ » أن يكون صريحاً - فيما يرى علماء القرآن - من أنه لا يكفي الأخذ من المصحف بدون تلقّ من أفواه المشايخ المتّقين^(٤) . وابن الجزري - في تعريفه للمقرئ - يقول إنه « العالم بالقراءات رواها مشافهة ، فلو حفظ (التيسير) مثلاً ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه (من شُوفه به) مسلسلاً ، لأن في القراءات أشياء لا تُحكّم إلا بالسّماع والمشافهة^(٥) » .
وقريب جداً من ذلك تعريف الدمياطي البنا للمقرئ^(٦) .

والثابت في السّنة الصحيحة أن النبي نفسه - صلى الله عليه وسلم - مع كمال فصاحته ومع كونه المصطفي للرسالة - تعلّم القرآن عن جبريل ، وخاصّة في السّنة التي انتقل فيها إلى الرفيق

(١) العسكري : المرجع السابق ص ١٨

(٢) انظر : على الضّباع : بحث في « التجويد » ، بمجلة كنوز الفرقان ، ع . مايو ويونيه ١٩٥٠ ص ١٣

(٣) نفس البحث

(٤) نقلاً عن نفس البحث

(٥) الإبتقان ١ - ص ١٠٠

(٦) على الضّباع : البحث السابق

(٧) منجد المقرئين ص ٣

(٨) انظر : الدمياطي البنا : إنحاف فضلاء البشر ص ٥

الأعلى : كان جبريل يعارضه - أى يدارسه - بالقرآن ، فى كل سنة مرة ، ثم عارضه عام وفاته مرتين . والعرض على جبريل - فيما يقرر الأئمة - معناه : العرض بتجويد اللفظ ، وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها ، ليكون سنة فى الأمة (١) .
والقرآن مطلوب القراءة جهراً ، والصلوات الخمس لا يُحَاقَّتُ فيها بالقراءة إلا فى الظُّهر والعصر (٢) .

ومنذ عهد النبي (ص) ، وتلقينُ القرآن شفاهاً هو السائد ، وقد أسلفنا أنه كان يبعث إلى من كان بعيد الدار من الصحابة من يعلمهم ويقرئهم :
بعث - مثلاً - مصعب بن عمير وابن أم مكتوم إلى أهل المدينة ، قبل هجرته ، يعلمانهم الإسلام ويقرئانهم القرآن (٣)

ولما فتح النبي مكة خلف على أهلها معاذ بن جبل يُقرئهم القرآن ويفقههم (٤) .
وكان عبادة بن الصامت يعلم أهل الصُّفَّة القرآن . ولما فتح الشام أرسله عمر بن الخطاب ومعاذ ، وأبا الدرداء ، ليعلموا الناس القرآن هناك (٥) .

ولما أرسل عثمان مصاحفه الأئمة الخمسة إلى الأمصار لم يكتب بها ، وإنما أرسل ، مع كل مصحف ، عالماً لإقراء الناس بما يحتمله رُحمه . فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدينة ، وبعث عبد الله بن السائب إلى مكة ، والمغيرة بن شهاب إلى الشام ، وعامر بن عبد قيس إلى البصرة ، وأبا عبد الرحمن السلمى إلى الكوفة (٦) .

وكأنى بعثمان إذ يبعث - مع المصاحف المكتوبة - علماء يقرءون ويُقرئون ، ولا يعتبر هذه المصاحف قُصارى ما يتوسل به إلى نشر القرآن ، كأنى به كان يتلمس فكرة كفكرة « المصحف المرتل » التى لم يكن العلم أيامها يسمح بها أو بالتفكير فيها .

(١) على الضباع : البحث السابق

(٢) انظر مثلاً : الشافعى : الرسالة ص ١٧٧

(٣) انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى - ١٤ ص ٢٠٦ (ط . بيروت)

(٤) انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء - ١ ص ٣٢١

(٥) انظر : النوى : تهذيب الأسماء واللغات - القسم الأول ص ٢٥٧

(٦) نقله الجعبرى عن أبى على ، وانظر : حفى ناصف : تاريخ رسم المصحف - مقدمة كتاب فى قواعد رسم

المصحف - نشرت بالمتنطف : ٤ ، أول يوليو ١٩٣٣ - (٨ ربيع الأول ١٣٥٢) ، الجزء الثانى من المجلد ٨٣ ص ٢٠٣ -

على أن يفاد هؤلاء المبعوثين لم يمنع الإدعاء بأن المصاحف المكتوبة الأئمة - لخلوها من النقط والشكل - كانت تدعو القارئ - فما بعد - أن يتولى بنفسه نقط النص القرآني وضبطه بالشكل ، على مقتضى ما يفهمه هو من معاني الآيات ، وضربوا لذلك مثلاً كلمة « يعلمه » فقد كان الواحد - بزعمهم - يقرؤها : « يعلمه » ، والآخر : « نُعَلِّمه » ، والثالث : « تَعَلَّمُهُ » ، والرابع : « يَعَلِّمُهُ » . . الخ^(١) .

ومعنى هذا - في رأى اصحاب هذا الادعاء - أن القراءات هي من عند الناس ، وبحسب تأويلاتهم ، وبحسب ما يختارون من علامات الشكل فضلاً عما يختارون من حروف^(٢) ، وهي دعوى باهظة سترد عليها في فصل تال إن شاء الله ، ولكنها - وليس في قولنا غلّو ولا إغراق - ما إن تتكرر هي أو مثلها بعد تسجيل المصاحف المرتلة ، ويدهى أنها ما كانت لتظهر لو أن مصاحف الجمع الصوق سبقها ظهوراً .

٢

وواضح أن من أحكام القراءة مالا يمكن إحكامه أبداً إلا بالتلقى الشفهي ، فالفتحيم ، والترقيق ، والمد ، والقصر ، والإدغام ، والإظهار ، والإخفاء ، والرّوم ، والإشمام ، والإبدال ، والنقل ، والإقلاب ، والحذف ، والإثبات ، والإلحاق ، والإمالة ، والفتح وما بينهما ، وتخفيف الهزرة وما إلى ذلك . كل هذا لا يكفى المصحف المكتوب لتعليمه .

وكذلك إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ، ورد كل منها إلى مخرجه وأصله ، والنطق به على كمال هيئته ، من غير إسراف ، ولا تعسف ، ولا إفراط ، ولا تكلف . . . تلك كلها لا يحققها المصحف المكتوب إلا أن يوجد الملقن الضابط ، وتلك كلها لا يسهل شرحها المكتوب على طالب القرآن ، بل ربما أدى به عدم السماع إلى التفریط أو الإفراط ، فيولد الحروف من الحركات ، أو يكرر الرءات ، أو يحرك السواكن ، أو يطنّ النونات بالمبالغة في الغنات إلى آخر هذه العيوب .

وقد وضعت كتب غير قليلة لتيسير تعليم التجويد^(٣) ، ولكنها لم تغن أبداً عن التعليم

(١) آرثر جفرى : مقدمة كتاب المصاحف ص ٧

(٢) آرثر جفرى : نفس الكتاب والصحيفة

(٣) بعض هذه الكتب نفيس ، والكثير منها مخطوط ويستحق النشر .

ومن المخطوطات التي اطلعنا عليها في دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة والتي تعلم التجويد :

الشفهى الذى يدلل صعبها ويوضح غموضها . ومن أمثلة ما ورد في هذه الكتب من التعريف بمخارج الحروف السبعة عشر ، وهى أمثلة يدل القليل منها على الكثير :

قولهم عن مخرج الضاد المعجمة : « إنه جزء من حافة اللسان بُعِدَ الوسط ، وقبل مخرج اللام ، مع ما يليه من الأضراس العليا : اليسرى على كثرة ، أو اليمنى على قلة ، أو منهما على عزة » (١) .
وقولهم عن مخرج اللام إنه « أدنى إحدى حافتى اللسان بُعِدَ مخرج الضاد إلى منتهى طرفه ، مع ما يحاذيها من لثة الأسنان العليا » (٢)

وعن مخرج النون والميم الساكنتين حالة الإخفاء أو ما في حكمه من الإدغام والغنة : إنه « الخيشوم » وهو خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم المركب فوق سقف الفم ، ، وليس بالمنخر (٣)

(١) تحفة نجباء العصر في أحكام النون الساكنة والمد والقصر ، لتركيب الأنصارى - مخطوطة رقم ٢١٦ و ٢١٧ و ٣٤ مجاميع .

(ب) تحفة الأنام في الوقف على المزمز لحمزة وهشام - مخطوطة رقم ٩ و ٢١٨ و ٣٣٩ مجاميع .

(ج) شرح عقيلة آداب القصائد للآعلى (مخطوطة رقم ٢٣ و ٢٤٨) .

(د) النصول العشرة في ضوابط القراءة لأبى عمرو البصرى (مخطوطة رقم ٥٧)

(هـ) قرة العين في الفتح والإمالة بين اللفظين لابن القاصح (مخطوطة رقم ٢٦ و ٤٧ و ٣٠٦ مجاميع) .

(و) اللطائف المحضنة في مباحث الغنة ، لإبراهيم الدسوقي الحضرى (مخطوطة رقم ٢٨٢)

(ز) مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين ، لأبى النصر الناصر الطيلارى (مخطوطة رقم ٣٤٥)

ومن المخطوطات التى اطلعنا عليها في نفس الدار ، والتي تعلم أحكام الوقف والابتداء وحدها :

(١) بيان أوقاف الكفر لأبى منصور الماترىدى (مخطوطة رقم ٧ و ٣٥٤ مجاميع) .

(ب) تقييد وقف القراءات لمحمد بن أبى جمعة الهبطى (مخطوطة رقم ٢٤٣)

(ج) التنبيهات على معرفة ما يخفى من الوقوف ، لعبد السلام بن أبى الحسن على بن عمر الداودى (ضمن مجموعة

خطية رقمها ٢١٠٣ في علم التصير) .

(د) مسعف المقرئين وعين المشتغلين بمعرفة الوقف والابتداء وعد الآمى ، ل محمد المقرئ الشهير بالقادى (مخطوطة

رقم ١٥٧) .

(هـ) المكتنى في الوقف والابتداء لأبى عمرو الدانى (مخطوطة رقم ٢١٥) .

وقد ذكر ابن النديم أسماء كتب كانت - على عهد - في الوقف والابتداء في القرآن ، لكل من : حمزة ، والفراء ، وخلف ، وابن سعدان ، وضرار بن صرد ، وأبى عمّر الدورى ، وهشام بن عبد الله ، وأبى عبد الرحمن اليزيدى ، وابن الأنبارى ، وابن كيسان ، والجلعدى ، وأبى أيوب سليمان بن يحيى الضبى . (انظر : الفهرست ص ٣٦ - ط . خياط بيروت) .

وذكر ابن النديم عن نوع واحد من أنواع الوقف ، وهو وقف التمام أنه كانت فيه تأليف لأحمد بن عيسى اللؤلؤى ، والأخفش سعيد ، ونصر ، ويقوب الحضرى ، ونافع بن عبد الرحمن ، وروح بن عبد المؤمن . (نفس المرجع) .

(١) انظر مثلاً : الحداد : محمد بن على بن خلف الحسينى : فتح المجيد في علم التجويد ص ٥ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع .

فهذه التعاريف - فيما هو ظاهر - ليست سهلة الفهم على كل فرد .

وقد وُجد من المؤلفين في قواعد التجويد من يعلمه بالرسم كوسيلة إيضاح^(١) ، ولكن جهدهم - على ما في بعضه من تقدمية علمية مبكرة - لم يمنع الحاجة إلى التلقين الشفهي المتكرر .

ويستصعب بعض الناس تلك الأحكام الماثورة للقراءة ، فينكرونها ، ويؤزرون بها ، ويحاولون صرف الناس عنها . وقد صور أحدُ الكتب المعاصرة حركات المدّ والغنّ والإشمام بأنها « حركات يهلوانية غير مفهومة وغير معلومة ، بل غير لازمة كحركات القروء والمهرجين »^(٢) .

وينتقد هذا الكتابُ السكتَ على بعض الكلمات ، فيقول « إن هذه السكتات لا معنى لها إطلاقاً ، ولعل أصلها أن أحد القراء القدماء تنفسَ بين الكلمتين ، أو ابتلع ريقه ، أو عاقه عن متابعة القراءة عائق ، فقلدوه في ذلك بغير علم ولا فهم » .
ويصف الكتابُ التجويدَ - في بعض أحكامه - بأنه « باطلٌ مردودٌ ، وسمح مردولٌ مجوج »^(٣) .

وأظن أن لو كانت تلك الأحكام ميسرة التّعلم دقيقة التّماذج الصوتية ، كما حدث - فيما بعد - حين سُجّلت المصاحف المرتلة ، لسهل على الكافة الأخذ بها ، ولما نُسب إليها ما نُسب .

(١) انظر على سبيل المثال :

رسالة في تجويد القراءات لم يعلم مؤلفها ، فيها رسم اللسان ومخارج الحروف - مخطوطة رقم ١٣٣٣ تيمورية بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

وصورة القم واللسان وباقى القم من الأسنان ، مع بيان مخارج الحروف - مخطوطة رقم ٦٠٦ تيمورية بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

وعزت عبيد الدعاس : فن التجويد ص ٥٧ .

(٢) كتاب الفرقان ، لمؤلفه محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب ص ١٣٤ - نقلاً عن حكم مجلس الدولة في القضية رقم ٦٨٥ سنة ٢ القضائية - ١١ مايو سنة ١٩٥٠ المقامة من هذا المؤلف ضد ريادة مجلس الوزراء ووزارة العدل ووزارة الأوقاف والأزهر الشريف - مجموعة أحكام الدولة المجلد ٥ ص ٢٧٥ - ٣٠٥ (ط . لجنة نشر الميثاق القانونية) .
ونذكر أن كتاب « الفرقان » محكوم بمصادره في مصر ، ولكننا اطلعنا عليه عرضاً في مكتبة وايدر نجاممة هاروارد بالولايات المتحدة الأمريكية .

(٣) نفس الكتاب .

(٤) ص ١٣٥

والوقف والابتداء اللذان لا يتأتى - غالباً - لأحد معرفة معانى القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفةهما ، واللذان يحلان بالفهم ، إذا كانا في غير مكانهما ، بل إن منهما القبيح (١) الذى يكفر فاعله لو تعمده (٢) . . هذان الموضوعان لا يعلمهما - فيما هو واضح - مثل التلقين الشفهى من المعلم المحسن .

٣

والمصاحف المكتوبة لها - لحسن الحظ - أصول أئمة ثابتة ، يسهل على كل من يستطيع القراءة مراجعتها والمطابقة عليها ، ولذلك قلّ ، إن لم يكن انعدم ، التغيير - بأى شكل - فى كتابة القرآن ، على مدى الزمن ، وأمكن - فى غير صعوبة - درء أى خطأ أو ابتداع كتابى يظهر . أما الابتداع الصوتى ، فقد يصعب على الكثيرين - ولو كانوا على حظّ من المعرفة - أن يستكشفوه . ومصدق ذلك أنه لم يتمكن حتى أعداء القرآن من النجاح فى أى ابتداع يمسّ حرفاً واحداً فى نصوص القرآن المكتوبة والمجمع عليها ، بينما وقع - فى القراءة - حتى من بعض المسلمين ، من جراء الجهل أو التساهل ، ابتداع ما ليس فى قوانين الأداء القرآنى . وفوق أن الخطأ فى الأداء الصوتى أكثر ، فإنّ المجادلة فيه أيسر .

٤

وكان من أدعى الأمور إلى تفكيرى فى جمع القرآن صوتياً أن من العلماء من لم يقولوا بتواتر طرق القراءات . ومنهم من يخرج من التواتر المدّ والتسهيل وما شابههما ، مما يرون أنه لم يوقف على كفيته بالسمع :

(١) من أمثلة الوقف القبيح : الوقف على ما يتعلق به ما بعده لفظاً ومعنى ، ولم يُبَيَّنْ ، أو أفاد معنى غير مقصود ، كالوقف على لفظ (بسم) من (بسم الله) و(الحمد) من (الحمد لله) . وكالوقف على (لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ) .
 (انظر : الحداد : محمد بن على بن خلف الحسينى : فتح المجد فى علم التجويد ص ١٥) .
 (٢) من الأمثلة : الوقف على «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا ، ثم الابتداء عمداً بـ «إِنَّ اللَّهَ قَبِيرٌ» ، والوقف عمداً أيضاً على نحو : «ما من إله» .
 (انظر : أبو منصور الماترىدى : بيان أوقاف الكفر - الورقتان ٢٤ و ٢٥ - المخطوطة رقم ٧ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة) .

(١) يقول ابن الحاجب^(١) في كتابه « مختصر الأصول » : « القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبَل الأداء ، كالمَدِّ ، والإمالة وتخفيف الهمزة ، ونحوه ، أى فإنه غير متواتر^(٢) .
(ب) وورد في « لطائف الإشارات » للقُسطلاني :

« إن هذه الهيئات غير متواترة ، عند ابن الحاجب وأبي حنيفة ، كما صرح به آخرون من غير أئمة التحقيق^(٣) »

(ج) وقيل إن أحمد بن حنبل قال عن قراءة حمزة : « لا تعجبنى لما فيها من طول المدِّ وغيره » ، فإن صحَّت هذه الرواية فإنها تعنى أن أحمد بن حنبل لم يكن يرى المدَّ متواتراً^(٤) .
(د) ويرى ابن خلدون ذلك الرأى أيضاً ، حيث يقول في مقدمته ، في فصل (بحث علوم القرآن) : « وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها . . وقد خالف بعضُ الناس في تواتر طرقها ، لأنَّها - عندهم - كصفات للأداء ، وهو غير منضبط ، وليس ذلك بقادح في تواتر القرآن ، وأباه الأكثر ، وقالوا بتواترها . وقال آخرون بتواتر غير الأداء منها ، كالمَدِّ ، والتسهيل ، لعدم الوقوف على كلفه بالسمع ، وهو الصحيح^(٥) .

(هـ) ويقول الكاتب المعاصر مصطفى صادق الرافعي إن عدم تواتر ما هو من قبيل المدِّ والإمالة ونحوها هو « الوجه المتقبَّل^(٦) » .

وقد رد العلماء منذ قديم على هذا الرأى :

١ - روى الطبراني وغيره عن مسعود بن زيد الكندي ، قال : كان عبد الله بن مسعود يقرئ رجلاً ، فقرأ الآية : « إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا^(٧) » مرسله - أى من غير مدِّ - فقال ابن مسعود : ما هكذا أقرأها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فقال : كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن ؟

(١) من علماء الأصول ، ولد في إسنا من الصعيد سنة ٥٧٠ هـ ، وتوفى بالإسكندرية سنة ٦٤٦ هـ ، وانظر : السيوطي : بغية الوعاة ص ٣٢٣ .

(٢) انظر : القاسمي : محاسن التأويل ج ١ ص ٣٠٦ .

(٣) المخطوطة رقم ٦٠٦ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة - الورقتان ١٤ و ١٥ .

(٤) الزركشي : البرهان ج ١ ص ٣١٩ و ٣٢٠ .

(٥) مقدمة ابن خلدون (بتحقيق على عبد الواحد واقي) ج ٣ ص ٩٩٤ .

(٦) إعجاز القرآن ص ٥٨ .

(٧) سورة التوبة / ٦٠ .

قال : أقرانها : « إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ » فمد « الْفُقَرَاءِ » ^(١) .
 ومما وُصفتُ به قراءة النبي (ص) أنها كانت ترتيلاً لا هدأً ولا عجلةً ، بل قراءة مفسرة
 حرفاً حرفاً ، وكان يقطع قراءته آيةً آيةً ، وكان يمدُّ عند حروف المدِّ ، فيمدُّ « الرَّحْمَنَ »
 ويمدُّ « الرَّحِيمَ » ^(٢) .
 وهكذا ثبت أن النبي صَلَّى الم عليه وسلم لقن الصحابة كيفية المدِّ ، وهؤلاء - طبعاً -
 لقنوها الأمة .

٢ - ويرى الزركشي أن رأى ابن الحاجب ضعيف ، ويقول :

والحق أن المدَّ والإمالة لا شك في تواتر المشترك بينهما ، وهو المدُّ من حيث هو مدُّ ،
 والإمالة من حيث إنها إمالة ، ولكن اختلف القراء في تقدير المدِّ ، فمنهم من رآه طويلاً ، ومنهم
 من رآه قصيراً ، ومنهم من بالغ في القصر ، ومنهم من تزايد :

فحمزة وورش : بمقدار ست ألفات ؛ وقيل : خمس ؛ وقيل : أربع .

وعن عاصم : ثلاث

وعن الكسائي : ألفان ونصف .

وقالون : ألفان .

والسوسي : ألف ونصف ^(٣) .

٣ - وقد ناقش ابن الجزرى دعوى ابن الحاجب مناقشة تفصيلية انتهى منها - في شأن
 تواتر المدِّ - إلى ما خلاصته :

(أ) أن المدَّ الطبيعي - كالألف في (قال) ، والواو من (يقول) ، والياء من (قيل) -

لا يقول مسلم بعدم تواتره ، إذ لا يمكن القراءة بدونه .

(ب) وأن المدَّ العرَّضى ، وهو الذى يعرض زيادة على الطبيعى الموجب إما سكون أو

(١) قال الهيثمى : رواه الطبرانى ، ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٧ ص ٥٥)

(٢) رواه البخارى عن أنس :

وانظر : البغوى القراء ، مصابيح السنة ج ١ ص ١٠٦ .

وابن قيم الجوزية : زاد المعاد ج ١ ص ١٣٤ .

وابن الجزرى : النشر ج ١ ص ٢٠٨ .

وابن كثير الدمشقى : فضائل القرآن ص ١٦٢ و ١٦٣ .

وابن الأثير الجزرى (أبو السعادات) : جامع الأصول من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ج ٣ ص ١٧ و ١٨ .

(٣) انظر : الزركشى : البرهان ج ١ ص ٣١٩ و ٣٢٠ .

همز ، فيلحق بالطبيعي ، ولا يجوز فيه القصر ، وأنه - من حيث هو متواتر - مقطوع به ،
 وقرأ به النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأنزله الله تعالى عليه .

(ح) وأن القدر المشترك من المدّ متواتر ، وما زاد فهو صحيح مستفيض متلقّى بالقبول ،
 إن لم يكن متواتراً (١) .

٤- ويورد ابن الجزرى - في شأن الإمامة والتفخيم - أقوال علماء القرآن ، ويقرّر
 معهم : « أن القرآن نزل بهما جميعاً ، وأن من قال إن الله تعالى لم يُنزل القرآن بالإمالة
 أخطأ ، وأعظم الفرية على الله تعالى ، وظنّ بالصحابة خلاف ما هم عليه من الورع والتقوى » (٢)
 وكذلك يرى « أنّ تخفيف الهمة ونحوه من النقل ، والإدغام ، وترقيق الراءات ، وتفخيم
 اللامات ، متواتر قطعاً ، ومعلوم أنه منزل من الأحرف السبعة ، ومن لغات العرب الذين
 لا يحسنون غيره » (٣) .

وهو يتساءل : « كيف يكون ما أجمع عليه القراء أمماً عن أممٍ غير متواتر ؟ وإذا كان
 المدّ ، وتخفيف الهمة ، والإدغام غير متواتر على الإطلاق فما الذى يكون متواتراً ؟ » (٤) .

٥- ويقول ابن الجزرى ما خلاصته أيضاً : إنه لا يعلم أحداً تقدّم ابن الحاجب إلى
 ذلك ، وإن أئمة الأصول ، كالقاضي أبى بكر ، وغيره ، قد نصّوا على تواتر ذلك كله ،
 وهو الصواب ، لأنه إذا ثبت تواتر اللفظ ثبت تواتر هيئة أدائه ، بل كان هذا من باب أولى ،
 لأن اللفظ لا يقوم إلا به ، أو لا يصحّ إلا بوجوده (٥) .

٦- وهندية « اللمامية » تنفى أن يكون نقل القراء لطرق الأداء أقلّ من نقل ناقلى العربية ،
 والأشعار ، والأقوال ؛ ثم يقول : « فكيف يطعن فيما نقله القراء الثقات بأنه لم يجيئ مثله ؟
 ولو نقل ناقلون عن مجهول الحال لقبولوه ، فقبول هذا أولى » (٦) .

٧- ويوسف الدجوى يقول - في هذا الشأن - إنه جاء عن الذين جمعوا القرآن « أنهم كانوا
 يرسلون إلى الرجل ، وهو على ثلاث من المدينة ، فيقولون له : كيف أقرأك رسول الله صلى الله
 عليه وسلّم آية كذا ؟ (وقد تركوا لك مكاناً) ، فأنت تراهم قد جاءوا به وهو على ثلاث من

(١) انظر : ابن الجزرى : منجد القرنين ص ٥٧ وما بعدها .

(٢) نفس المرجع

(٣) نفس المرجع

(٤) نفس المرجع

(٥) انظر : النشر - ص ٣٠ ، والسيرطى : الإتيان - ص ١٠ ص ٨٠

(٦) انظر : حمزة فتح لله : المواهب الفتحية - ص ١٤ ص ٥٤

المدينة ، ليسألوه عن الكيفية التي أقرأه بها الرسول . ثم يقول الدجوى مستنبطاً : « فإذا ، لا بد أن تكون الكيفية مأخوذة عن الرسول كما أن الأصل مأخوذ عن الرسول » (١)

• • •

وليس الذى يتصل بموضوعنا من سرد الردود التي اعترض بها على ابن الحاجب والذاهيين مذهبه مجرد دحض هذا الرأي ، ولكن الذى يتصل بموضوعنا من ذلك هو أن الوقوف على كيفية الأداء بالسمع أمر تطلع إليه السابقون ، وتوَّأ على الشك في استيفائه أحكاماً لها خطورتها .

ونظن أن لو تقدم الزمن بمشروع الجمع الصوتي للقرآن لما تشكك المتشككون في تواتر ما هو من قبيل الأداء .

• • •

على أن التواتر المشروط في تلقى القرآن يقتضى بالضرورة - عدداً من الرواة يصعب توافرهم على الكذب عن مثلهم إلى مثناه (٢) . والقراءات المخالفة لقراءة حفص قلّ عدد العارفين ببعضها في مصر نفسها فضلاً عن البلاد الأخرى . والظن أن تسجيل كلّ القراءات المتواترة ونشرها وتمكين المسلمين في كل بلد من تعلّمها يكفل - ضمن ما يكفل - بقاء التواتر بشكله الشرعي الواجب . وقد كان هذا بالفعل حافزاً خطيراً الشأن من حوافز دعوتنا إلى الجمع الصوتي للقرآن .

وصحيح أن الله تعالى تكفل بحفظ القرآن إذ يقول : « إِنَّا نَحْنُ نَرْتَلِّهُهُ لَكَ لِحَفِظُونَ » (٣) . ولكن هذا -- بداهة -- لا يمارض مع التفكير في المحافظة على هذا الكتاب ، ولا يعنى استغناء المسلمين عن هذا التفكير ، وقد خاف عمر بن الخطاب من ضياع بعض القرآن ، وكان خوفه هو سبب تفكيره في الجمع الكتابي الأول . وقد قيل إنه ربما كان مما خاف عمر « أن ينقطع تواتر القرآن في بعض الأوقات أو في الأطراف » (٤) .

وكذلك خاف ابن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٢ هـ ، وشيخ القراء في عصره ، والذي حمل المسلمين ، في كل الدنيا ، على القراءات السبع التي اختارها لهم . . . خاف على القرآن من قراء :

(١) الجواب المنيّف ص ٣٢ .

(٢) السيوطي : الإتقان - ١ ص ٧٧ .

(٣) سورة الحجر / ٩ .

(٤) شرح العقيلة - الورقة ١٤ المخطوطة ٣٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

« منهم من يؤدّي ما سمعه ممن أخذ عنه ، ليس عنده إلا الأداء لما تعلّم ، لا يعرف الإعراب ولا غيره ، فذلك الحافظ ، فلا يلبث مثله أن ينسى إذا طال عهده ، فيضَيِّع الإعراب لشدة تشابهه ، وكثرة فتحه وضَمّه وكسره في الآية الواحدة ، لأنه لا يعتمد على علم بالعربية ، ولا به بصير بالمعاني يرجع إليه ، وإنما اعتماده على حفظه وسماعه .

وقد ينسى الحافظ ، فيضَيِّع السَّماع ، وتشتبه عليه الحروف ، فيقرأ بلحن لا يعرفه ، وتدعوه الشبهة إلى أن يرويه عن غيره ، ويبرئ نفسه ، وعسى أن يكون - عند الناس - مصدّقاً ، فيُحْمَل ذلك عنه ، وقد نسيه ، ووهّم فيه ، وجسر على لزومه والإصرار عليه .
أو يكون قد قرأ على من نسي وضَيِّع الإعراب ، ودخلته الشبهة ، فيتوهم ، فذلك لا يقلّد القراءة ، ولا يحتجّ بنقله .

ومنهم من يُعرب قراءته ، ويبصر المعاني ، ويعرف اللغات ، ولا علم له بالقراءات واختلاف الناس والآثار ، فربمّا دعاه بصره بالإعراب إلى أن يقرأ بحرف جائز في العربية لم يقرأ به أحد من الماضين ، فيكون ذلك مبتدعاً ، وقد رُويت ، في كراهة ذلك وحظره - أحاديث .^(١)

ولعلّ في خوف عمر ، وخوف ابن مجاهد ملحظاً يتنبه له من قد يصدفون عن فكرة الجمع الصوتي ، أو من قد يقلّلون من قدرها وأهميتها .

ولعلّ المصاحفَ المرتلة التي يسّجلها هذا الجمع الأدق الأضبط أن تكون البديل الأمثل للحافظ المتقن الذي تتحرّاه دنيا الإسلام ، والذي أتى عليه ابن مجاهد ، ووصفه بأنه « المعرب العالم بوجوه الإعراب والقراءات ، العارف باللغات ومعاني الكلام ، البصير بعيب القراءات ، المنتقد للآثار ، فذلك الإمام الذي يفزع إليه حقّاق القرآن ، في كل مصر من أمصار المسلمين »^(٢).

٥

وقد يقال إن فرصة التسجيل الصوتي القرآني المطابق لقراءة الصحابة المتلقين عن النبي صلى الله عليه وسلم قد فاتت ، لأنه مضى على عصرهم نحو ثلاثة عشر قرناً ، ومن ثم لم يعد الإسناد عالياً .

(١) ابن مجاهد : كتاب السبعة في القراءات ص ٤٥ و ٤٦ .

(٢) نفس المرجع ص ٤٥ .

والردّ على هذا :

١ - أن القرآن بالإجماع - هو الآن - بألفاظه وكيفية أدائه - القرآن الذى أنزله الله على رسوله ، والذى قرأه الرسول ، وصحبه ، والتابعون ، ولن تُضعف من هذا الإجماع الدعاوى القليلة التى سنشير إليها فى فصل آخر ، والتى لا تستطيع الثبات أمام التحقيق العلمى ، والتى فُتدت منذ قديم . وكذلك مُحصّت تماماً - منذ وفاة الرسول - الخلافات اليسيرة التى قيل إنها وقعت فى المصاحف الخاصة لبعض الصحابة ، على نحو ما سنشير إليه فى مواضع أخرى من هذا البحث ، وقُضِيَ نهائياً أمرها جميعاً ، وظلّت نصوص القرآن المتواترة فى كل مكان باقية على القرون ، من غير أية زيادة أو أى نقص ، وصار من خصائص أمة القرآن أن يفتن - حتى الكثيرون من عامتها وصغار السنّ فيها - إلى أى خطأ أو سهو يقع فى تلاوته أو كتابته .

وقد عُنِيَ التابعون وتابعوهم - ما وسعهمُ العناية - بصون الألسنة عن الخطأ فى النطق ، بأى حرف من حروف القرآن ، ومنع أى لبس أو اشتباه فى القرآن ، فأضافوا إلى النصّ المكتوبِ النقطَ والتشكيلَ والضوابطَ والحسناتِ الخطيةَ .

ومن أوائل هؤلاء : أبو الأسود الدؤلى (١) الذى تقول إحدى الروايات إن زياداً أمير العراق طلب إليه أن يضع للناس علامات تضبط قراءتهم ، فَشَكَّلَ أواخر الكلمات ، وجَعَلَ الفتحَةَ نقطةً فوق الحرف ، والكسرةَ نقطةً تحته ، والضمّةَ نقطةً إلى جانبه ، وجعل علامة الحرفِ المتونِ نقطتين (٢) .

وتقول رواية أخرى إن على بن أبى طالب سمع قارئاً يقرأ : « أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ » (٣) بكسر اللام فى « رسول » وهو كفر ، فتقدّم إلى أبى الأسود « حتى وضع للناس أصلاً ، ومثالا ، وباباً ، وقياساً ، بعد أن فتى له حاشيته ، ومهد له مهاده ، وضرب له قواعده » (٤)

(١) انظر ترجمته فى : القلقشندى : صبح الأعيان ج ٣ ص ١٦١ .

وطاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها .

(٢) انظر : أبو عمرو الدانى : النقط - مخطوطة بمكتبة بلدية المنصورة رقم ٢٧ ص ٢ و ٣ ، وابن الأنبارى :

نزهة الألبا فى طبقات الأدبا ص ١٠ ، ١١ ، وعز الدين بن عبد السلام : قائله من أمالى عز الدين بن عبد السلام ص ٦٧ و ٦٨ .

(٣) سورة التوبة / ٣ .

(٤) أبو حيان التوحيدى : الصائر والنخائر مجلد ١ ص ٢١٦ وانظر : بلقيت الحموى : معجم الأدبا ج ١٤ ص

٤٤ ط - أحمد فريد رفاعى (والبلى : ألف با ج ١ ص ٦ - والمسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحرير

ص ١٣ .

وقيل في رواية ثالثة إنما وضع أبو الأسود الدؤلي النحو حين سمع رجلاً يقرأ : « أَنْ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ » (١) بالجر . فقال : لا يسعني إلا أن أضع شيئاً أصلح به لحن هذا ، أو كلاماً هذا معناه (٢) .

وكذلك كان من أوائل أولئك : نصر بن عاصم الذي أمره الحجاج بنقط الحروف (٣) . ومن أوائلهم أيضاً : الخليل بن أحمد الذي شكل الكلمات : فجعل الفتحة ألفاً مطروحة فوق الحرف ، والكسرة ياءً تحته ، والضمة واوً في أعلاه ، وجعل علامات للمدِّ والتشديد (٤) . وتمتدَّت الكتب المؤلفة في النقط والشكل للقرآن . وقد ذكر ابنُ النديم من هذه الكتب

= والبلى : ألف با ج ١ ص ٤٦ والمسكوي : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٣ .

(١) سورة التوبة / ٣

(٢) البلى : ألف با ج ١ القسم الثاني ص ٢١٠ وما بعدها

ويقول جورجى زيدان ، عن فعل أبى الأسود الدؤلى في ضبط حركات الألفاظ القرآنية :

« والأرجح : أنه اقتبس ذلك من الكلدان أو السريان جيرانه في العراق » (التمدن الإسلامى « ص ٣٠ ص ٦٠)
ويقول مرة أخرى ، نقلاً عن يدعى المطران يوسف داود (المتوفى سنة ١٨٩٠ م) . في كتاب له اسمه : (اللعة الشبية في نحو اللغة السريانية ط . الموصل سنة ١٨٧٩ م) :

« إن هؤلاء - يريد السريان - كان عندهم أيضاً فقط هي حركات وضعها يعقوب الزهاوى ، قبيل ذلك الزمن
والظاهر : أن أبى الأسود اقتبس هذه الحركات . . . إلخ » (نفس المرجع)
وواضح أن هذا يضاد كل الروايات الإسلامية ، وفيه محاولة متعصبة لتجريد أبى الأسود من فضل ابتكاره التاريخي . وكما رأينا ، لم يعترض زيدان في دعواه إلا بمرجع خفيف جداً في ميزان العلم . ولعل استعمال زيدان لكلمتي : (الأرجح) و (الظاهر) أن يفيد بعض التشكك في دعواه .

وربما كان أئين في تهافت دعوى زيدان وتضارب أدلتها ، أنه هو نفسه بعد حديثه عن استعمال النقط في تحديد حركات الألفاظ القرآنية - ما لبث أن تنى وجود النقط في السريانية ، فقال ، وهو يتحدث عن الإعجام : « كان الحُط . لما اقتبسه العرب من السريان والأنباط - خالياً من النقط ، ولا تراك المخطوط السريانية بلا نقط إلى اليوم » (نفس المرجع ص ٦١) . وهذا - كما نرى - نقي مطلق حاسم .

وكما يقول أحمد السكندري : « دعوى أن العربية أخذت من أخواتها ، لأن أخواتها هي التي أخذت منها تحكّم ومجازفة ، بل المقبول أنها جميعاً أخذت من أمها السامية المجهولة ، على أن هناك فريقاً من العلماء يستظهر أن العربية من أم اللغات السامية القديمة » (بحث بعنوان : التعريب - مجلة الزهراء التي كان يصدرها محب الدين الخطيب ع . ربح الأول ١٣٤٣ هـ)

وعندنا : أنه حتى لو صحَّت دعوى اقتباس أبى الأسود من الكلدان أو لسريان ما نقص ذلك من فضل أبى الأسود شيئاً .

(٣) أبو عمرو اللداني : النقط ص ٣ - المخطوطة السالفة الذكر .

(٤) مرجع السابق

وانظر أيضاً : عبد الله بن محمد بن عثمان الشهير بفوزى المغربي : الفرائد الجليلة والفوائد الجميلة ، منظومة

مخطوطة رقم ٢٢٧٣٠ ب مدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ص ٧ و ٨ .

واحداً في النقط لكل من الخليل ، ومحمد بن عيسى ، واليزيدي ، وواحداً في النقط والشكل لكل من ابن الأباري والدينوري . وكتابا في النقط والشكل يجداون ودارات لأبي حاتم السجستاني (١) .

ولم يكن هذا غريباً ، فاللحن عندهم هو - لغةً - العدول عن طريق الصواب يقول أبو سعيد السيرافي : « ما عرفت حقيقة معنى النحو إلا من معنى اللحن الذي هو ضده ، فإن اللحن عدول عن طريق الصواب ، والنحو قصدٌ إلى الصواب (٢) » .

وهم يستقبحون اللحن ويتحرزون منه :

كان مسلمة بن عبد الملك يقول : اللحن في الكلام أقبح من الجدرى في الوجه (٣)

وعبد الملك كان يقول : اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب النفيس (٤)

وقال كشاجم في كتاب « النديم » : واللحن عندهم (يعني عند العرب) يجور لجمال

(أى يقوضه) ، كما أن الفصاحة تُعنى على القبح (٥) .

بل إن من المسلمين مَنْ عدُّوا اللحن في أبة قراءة عربية - ولو في غير القرآن - ذنباً :

عثر مرة لسان الحسن البصري بشيء من اللحن ، فترجع ، وقال : أستغفر الله !

فسأله من سمع ذلك منه عن سبب الاستغفار ، فقال : من أخطأ في العربية فقد كذب

على العرب ، ومن كذب فقد عمل سوءاً ؛ وقد قال الله عز وجل : « وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظُنمْ

نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفوراً رَحِيماً » (٦)

وسمع الخليل بن أحمد أيب السخيتاني يحدث بحديث ، فلحن فيه ، فقال : أستغفر

الله ! (يعني أنه عدُّ اللحن ذنباً)

وحتى في زمننا الحاضر ، تلا الشاعر حافظ إبراهيم شعراً في مجلس الشيخ محمد محمود

التركزي الشنقيطي ، فلحن في حركة العين من أحد الأفعال ، فغضب الشيخ الشنقيطي ،

وقال له : كذبت (٧) .

(١) الفهرست ص ٣٥ (ط . خياط بيروت) .

(٢) انظر : هامش البيان والتبيين للمجاظ (بتحقيق حسن السدوي) ج ١ ص ١٦٠ .

(٣) انظر : ابن قتيبة : عيون الأخبار ج ٢ ص ١٥٨ .

(٤) نفس المرجع .

(٥) أبو حيان التوحيدي : البصائر والدخائر المجلد ١ ص ٤١١ .

(٦) سورة النساء ١١٠ .

(٧) روى هذا المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف ، (وانظر : مجلة الأزهر ، المجلد ٢٤ ص ٨٤٢) .

ولا ريب أنهم استهولوا اللحن في القرآن ، وعدّوه أشدّ بشاعة مما هو في أى كلام ، فهو قد يغير المعنى تغييراً ينفّر منه القرآن نفسه ، فمثلاً لو قرأ رجل عامداً الآية : « هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِيءُ الْمُصَوِّرُ »^(١) بفتح الواو في المصوّر لكفّر . وقد تقدمت الإشارة إلى مثل هذا اللحن الخطر .

والمأمون يقول لبعض ولده ، حين سمع منه لحناً :

« ما على أحدكم أن يتعلم العربية ، فيقيم بها أوده ، ويزين بها مشهده ، ويفلّ حجج خصمه : يمس كتاب حكمه ، ويملك مجلس سلطانه ، بظاهر بيانه . . . الخ »^(٢) .
وفي الحديث المرفوع : رحم الله عبداً أصلح لسانه^(٣) .
وقيل للحن : إنّ لنا إماماً يلحن .
قال : أخروه^(٤)

ومن الهزل القبيح الذي نرجو أن يدفعنا إلى الجدلّ الصريح في أمر القرآن : ما رواه الجاحظ من أن ابن ضحيان الأزدي كان من اللحنين الأشراف ، وكان يقرأ : « قُلْ يَا أَيُّهَا (الكافرين)^(٥) فقيل له في ذلك ، فقال : قد عرفتُ القراءة في ذلك ، ولكنى لا أجلّ أمر الكفرة^(٦) !
وهنا نذكر أن تغيير ألفاظ القرآن عمداً هو - بإجماع العلماء - كفر .

ولدره اللحن في القرآن ، نشأت له ، منذ قديم ، علوم خاصة غايتها أن تكفل إحكام قراءته . وقد غدا لهذه القراءة فن تخصصت فيه طبقات متعاقبة من العلماء برز منهم أئمة لهم شهرتهم .

وكان الحكام يكتبون المصاحف ، على نسق مصحف عثمان ، ويهدونها إلى المساجد ، ويبعثون بها إلى الأمصار ، لتكون مرجعاً للناس يسترشدونه في تصحيح ما لديهم من مصاحف . ومن أمثلة الأدلة القوية على عناية المسلمين البالغة بضبط المصحف أن والى مصر :

(١) سورة الحشر/ ٢٤ .

(٢) انظر : الحصرى القيروانى : زهر الآداب ج ٢ ص ٧١٩ .

والبيهقي : المحاسن والمساوي ص ٤٥٣ .

(٣) انظر : البيهقي : نفس المرجع .

(٤) أنظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٢٣ .

(٥) سورة الكافرون / ١ ، واللفظ في المصحف : « الْكٰفِرُونَ » .

(٦) يعنى بالرفع ، فهو يرى الرفع إجلالاً لهم ، فيعدل عنه إلى الخفض .

وانظر : الجاحظ : البيان والتبيين (بتحقيق وشرح حسن السندوي) ج ٣ ص ٣٢٠ .

عبد العزيز بن مروان أمر فكتبوا له مصحفاً ، فأعلن - بعد الفراغ من كتابته - أن من وجد فيه حرفاً خطأ فله رأس أحمر (أى جمل أحمر) ، وثلاثون ديناراً ، فوجد فيه أحد قراء الكوفة لفظة « نعمة » ، بدل « نعجة » ، فأخذ الجائزة (١) .

وقد كُتِبَتْ خلال أربعة عشر قرناً مصاحف لا عدّها ، وقد سَلِمَتْ كلّها من التغيير والتبديل . والقليل من التحريف أو التصحيف الذى وقع فى بعض المصاحف لم يستطع لحياة قَطْ ، هذا مع كثرة أعداء القرآن والمتربّصين به .

٢ - ومع أن الردّ آنفاً كافٍ جداً لإثبات أن فرصة الجمع الصوتى للقرآن لم تَقُتْ ، ولن تفوت ، ما دام القرآن بألفاظه . وكيفية أدائه ثابت التواتر ، من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى قيام الساعة ، فإننا نضيف أنه يمكن أن نستنبط أن الإسناد القرآنى لا يزال عالياً ، فقياساً على المتبع ، بالنسبة للحديث النبوى عند أهله ، يمكننا تقسيم الإسناد القرآنى إلى أقسام منها :

(أ) القرب - من حيث العدد - من رسول الله ، وهو صلوات الله عليه المتزل عليه القرآن . على أن يكون هذا القرب بإسناد « نظيف غير ضعيف » كما عبّر السيوطى (٢) . ونعتقد أن ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن تفصل بيننا وبين الرسول ليست زمناً متمادياً يجعل قراءات القرآن ورواياته محفوفة بأى شك .

وزمننا - على أية حال - أقرب إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم من الأزمنة القديمة . وإذا كانت البشرية لم تهتد إلى التسجيل الصوتى إلا متأخراً ، وإذا كان المسلمون حتى بعد هذا الاهتداء - لم يفكروا فى الجمع الصوتى ، وظلّوا على عدم تفكيرهم فيه قرابة قرن ، فإن الأمر يستلزم استدراك ما فات ، دون إبطاء جديد .

والقرآن هو آخر الكتب المنزّلة ، وقد جاء مهيمناً على هذه الكتب ، وناسخاً لبعض أحكامها ، ولن يخضع لهيمنة أى كتاب ، فعلى المسلمين - حين يجمعونه صوتياً - أن يذكروا أنهم يعملون لمستقبل مديدٍ موصول بيوم القيامة .

(ب) ومن أقسام الإسناد القرآنى التى يمكن التقسيم إليها : القرب من إمام من أئمة القراءات ، وهؤلاء زمنهم أدنى إلينا من زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، فالإسناد الصحيح إليهم له قيمته ، ولا يصحّ إهداره . وقد كان أعلى إسناد للقرآن - على عهد السيوطى -

أى منذ أقل من خمسمائة سنة ، إسناداً رجاله أربعة عشر بالنسبة لقراءة ابن عامر ، ومن رواية ابن ذكوان ، ثم خمسة عشر رجلاً ، بالنسبة لقراءة عاصم من رواية حفص ، وقراءة يعقوب من رواية رويس^(١) .

وفي رأينا : أن خمسة قرون أو ما دونها تفصل بيننا وبين أسانيد محكوم بعلوها هي فترة لا تفقدنا أسباب الإتيان والدقة .

(ح) ومن أقسام الإسناد القرآني : القرب إلى بعض الكتب المشهورة في القراءة ، كالتيشير ، والشاطبية ، ونحن قريبا العهد بهذه الكتب الموثوق بصحتها فإذا جمعنا القرآن صوتياً على أساسها أيضاً فلن يكون جمعنا متأخراً ، ولن تعوزه أمانة النقل ولا كمال الضبط .

* * *

هذا ، والثقة فيما ينقل من القرآن والقراءات تتبعُ - في الدرجة الأولى - قوة السند لا مجرد علوه .

وقد رأينا آنفاً أنه - في إسناد القرآن - يجتمع الاثنان : العلو والقوة ، وهذا - لا ريب - أقوى وأقوم .

الفصل الثاني

المحافظة على القراءات المتواترة والمشهورة

١

نزل القرآن بلسان عربي ، وهذا اللسان - ككلّ الألسنة - انشعبت منه ، منذ قديم . فحجات متعددة متباينة في بعض مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات . وقد دعت إلى هذا التباين أسباب لعلّ من أهمها أنّ أعضاء النطق تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعاً لتنوع الخواص الطبيعية المزوّدة بها كلّ شعب ، والتي تنتقل - عن طريق الوراثة - من السلف إلى الخلف^(١) .

وبالضرورة ، وإزاء هذه الأسباب القوية ، ليس يسهل على كلّ أحد أن يستبدل لهجة جديدة بلهجة جرى عليها لسانه طفلاً وناشئاً وكهلاً . وحتى - بعد طول المحاولة والمعاجة - قد يظل الأمر عسيراً على شيخ يأبى لسانه تغيير ما ألفه السنين ، وامرأة ليس لها غالباً على ما تعودته من طرائق الكلام سلطان . روى الترمذى - في موضوع نزول القرآن على سبعة أحرف - أن النبي قال : يا جبريل ! إنّي بعثتُ إلى أمةٍ أميين ، منهم : العجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام ، والحارية ، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط^(٢) .

وقد باعد أيضاً بين القبائل العربية وبين وحدة لغتهم آنذاك ما كانوا عليه « من شدّة الأنفة وعظم الحميّة ومزيد الجهالة »^(٣) .

وقد كان بين القبائل العربية اختلاف في نبرات الأصوات وطريقة الأداء . فكان فيهم من يدغم ومن يظهر ، ومن يُخفي ومن يُبين ، ومن يُميل ومن يُفتح ، ومن يُفخّم ومن يُرَقِّق ،

(١) انظر في موضوع اختلاف اللهجات : علي عبد الواحد واقي : علم اللغة ص ٢٦٧ .

(٢) انظر : صحيح الترمذى بشرح أبي بكر بن العربي المالكي ص ١١ ص ٦٣ وما بعدها كتاب القراءات وانظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ص ٩ ص ٢٠ (ط = البيبة) .

(٣) يوسف الدجوى : الجواب المثيب ص ٢٦ .

ومن يمدُّ ومن يقصر ، إلى آخر كفييات النطق المختلفة .

فتلقاء هذه الفروق التي يصعب على الناس التخلص منها ، وتوسيعاً لطريق الدين الذي نزل به القرآن في وجه من يريد الدخول فيه ، ولأن هذا الدين يُسرُّ دائماً ، أمر الله نبيه أن يقرئ كلَّ قبيلة بلغتها وما جرت عليه عاداتها ، فعلى سبيل المثال (١) :

يقراً الأسدى : « يعلمون » ، و « تعلم » ، و « تسودّ وجوه » ، و « ألم أعهد إليكم » بكسر حرف المضارعة .

والتميمي يهمز ، والقرشي لا يهمز .

ويقراً أحدهم : « عليهم » و « فيهم » بضم الهاء لا بكسرها .

وهذا يقراً : « قد أفلح » و « قل أوحى » بالنقل .

وآخر يقراً : « موسى » ، و « عيسى » ، و (دنيا » بالإمالة .

وغيره يلفظ .

وهذا يقراً : « خبيراً » و « بصيراً » بترقيق الراء .

والآخر يقراً : « الصَّلوة » و « الطلاق » بالتفخيم .

إلى غير ذلك .

هذا إلى ما هو معروف من الاختلاف الطبيعي بين القبائل في شهرة بعض الألفاظ في بعض المدلولات . وإلى ما هو معروف أيضاً - عند علماء القراءات - من أن القرآن نفسه اختلفت بعض ألفاظه ، في الحروف أو كفييتها ، من حيث الغيبة والخطاب ، والتذكير والتأنيث ، والجمع والإفراد ، والتخفيف والتشديد ، والتحقيق والتسهيل ، وغير ذلك مما هو مقرر ومحدد منذ عهد النبوة . وما لم تحتره القبائل من عند أنفسها ، وإنما تلقته من نفس النبي صلى الله عليه وسلم .

ونظن أن لا خفاء في أن إقراء النبي - عليه الصلاة والسلام - كلَّ قبيلة بلغتها ، وما جرت عليه عاداتها . هو - لكلِّ الاعتبار الطَّبَعِيَّةِ والقوية الآنفه - أمر سائغ جداً في العقول ، بل هو ضرورة لا محيص عنها .

(١) انظر : ابن الجزرى : النشر ج ١ ص ٢٢ و ٢٣ ؛ ويوسف الدجوى : الجواب المنيّف ص ٢٧ .

ويذكر هنا أن التخفيف بذلك كان بعد الهجرة حين كثر دخول العرب في الإسلام ، وانظر : ابن حجر العسقلاني :

فتح الباري ج ٩ ص ٢٣

(٢) انظر في موضوع لغات القبائل : القاسم بن سلام : رسالة جليلية تتضمن ما ورد في القرآن الكريم من لغات

القبائل ؛ وابن عباس : كتاب اللغات في القرآن .

٢

ولكنّ هنا سؤالاً يصحّ أن يُسأل :

إذا قرئت آية بقراءتين ، فهل قال الله بهما ؟

وردت في ذلك آراء أوردتها الزركشي في كتابه « البرهان » :

(الأول) أن الله تعالى قال بهما جميعاً^(١) .

(الثاني) أن الله تعالى قال بقراءة واحدة ، إلا أنه أذن أن يقرأ بقراءتين^(٢) .

(الثالث) إذا كان لكل قراءة تفسير يعاير الآخر ، فقد قال بهما جميعاً ، وتصير

القراءة بمنزلة آيتين ، مثل قوله : « وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ »^(٣) .

(الرابع) إذا كان تفسير القراءتين واحداً كالبيوت والبيوت^(٤) والمحصنات والمحصنات^(٥)

بالنصب والجر ، فإنما قال بأحدهما ، وأجاز القراءة بهما ، لكل قبيلة على ما تعود لسانهم .

(الخامس) فإذا صحّ أنه قال بإحدى القراءتين ، فإنه يكون قد قال بلغة قريش^(٦) .

(١) الزركشي : البرهان - ص ١ ص ٣٢٦

(٢) نفس المرجع

(٣) سورة البقرة / ٢٢٢

ويقرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم تسكين الطاء .

وقراءة حمزة ، والكسائي ، وعاصم (في رواية أبي بكر) . والمفضل : « يطهرن » بتشديد الطاء (انظر : الطبري :

جامع البيان في تفسير القرآن - ص ٣ ص ٨٨ ، وانظر : ابن الجزري : النشر - ص ٢ ص ٢٢٧)

ولعلنا من هنا ندرك أن لتعدد القراءات فوائد ، منها أنها تجعل الترتيل وكأنه عدة كتب لا كتاب واحد ، لا سيما إذا

كان - كما يقول الدكتور عبد الحلیم النجار رحمه الله - « في كثير من هذه القراءات إن لم يكن أكثرها ثروة جديدة في

« تشريع أو حكمة أو نحو ذلك » (مذاهب التفسير الإسلامي - الترجمة العربية ، حاشية في ص ٤ و ٥) .

(٤) البيوت - بكسر الباء - قراءة قالون ، وابن كثير ، وابن عامر ، وأبي بكر ، وحمزة ، والكسائي ، وتختلف

(الدمياطي البنا : إتخاف فضلاء البشر ص ٢٥٣)

(٥) عن الحسن بالكسر ، والباقون بالفتح (نفس المرجع ص ١٨٨)

(٦) انظر في كل هذه الآراء : الزركشي : البرهان - ص ١ ص ٣٢٦ و ٣٢٧ .

وقد كثر القول في موضوع نزول القرآن على سبعة أحرف « إلى حدٍّ كاد يطمس أنوار الحقيقة ، حتى استعصى فهمه على بعض العلماء ، ولاذ بالفرار منه ، وقال إنه مُشْكَلٌ . . . » (١) والذي عليه الجمهور : هو أن الأحرف السبع لغات ، وقد اختلفوا في تعيينها ، والأشهر أنها لغات : قريش ، وهذيل ، وثقيف ، وهوازن ، وكنانة ، وتميم ، واليمن .

وربما حق لنا أن نذكر أن الخطأ في هذا الباب « قد يتخذ منه أعداء الإسلام سبيلاً عوجاً إلى توجيه المطاعن الخبيثة إلى القرآن » (٢) . وقد كان من تداول هذا الخطأ ومثله أن كتب فعلا بعض أعداء القرآن كتباً باطلة ومتعصبة أسموها « مباحث القرآن » ، ومنها كتاب اسمه : هل من تحريف في الكتاب الشريف ؟ كتبه قسيس إنجليزي اسمه جولد زاك Goldsack . وهو كتاب ترفضه مناهج البحث الصحيحة ، لأن حشوه الأخطاء العقلية والنقلية ، والعداوة البينة اللدد ضد الإسلام (٣) .

* * *

ويجب أن نذكر أن القراءات التي يُعنى الجمع الصوق الأول بالمحافظة عليها ليست هي الأحرف والمرادفات التي كانت تقام بعضها مكان بعض قبل العرضة الأخيرة للقرآن ، والتي كانت إقامتها لضرورة ماسة انتهى وقتها عند هذه العرضة ، فضلاً عن عهد عثمان ، كما ذكرنا في فصل الجمع العثماني (٤) ، وإنما المقصودة بالمحافظة هي القراءات التي يحتملها مصحف عثمان المقتصر على حرف قريش كما قال ناس ، أو المشتغل على باقي الأحرف كما قال آخرون وهذه القراءات - على أية حال - ثابتة كلها بالتَّغْل المتواتر عن النبي نفسه (ص) .

* * *

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ص ١٣٠ و ١٣١ .

(٢) نفس الكتاب

(٣) في سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م . أصدر الشيخ يوسف أحمد نصر الدحوي من علماء الأزهر آند ، رداً على

هذا الكتاب أسماء : الجواب الميف في الرد على مدعى التحريف في الكتاب الشريف .

(٤) قال الطحاوي في الأحرف السبعة : « إنما كان ذلك رخصة لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد ،

لعدم علمهم بالكتابة والضبط واتقان الحفظ ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسير الكتابة ، (انظر : القاسمي : محاسن التأويل

ص ٢٨٨)

وواضح جداً أن اختلاف القراءات لا يعنى أن فيها تنافياً أو تضاداً أو تناقضاً. وإنما هو - باطلاق - اختلاف تنوع وتغاير فحسب. وقد وُجِّهت كل اختلافات القراءات ، فمما ظهر أن قراءة اتخذت سبيلا استدبرته قراءة - أو أن قراءة أمرت بما نهت عنه أخرى . ثم إن هذه القراءات بمنزلة سواء في الأسلوب والعاية ، فهي كلها معجزة . وتلك حقيقة لا نستغربها ما دامت كل قراءة قد أنزلت من عند الله ، أو أذن بها الله - كما أوضحنا قبلا وكما سنوضح فيما بعد - وما دام القراء - في اختلافهم - مجرد ناقلين ، وليسوا كالفقهاء يختلفون لأنهم يجتهدون .

٤

وجميع القرآن جمعيه المكنويين ، وانقضى عصر الصحابة ، فكانت جماعات القراء في مختلف الجهات يقرءون حسبما تلقوا من أسلافهم ، وكانت كل جماعة تستقر على الوجوه التي لُقنتها لا تكاد تتعداها ، فاختلفت قراءات الأحلاف باختلاف قراءات الأسلاف . وتفرق هؤلاء وأولئك في البلاد ، وكما يقول ابن الجزرى : « قل الضبط ، واتسع الخرق ، وكاد الباطل يلبس بالحق ، فقام جهابذة علماء الأمة ، وصناديد الأئمة ، فالفوا في الاجتهاد ، وبيّنوا الحق المراد ، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعزّروا الوجوه والروايات ، وميزوا بين المشهور والشاذ ، والصحيح والفاذ ، بأصول أصّلوها ، وأركان فصلوها » (١) .

ويبدو أن الاقتصار على قراءات الأئمة المشهورين بالفقه ، والأمانة في النقل ، وكمال الدين ، كان أمراً ضرورياً أوجبه بشاعة ما قيل إنه وقع ، فكما عبر مكّي بن أبى طالب : « تمادى بعض الناس على القراءة بما يخالف خطّ المصحف مما ثبت نقله » (٢) ، بل إنه كثير الاختلاف فيما يحتمله رسم المصحف ، وقرأ أهل البدع والأهواء بما لا يحل تلاوته وفقاً ليدعهم ، ومن أمثلة ذلك : ما روى من أن بعض المعتزلة قرأ : « وكلم الله موسى تكليماً » (٣) بنصب الهاء (٤) وقد كثرت الاختيارات في القراءة كثرة من مظاهرها التي تخفى على كثير من الناس أن

(١) الشر > ١ ص ٩ . وانظر : السيوطى : الإتقان في علوم القرآن > ١ ص ٢٧

(٢) الإبانة في معاني القراءات ص ١٠

(٣) سورة النساء / ١٦٤ .

(٤) انظر : محاسن التأويل > ١ ص ٢٩٥ و ٢٩٦ ، نقلا عن الكواشى في أول تفسيره .

الشافعي صاحب المذهب كانت له رواية قرأ بها ابن الجزري من كتاب «المستنير» ، وحدّثه بها - من هذا الكتاب ، ومن كتاب «الكامل» - غير واحد^(١) .

وكان لأحمد بن حنبل صاحب المذهب أيضاً اختيار ذكره «الهدلى» في كتابه «الكامل»^(٢) .

وقد نُسبتُ إلى أبي حنيفة قراءة جمعها الخزاعي ، ونقلها عنه الهللي وغيره^(٣) .
وقد عدّ ابن حجر العسقلاني - وهو يتكلّم عن تعيين الأحرف التي اختلف فيها عمر ابن الخطاب ، وهشام بن حكيم ، حين كان هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم يكن يعرفها عمر^(٤) - عدّ ابن حجر ، في هذه السورة وحدها ، نحواً من مائة وثلاثين موضعاً منها ستة وخمسون ليس فيها من المشهور شيء^(٥) .

وربما كانت كثرة عدد القراءات هي التي حدّت ببعض المُفسرين إلى ذكر بعضها غير منسوب لصاحبه^(٦) .

على أن إضافة القراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم لا تعني أكثر من أنهم اختاروها ، ودأبوا عليها ، ولزومها ، حتى اشتهروا بها ، وقُصدوا فيها ، وهي - كما يعبر ابن الجزري - «إضافة اختيار ودوام ولزوم ، لا إضافة اختراع ورأى واجتهاد»^(٧) .

٥

ولا بدّ - في معرض الحديث عن الجمع الصوتي الأول : بواعثه ومخططاته - أن نذكر أن القراءات أنواع :

(١) ابن الجزري : غاية النهاية ج ٢ ص ٧٥ وما بعدها

(٢) نفس المرجع ج ١ ص ١١٢

(٣) قيل إن الخزاعي وضع كتاباً في الحروف نسبة إلى أبي حنيفة ، وفيه : «إنما يخشى الله من عباده العلماء» . برقع الماء وتصب الهمة . يقول ابن الجزري : «وقد راج ذلك على أكثر المفسرين وتكلف توجيهها ، وإن أبا حنيفة ليرى» . منها . (انظر : النشر ج ١ ص ١٦) .

(٤) سيشار إلى هذه القصة تفصيلاً فيما بعد .

(٥) فتح الباري ج ٩ ص ٢٧ - ٣١

(٦) نظر مثلاً :

القراء : معاني القراءات (في كثير من صفحاته)

والبيضاوي : أنوار التنزيل وسرر التاويل : في تفسير قوله تعالى : «اذكروا نعمه الله عليكم» (سورة البقرة ٤٠)

(٧) النشر ج ١ ص ٥٢ .

(١) المتواتر ، وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى متناه .
وغالب القراءات كذلك .

وقد اختيرت سبع قراءات من هذا النوع ، عُرفت كلٌّ منها بأسماء أهم من عُرف بالقراءة
بها . وأصحاب هذه القراءات هم : نافع المدني ، وابن كثير المكي ، وأبو عمرو بن العلاء
البصرى ، وابن عامر الشامي ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي : الكوفيون .
وأول من اقتصر على هؤلاء السبعة هو أبو بكر بن مجاهد ، قبيل سنة ٣٠٠ هـ ، أو ما
حواها (١) ، وتابعه بعد ذلك المسلمون إلى الآن (٢) .

ولكلٍّ من هؤلاء القراء رواية ، وأصحاب طرق ، وأصحاب أوجه ، وسنشير إليهم
- فيما بعد - تفصيلاً .

والنقل المتواتر هو - عند الأصوليين وفقهاء المذاهب الأربعة ، والمحدثين ، والقراء -
عنصر أساسي في إثبات القرآنية ، حتى ليعرف الكتاب بأنه « القرآن المنزل على رسول الله ، لنقول
عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة » (٣) ويقول الشارح : « إنَّ قوله : نقلاً متواتراً احتراز عما اختصَّ
بمثل مصحف أبي ، ومصحف ابن مسعود ، لما نقل بطريق الآحاد » (٤) .

ويتجاوز ابن الجزري ، فلا يشترط - لصحة القراءة - غير موافقتها لوجه من وجوه العربية ،
ولرسم المصاحف العثمانية ، وغير أن تكون صحيحة السند ، ويقول في (نشر) ٥٠ ، و(طبعة) ٤ :
فكلّ ما وافق وجه نحوٍ وكان للرسم احتمالاً يحوى
وصحّ إسناداً هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان
ولكن الصّفاقسيّ يعيب هذا الرأى ، ويقول عنه :
« هذا قول محدث لا يُعول عليه ، ويؤدى إلى تسوية غير القرآن بالقرآن » (٥) .

(١) أبو شامة : إبراز المعاني من حوز الأمانى ص ٤
وذكر جفري أن تاريخ الاختيار هو ٣٢٢ هـ (مقدمة كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ٨) ، وابن مجاهد توفى

سنة ٣٢٤ هـ

(٢) انظر ابن مجاهد : كتاب السعة في القراءات

وابن الجزري : غاية النهاية - ص ١٣٩ وما بعدها

وأبو شامة : إبراز المعاني ص ٤

والصّولى : أخبار الرضاى والمتقى لله ص ٦٢ و٦٣ (ط هيوبرت)

(٣) انظر : عبد العزيز البخارى : كشف الأسرار على أصول البيهقي ص ١ ص ٢١ .

(٤) نفس المرجع

(٥) غيث النفع في القراءات السبع (بذيل شرح ابن القاصح للشاطبية) ص ٦ و ٧ .

وتتضمن شروط التواتر - عند الأصوليين - شرطاً يهّمنا التنويه به ، ونحن نعمل لحفظ التواتر القرآني ، في المشارق والمغارب ، وإلى الأبد الأبد ، هذا الشرط هو أن يستوى طَرَفًا التواتر وواسطته في الإخبار عن علم لا عن ظن ، وأن يكون علمهم ضرورياً مستنداً إلى محسوس ، وأن يستووا في كمال العدد .

يقول أبو حامد الغزالي في توضيح هذا الشرط :

« فإذا نقل الخلف عن السلف ، وتوالت الأعصار ، ولم تكن الشروط قائمة في كلِّ عصر لم يحصل العلم بصدقهم ، لأنَّ خبر أهل كلِّ عصر خبر مستقلٌّ بنفسه ، فلا بدَّ فيه من الشروط ، ولأجل ذلك ، لم يحصل لنا العلم بصدق اليهود مع كثرتهم في نقلهم عن موسى صلوات الله عليه . . . الخ » (١) .

(ب) المشهور ، وهو ما صحَّ سنده ولم يبلغ درجة التواتر ، ووافق العربية ورسم المصحف ، واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ (٢) .

وقد اختير من هذا النوع ثلاث قراءات ، وأصحابها هم : أبو جعفر بن قعقاع المدني المتوفى سنة ١٣٠ هـ (٣) ، ويعقوب الحضرمي المتوفى سنة ٢٠٥ هـ (٤) ، وخلف البزار المتوفى سنة ٢٢٩ هـ (٥) .

ولكل من هؤلاء أيضاً رواية ، وأصحاب طرق ، وأصحاب أوجه ، حسبما سيجيء فيها بعد . ونظراً لأن هذه القراءات الثلاث لا تتألف رسم السبع ، فقد ألحقها المحققون بها ، وعدّوا القول بعدم تواترها « في غاية السقوط ، ولا يصحَّ القول به عن معتبر قوله في الدين » (٦) ومن هؤلاء المحققين :

البعثيُّ الموصوف بأنه أولى من يعتمد عليه في ذلك المجال ، لأنه « مقرئ فقيه جامع للعلوم » (٧) .

(١) المستصمى - ١ ص ١٣٤ و ١٣٥

(٢) الإتيان - ١ ص ٧٧

(٣) انظر ترجمته في : ابن الجزري : غاية النهاية - ٢ ص ٣٨٢

(٤) انظر ترجمته في نفس المرجع ص ٣٨٦ - ٣٨٩

(٥) انظر ترجمته في نفس المرجع - ١ ص ٢٧٢

(٦) ابن الجزري : النشر - ١ ص ٤٥

(٧) توفى سنة ٥١٠ هـ أو قبل سنة ٥١٦ .

وانظر : ابن الجزري : النشر - ١ ص ٤٤ والركشي : البرهان - ١ ص ٣٣٠ ، والسبكي : طبقات الشافعية

- ٤ ص ٢١٤ .

وابن تيمية الفقيه المعروف^(١) .

والقسطلاني في كتابه «لطائف الإشارات» ، حيث يقول : «إننا لو اشترطنا التواتر في كل فرد من أحرف الخلاف اتنى كثير من القراءات الثابتة عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم^(٢) .

وعبد الوهاب السبكي الذي يقول : «إن هذه القراءات الثلاث - بالإضافة إلى القراءات السبع - معلومة من الدين بالضرورة ، ونزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهل^(٣) .

وزكرياً الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٦ هـ ، والذي أفتى بأن القراءات العشر متواترة كلها^(٤) .

(ج) الآحاد ، وهو ما صحَّ سنده ، وخالف الرسم أو العربية ، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ، ولم يُقرأ به^(٥) .

(د) الشاذ ، وهو ما لم يصحَّ سنده^(٦) .

(هـ) الموضوع ، ويمثل له السيوطي بقراءات الخزاعي^(٧) .

(و) ما زيد في القراءات على وجه التفسير ، كالقراءة المنسوبة إلى سعد بن أبي وقاص : «وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ (من أم)» ،^(٨) وكالقراءة المنسوبة إلى ابن عباس : «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ (في مواسم الحج)»^(٩) ، وكالقراءة المنسوبة أيضاً إلى ابن الزبير : «وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ (ويستعينون الله على ما أصابهم)»^(١٠) .

(١) انظر رسالته : أئمة القرآن على سبعة أحرف ، وما المراد بهذه السبعة ؟ ص ٤٧ : ٤٨ .

(٢) انظر القاسمي : محاسن التأويل ج ١ ص ٢٩٦ .

(٣) انظر : ابن الجزري : النشر ج ١ ص ٤٦ .

(٤) انظر : الإعلام والإهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصارى ص ٤٢٥ و ٤٢٦ .

(٥) انظر : السيوطي : الإتقان ج ١ ص ٧٧ .

(٦) انظر : نفس المرجع .

(٧) انظر : نفس المرجع .

(٨) في المصحف العثماني من غير (من أم) سورة النساء : ١٢ .

(٩) في المصحف العثماني من غير (في مواسم الحج) - سورة البقرة / ١٩٨ .

(١٠) في المصحف العثماني بغير «ويستعينون الله على ما أصابهم» - سورة آل عمران / ١٠٤ .

٦

وواضح أن الناس اجتمعوا على القراءات المتواترة والمشهورة لسببين أوضحهما الطبرسي في تفسيره :

(أحدهما) أن أصحابها « تجردوا لقراءة القرآن ، واشتدت بذلك عنايتهم ، مع كثرة علمهم . ومن كان قبلهم أو في أزمنتهم ممن نسب إليه القراءة من العلماء ، وعُدَّت قراءتهم من الشواذ . . . لم يتجرد لذلك تجردهم ، وكان الغالب على أولئك الفقه ، أو الحديث ، أو غير ذلك من العلوم » .

(والآخر) « أن قراءتهم وُجِدَتْ مسندة - لفظاً أو سماعاً - حرفاً حرفاً من أول القرآن إلى آخره ، مع ما عُرف من فضائلهم وكثرة علمهم بوجوه القرآن »^(١) .

٧

وكان التوفيق رائد أصحاب الجمع العثماني ، إذ جعلوا - وقد أُلْعِنَا إلى ذلك قبلاً - رسم مصاحفهم محتملاً لكل القراءات المتواترة والمشهورة تحقيقاً أو تقديراً . وما كان هؤلاء الصحابة لِيُسْقِطُوا قراءة أو يَمْنَعُوا من القراءة بها ما دامت تُثَبَّت عن النبيّ فيما انتهى إليه منهجهم في الجمع .

وقد أوضح ابن الجزريّ في « النشر » كيفية احتمال المصاحف العثمانية للاختلافات المتعدّدة في القراءات . ومن الأمثلة التي أوردتها في هذا الشأن : الآية « مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ »^(٢) ، كُتِبَ فيها لفظ « مَلِكٍ » بغير ألف ، في جميع المصاحف ، فقراءة الحذف تحتمله تقديراً ، أما في الآية « مَلِكِ النَّاسِ »^(٣) ، فقد كتب لفظ « مَلِكٍ » بغير ألف ، في جميع المصاحف ، فقراءة الحذف تحتمله تحقيقاً^(٤) .

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن ج ١ ص ٢٥

(٢) سورة الفاتحة / ٤

(٣) سورة الناس : ٢

(٤) ج ١ ص ١١ ، وانظر : القاسمي : محاسن التأويل ج ١ ص ٢٩٨ . ٢٩٩

٨

وقد جُمِعَت القراءات منذ قديم . وأول من جمعها في كتاب هو أبو عبيد القاسم ابن سلام ، المتوفى بمكة سنة ٢٢٤ هـ ، والذي جعل القراءات - فيما عدَّ ابن الجزري - خمسا وعشرين قراءة مع السبع (١) .

وترادف المؤلفون في القراءات :

فجمع أحمد بن حنبل الكوفي نزيل أنطاكية ، والمتوفى سنة ٢٥٨ هـ كتاباً في قراءات الخمسة ، من كلِّ مصر واحد (٢) .

وألف إسماعيل بن إسحاق المالكي المتوفى سنة ٢٨٢ هـ كتاباً جمع فيه قراءة عشرين إماماً ، منهم السبعة (٣) .

وجمع ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ كتابه « الجامع » . وفيه ثيف وعشرون قراءة (٤)

وجمع أبو بكر الداجوني المتوفى سنة ٣٢٤ هـ كتاباً في القراءات أدخل فيه أبو جعفر أحد العشرة (٥) .

واقصر ابن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٤ هـ أيضاً على قراءات السبعة ، حسبما ذكرنا قبلاً ، وألف فيها كتابه : السبعة في القراءات .

وألف في القراءات أبو بكر الشذائي المتوفى سنة ٣٧٠ هـ (٦) .

وألف أبو بكر بن مهران المتوفى سنة ٣٨١ هـ في قراءات العشرة (٧) .

وألف الخزاعي المتوفى سنة ٤٠٨ هـ كتابه : « المتنى » الذي جمع فيه ما لم يُجمع من

(١) النشر ج ١ ص ٣٤ . وابن سلام لغوي ثقة محدث ، وقد تكلمنا عنه في حاشية أخرى ، وانظر ترجمته في :

حاجي خليفة : كشف الظنون - ١٢٠٤

وابن الأثير : النهاية ج ١ ص ٤ و ٥ .

والقفطي : إنباه الرواة على إنباه النحاة ج ٣ ص ١٢ - ٢٣ .

(٢) النشر ج ١ ص ٣٤

(٣) نفس المرجع

(٤) نفس المرجع

(٥) نفس المرجع

(٦) نفس المرجع

(٧) نفس المرجع

قبله (١) ، والذي يُمثل بقراءاته للقراءات الموضوعة كما ذكرنا قبلاً أيضاً .

وألف ابن سفيان القيرواني المتوفى سنة ٤١٥ هـ كتابه : (الهداية في القراءات السبع) (٢)

وكان الظلمنكي مؤلف « الروضة » والمتوفى سنة ٤٢٩ هـ أول من أدخل القراءات إلى

الأندلس (٣) .

وألف المهدي المتوفى سنة ٤٣٠ هـ كتابه : (الهداية في القراءات) (٤) .

وألف مكّي بن أبي طالب المتوفى سنة ٤٣٧ هـ في القراءات : « التبصرة » ، و « الكشف » ،

وغير ذلك (٥) .

وألف أبو عمرو الداني المتوفى سنة ٤٤٤ هـ كتابه : « جامع البيان » في القراءات ، وفيه

أكثر من خمسمائة رواية وطريق عن القراءات السبع (٦) .

وألف الأهوازي المتوفى سنة ٤٤٦ هـ في هذا الشأن (٧) .

وألف الهنلي المتوفى سنة ٤٦٥ هـ كتابه : « الكامل » الذي جمع فيه خمسين قراءة عن

الأئمة ، وتسعاً وخمسين وأربعمائة وألف رواية وطريق (٨) .

وألف أبو عبد الله محمد بن شريح المتوفى سنة ٤٦٨ هـ كتابه : (الكافي في القراءات

السبع) (٩) .

وألف أبو معشر الطبري المتوفى سنة ٤٧٨ هـ كتاب « التلخيص في القراءات الثمان »

و « سوق العروس » ، وفيه خمسون وخمسمائة وألف رواية وطريق (١٠) .

وألف أبو القاسم عيسى بن عبد العزيز اللخمي الإسكندري المتوفى سنة ٦٢٩ هـ كتابه :

(١) نفس المرجع

(٢) ذكره صاحب (كشف الظنون)

(٣) ابن الجزري : النشر - ١ ص ٣٤ .

(٤) ذكره صاحب (كشف الظنون)

(٥) ذكر صاحب (كشف الظنون) كتاب (التبصرة) ، وقال : « في خمسة أجزاء ، وهو من أشهر مصنفاته » ،

وانظر : الحداد خلف الحسيني : الكواكب الدرية ص ٤٥ .

(٦) ابن الجزري : النشر - ١ ص ٣٤ و ٣٥

(٧) نفس المرجع ص ٣٥

(٨) نفس المرجع

(٩) ذكره صاحب (كشف الظنون) .

(١٠) ابن الجزري : المرجع السابق .

« الجامع الأكبر والبحر الأزخر » ويحتوى على سبعة آلاف رواية وطريق^(١) .

وقد ذكر ابن النديم - وكانت وفاته في أواخر القرن الرابع الهجرى - اثنين وعشرين كتاباً في القراءات كانت معروفة له^(٢) . ومن مؤلفي هذه الكتب : خلف بن هشام البزار (المتوفى سنة ٢٣٠ هـ) ، ومحمد بن سعدان (المتوفى سنة ٢٣٠ هـ أيضاً) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام الذى ألعنا إليه قبلا ، وأبو حاتم السجستاني (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ) ، وثعلب (المتوفى سنة ٢٩١ هـ) ، وابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦ هـ) ، وابن مجاهد الذى تكلمنا عنه آنفاً ، والذى كان له - كما يقول ابن النديم - كتابان : (القراءات الكبير) و (القراءات الصغير) ، وهشام بن بشير ، وأبو الطيب بن أشناس ، وعلى بن عمر الدار قطنى (المتوفى سنة ٣٨٥ هـ) ، ويحيى بن آدم (المتوفى سنة ٢٠٣ هـ) ، والواقدي (المتوفى سنة ٢٠٩ هـ) ، ونصر بن على^(٣) ، وابن كامل ، والفضل بن شاذان .

وقد اندثر بعض كتب القراءات ، وفيها كتب الأهوازي ، وابن عطية والمهدوي ، وكتاب « اللوامع » في القراءات ، وكتاب « المحتوى » للذاني^(٤) .

• • •

واختار جمهور المسلمين القراءات منذ قرون ، ولكن القراء ظلّوا يتداولونها ويروونها إلى أن كُتِبَت العلوم ودُوِّتْ ، فكُتِبَت فيما كُتِبَ من العلوم ، وصارت القراءات - كما يقول ابن خلدون - « صناعة مخصوصة ، وعلماً منفرداً ، وتناقله الناس بالشرق والأندلس ، في جيل بعد جيل ، إلى أن ملكَ بشرق الأندلس « مجاهد » من موالى العامريين ، وكان معتباً بهذا الفن من بين فنون القرآن ، لما أخذه به مولاه المنصور بن أبي عامر ، واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان من أئمة القراء بحضرته ، فكان سهمه بذلك وافراً^(٥) . »

(١) ابن الجزرى : النشر > ١ ص ٣٥ .

وانظر : ابن الجزرى أيضاً : غاية النهاية > ١ ص ٦٠٩ - ٦١١ ،

وانظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري > ٩ ص ٣٠ .

(٢) الفهرست ص ٣٥ (ط . خياط بيروت)

(٣) لعنه نصر بن على المشهور بأبي عمرو الجهمسى ، والمتوفى سنة ٢٥٠ هـ . وانظر ترجمته في : ابن الجزرى :

غاية النهاية > ٢ ص ٣٣٧ و ٣٣٨ .

(٤) آرثر جفرى ، مقدمة كتاب « القراءات الشاذة لابن خالويه » الذى عني بنشره وتصحيحه ج . برجستراسر .

(٥) مقدمة ابن خلدون : باب علوم القرآن من التفسير والقراءات > ٣ ص ٩٩٤ و ٩٩٥ .

غير أن بعض المفكرين القدامى والمحدثين . يقولون ما قد يفهم منه أنّ القراءات مرجعها الاجتهاد لا السماع ، وأنها اختيارية تدور مع اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء :

١ - قرأ ابن عامر أحد القراء السبعة الآية : « وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَّ كَاؤُهُمْ »^(١) برفع (قتل) ونصب (أولادهم) وجر (الشركاء) ، على إضافة القتل إلى الشركاء ، والفصل بينهما بغير الظرف .

فوصف الزمخشري هذه القراءة بأنها « شئ » لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً . . . إلخ^(٢) ، وقال : « والذي حملة على ذلك أن رأى في بعض المصاحف (شركائهم) مكتوباً بالياء ، ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء ، لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم ، لوجد - في ذلك - مندوحة عن هذا الارتكاب^(٣) . »

ورد ابن المنير الإسكندري صاحب كتاب « الانتصاف »^(٤) بأنّ الزمخشري « ركب متن عمياء ، وناه في تيهاء » وقال ابن المنير : « وأنا أبرأ إلى الله ، وأبرئ حملة كتابه ، وحفاظ كلامه ، مما رامهم ، فإنه تخيل أن القراءة أئمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفاً قرأ به اجتهاداً ، لا نقلاً وسماعاً ، فلذلك غلط ابن عامر ، في قراءته هذه ، وأخذ يبين أنّ وجهة غلظه رؤيته الياء ثابتة في « شركائهم » ، فاستدلّ بذلك على أنه مجرور ، وتعين عندهم نصب (أولادهم) بالقياس . . . إلخ^(٥) .

ثم قال ابن المنير : « فهذا كله - ما ترى - ظنٌّ من الزمخشري أنّ ابن عامر قرأ قراءته هذه رأياً منه ، وكان الصواب خلافه ، والفصيح سواه ؛ ولم يعلم الزمخشري أن هذه القراءة - بنصب الأولاد ، والفصل بين المضاف والمضاف إليه - بها يعلم ضرورة أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأها على جبريل ، كما أنزلها عليه كذلك ، ثم تلاها النبي - صلى الله عليه

(١) سورة الأنعام / ١٣٧

(٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل - ١ ص ٢٥٣

(٣) نفس المرجع .

(٤) انظر ترجمة ابن المنير في : ابن شاکر الكشي : نوات الوفيات - ١ ص ١٣٢ (بتحقيق محي الدين عبد الحميد) .

(٥) انظر : ابن المنير الإسكندري : الانتصاف (بذيل الكشف) - ٢ ص ٤١ وانظر : القاسمي : المرجع السابق

وسلم - على عدد التواتر من الأئمة ، ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ، ويقرونها ، خلفاً عن سلف ، إلى أن انتهت إلى ابن عامر ، فقرأها أيضاً كما سمعها . فهذا معتقد أهل الحق في جميع الوجوه السبعة : أنها متواترة جملة وتفصيلاً . . . فلا مبالاة - بعدها - بقول الزمخشري ، ولا بقول أمثاله ممن لحن ابن عامر ، وظن أن القراءة بالرأى غير موقوفة على النقل . والحامل هو تعالى في اعتقاد أطراد الأقيسة النحوية ، فظنّها قطعية ، حتى يرد ما يخالفها ^(١) .

ويقول ابن المنير كذلك : « إن المنكر عليه - يعني ابن عامر - إنما أنكر ما ثبت أنه براء منه قطعاً وضرورة . ولولا عذر أن المنكر ليس من أهل الشائين : أعنى علم القراءة ، وعلم الأصول ، ولا يعدّ من ذوى الفتن المذكورين ، لخيف عليه الخروج من رتبة الدين ، وإنه - على هذا العذر - لنى عهدة خطيرة ، وزكّة منكورة ، تزيد على زكّة من ظن أن تفاصيل الوجوه السبعة فيها ما ليس متواتراً ، فإن هذا القائل لم يثبتها بغير النقل ، وغايته أنه ادعى أن نقلها لا يشترط فيه التواتر ، وأما الزمخشري ، فظن أنها تثبت بالرأى ، غير موقوفة على النقل ، وهذا لم يقل به أحد من المسلمين ^(٢) . »

« « «

وهنا نذكر آسفين أن كاتباً مسلماً محدثاً هو صاحب كتاب « الفرقان » أورد - في اعتراضه على القراءات - رأى الزمخشري في قراءة ابن عامر ^(٣) ، ثم لم يورد ما قاله ابن المنير وغيره رداً عليه .

« « «

وفي هذا الشأن أيضاً ، يقول أبو حيان الأندلسي ^(٤) :

« . . . وبعض النحويين أجازها ، وهو الصحيح ، لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربي الصريح المحض : ابن عامر ، الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان ، قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب ، ولوجودها أيضاً في لسان العرب في عدّة آيات . . . إلخ . ويقول أبو حيان ، في رده على الزمخشري :

« وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يردّ على عربي صريح محض قراءة متواترة موجوداً نظيرها في لسان العرب ، في غير ما بيت . وأعجب لسوء ظنّ هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين

(١) ابن المنير : الإنتصاف (بذيل الكشاف) ٢ ص ٥٣ (ط . الحلبي ١٩٦٦ م) والقاسمي : المرجع السابق .

(٢) ابن المنير : نفس المرجع ٦ ص ٢٥١٨ .

والقاسمي : نفس المرجع ص ١١٦ و ١١٧ .

(٤) البحر المحيط ٤ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ .

(٣) ص ١١٦ و ١١٧ .

تَحْيِرْتِهِمْ هَذِهِ الْأُمَّةَ ، لِنَقْلِ كِتَابِ اللَّهِ ، شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَقَدْ اعْتَمَدَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى نَقْلِهِمْ ، لَضَبْطِهِمْ ، وَمَعْرِفَتِهِمْ ، وَدِيَانَتِهِمْ « (١) .

ويقول النيسابوري :

« وَالْحَقُّ عِنْدِي - فِي هَذَا الْمَقَامِ - أَنَّ الْقُرْآنَ حُجَّةٌ عَلَى غَيْرِهِ ، وَلَيْسَ غَيْرُهُ حُجَّةٌ عَلَيْهِ . وَالْقِرَاءَاتُ السَّيِّئَةُ كُلُّهَا مُتَوَاتِرَةٌ ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ تَحْطِئَةُ بَعْضِهَا ؟ فَإِذَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْمَعْجِزُ مِثْلُ هَذَا التَّرْتِيبِ لَزِمَ الْقَوْلُ بِصِحَّتِهِ وَفَصَاحَتِهِ . . . » إلخ (٢) .

والفخر الرازي ، عند تفسيره لقوله تعالى : « وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ » (٣) يندد بالنحويين الذين يجيزون إثبات اللغة بشعر مجهول ، ثم ينسَوْنَ أَنَّ إِثْبَاتَهَا بِالْقُرْآنِ هُوَ الْأَوَّلَى . يقول الرازي :

« وَكَثِيرًا مَا نَرَى النُّحْوِيِّينَ مُتَحَيِّرِينَ فِي تَقْرِيرِ الْأَلْفَاظِ الْوَارِدَةِ فِي الْقُرْآنِ ، فَإِذَا اسْتَشْهَدُوا فِي تَقْرِيرِهَا بَيْتَ مَجْهُولٍ قَرَّحُوا بِهِ ، وَأَنَا شَدِيدُ التَّعَجُّبِ مِنْهُمْ ، فَإِنَّهُمْ إِذَا جَعَلُوا وَرُودَ ذَلِكَ الْبَيْتِ الْمَجْهُولِ عَلَى وَفْقِهَا دَلِيلًا عَلَى صِحَّتِهَا ، فَلَأَنَّ يَجْعَلُوا وَرُودَ الْقُرْآنِ دَلِيلًا عَلَى صِحَّتِهَا كَانَ أَوَّلَى . » (٤) .

ويدافع ابن الجزري عن القراءة المتواترة التي قرأها ابن عامر ، فيقول (٥) :

« ١ - وَالْحَقُّ فِي غَيْرِ مَا قَالَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ . وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِالرَّأْيِ وَالتَّشْبِهِ .

وَهَلْ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ الْقِرَاءَةَ بِمَا يَجِدُ فِي الْكِتَابَةِ مِنْ غَيْرِ نَقْلِ ؟

٢ - بَلِ الصَّوَابُ جَوَازٌ مِثْلُ هَذَا الْفَصْلِ ، وَهُوَ الْفَصْلُ - بَيْنَ الْمَصْدَرِ وَفَاعِلِهِ الْمُضَافِ

إِلَيْهِ - بِالْمَفْعُولِ ، فِي الْفَصِيحِ وَالتَّشَابُهِ الذَّائِعِ اخْتِيَارًا .

وَلَا يَخْتَصُ ذَلِكَ بِضُرُورَةِ الشَّعْرِ (٦) .

٣ - وَيَكْفِي - فِي ذَلِكَ - دَلِيلًا هَذِهِ الْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي بَلَغَتْ التَّوَاتُرَ .

(١) المرجع السابق

(٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان - ٨٥ ص ٣٧

(٣) سورة النساء / ١

(٤) التفسير الكبير - ٣ ص ١٩٣

(٥) انظر : النشر - ٢ ص ٢٦٣ و ٢٦٤ والألفاظ لابن الجزري ، وليس لنا غير ترقيم فقرات هذا الدفاع .

(٦) انظر في جواز مثل هذا الفصل : الصَّبَّان - محمد بن عليّ : حاشيته على شرح الأشموني لألفية ابن مالك

- ٤ - كيف ، وقارئها ابن عامر من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة ، كعثمان ابن عفان ، وأبي الدرداء ، رضى الله عنهما ؟
- ٥ - وهو - مع ذلك - عربى صريح من صميم العرب ، فكلامه حجة ، وقوله دليل ، لأنه كان قبل أن يُوجد اللحن ويتكلم به .
- ٦ - فكيف ، وقد قرأ بما تلتى وروى وسمع ورأى ، إذ كانت كذلك فى المصحف العثمانى المجمع على اتباعه ، وأنا رأيتها فيه كذلك ؟ (١) .
- ٧ - مع أن قارئها : لم يكن خاملاً ، ولا غير متبع ، ولا فى طرف من الأطراف ليس عنده من يتكر عليه إذا خرج عن الصواب ، فقد كان فى مثل دمشق التى هى - إذ ذاك - دار الخلافة ، وفيها الملك ، والمأتى إليها من أقطار الأرض فى زمن خليفة هو أعدل الخلفاء وأفضلهم بعد الصحابة : الإمام عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - أحد المجتهدين السبعين المقتدى بهم من الخلفاء الراشدين .
- ٨ - وهذا الإمام القارىء - أعنى : ابن عامر - مُقلِّد ، فى هذا الزمن الصالح ، قضاء دمشق ، ومشيختها ، وإمامة جامعها الأعظم : الجامع الأموى أحد عجائب الدنيا ، والوفود به من أقطار الأرض ، محل الخلافة ودار الإمارة .
- هذا ، ودار الخلافة - فى الحقيقة - حيثئذ بعض هذا الجامع ، ليس بينهما سوى باب يخرج منه الخليفة .
- ٩ - ولقد بلغنا عن هذا الإمام أنه كان فى حلقة أربعمائة عريف ، يقومون عنه بالقراءة .
- ١٠ - ولم يبلغنا عن أحد من السلف - رضى الله عنهم - على اختلاف مذاهبهم ، وتباين لغاتهم ، وشدة ورعهم ، أنه أنكر على ابن عامر شيئاً من قراءته ، ولا طعن فيها ، ولا أشار إليها بضعف .
- ١١ - ولقد كان الناس - بدمشق ، وسائر بلاد الشام ، حتى الجزيرة الفراتية ، وأعمالها - لا يأخذون إلا بقراءة ابن عامر ، ولا زال الأمر كذلك إلى حدود الخمسمائة . وأول من نعلمه أنكر هذه القراءة وغيرها من القراءة الصحيحة ، وركب هذا المحذور : ابن جرير الطبرى ، بعد الثلثمائة . وقد عدَّ ذلك من سقطات ابن جرير ، حتى قال السخاوى :

(١) وإنما - مع إيماننا بصحة هذه القراءة وتواترها ، نسأل ابن الجزرى : هل كانت مصاحف عثمان مضبوطةً بأشكال حتى تتبين له فيها قراءة ابن عامر ؟ إن المرجح فى تلقى القرآن وقراءته هو التلقى الشفهى ، وكفى به مرجحاً .

قال لي شيخنا أبو القاسم الشاطبي :

« إياك وطعن ابن جرير على ابن عامر » .

ولله درّ إمام النحاة : أبي عبد الله بن مالك - رحمه الله - حيث قال في « كافية

الشافية » :

وحجّتي قراءة ابن عامر فكم لها من عاضد وناصر

١٢ - وهذا الفصل الذي ورد في هذه القراءة ، فهو منقول من كلام العرب من فصيح

كلامهم ، جيّد من جهة المعنى أيضاً :

أما وروده في كلام العرب :

(أ) فقد ورد في أشعارهم كثيراً :

أنشد من ذلك سيبويه ، والأخفش ، وأبو عبيدة ، وثلعب ، وغيرهم . . . مالا يُنكر ،

مما يخرج به كتابنا عن المقصود .

(ب) وقد صح من كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « فهل أنتم تاركو لي

صاحبي ؟ »^(١) . ففصل - بالجاء والمجرور - بين اسم الفاعل ومفعوله ، مع ما فيه من

الضمير المنوي ، ففصل المصدر بخلوه من الضمير أوّل بالجواز .

(ج) وقرئ : « فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعَدِيهِ رُسُلَهُ »^(٢) .

وأما قوته ، من جهة المعنى :

فقد ذكر ابن مالك ذلك من ثلاثة أوجه :

(١) قول النبي صلى الله عليه وسلم : « فهل أنتم تاركو لي صاحبي » وروّاه في صحيح البخاري ، في كتاب فضائل

الصحابة ، في حديث أبي الدرداء ، والنص :

« إِنَّ اللَّهَ يَهْتِنُ إِلَيْكُمْ ، فَقُلْتُمْ : كَذِبٌ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقَ ، وَوَسَّاسِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ

تَارِكُو لِي صَاحِبِي ؟ (مرتين) »

وينقل ابن حجر العسقلاني أحد توجيهي لهذه العبارة ، وهو أن يكون (صاحبي) مضافاً ، وفصل بين المضاف

والمضاف إليه بالجاء والمجرور عبارة بتقديم لفظ الإضافة ، وفي ذلك جمع بين إضافتين إلى نفسه تعظيماً للصديق ، ونظيره :

قراءة ابن عامر : « وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ » ، بنصب (أولادهم) وحذف (شركائهم) .

وفصل بين المضافين بالمفعول . (انظر : فتح الباري ج ٧ ص ٢٦ ط . محب الدين الخطيب) .

(٢) سورة إبراهيم / ٤٧ .

وفي العكبري : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن (ص ٧١) :

« الرسل : مفعول أول ؛ والوعد : مفعول ثان ؛ وإضافة (مخلف) إلى (الوعد) : اتّسع . والأصل : مخلف رسله

وعده ، ولكن ساء ذلك لما كان كل واحد منهما مفعولاً ، وهو قريب من قولهم : « يا سارق الليلة أهل الدار » ، حيث

اتّسع في الظرف (أي الليلة) ، فنصب نصب المفعول به ، ثم وقعت الإضافة إليه على هذا الحدّ .

(أحدها) : كون الفاصل **فُضِّلَة** (١) ، فإنه - لذلك - صالح لعدم الاعتداد به .
 (الثاني) : أنه غير أجنبي معنى ، لأنه معمول للمضاف هو والمصدر .
 (الثالث) : أن الفاصل مقدر التأخير لأن المضاف إليه مقدر التقديم ، لأنه فاعل في المعنى ، حتى إن العرب ، لو لم تستعمل مثل هذا الفصل ، لاقتضى القياس استعماله ، لأنهم قد فصلوا - في الشعر - بالأجنبي كثيراً ، فاستحق الفصل بغير أجنبي أن يكون له مزية ، فيحكم بجوازه مطلقاً .

وإذا كانوا قد فصلوا بين المضافين بالجملة في قول بعض العرب : « هو غلامٌ - إن شاء الله - أخيك » ، فالفصل بالمفرد أسهل .

١٣ - ثم إن هذه القراءة قد كانوا يحافظون عليها ، ولا يرون غيرها :

قال ابن ذكوان : (شركائهم) بياء ثابتة في الكتاب والقراءة .

قال : وأخبرني أيوب - يعني : ابن تميم شيخه - قال :

قرأت على أبي عبد الملك قاضي الجند : « زَيْنَ لَكثير من المشركين قتلَ أولادهم شركائهم »
 قال أيوب :

فقلت له : إن في مصحفى ، وكان قديماً ، « شركائهم » ، فمحا أبو عبد الملك الياء ، وجعل مكان الياء واوا .

قال أيوب :

ثم قرأت على يحيى بن الحارث : « شركائهم » ، فرد على يحيى : « شركائهم » ، فقلت له : إنه كان في مصحفى بالياء ، فَحُكَّتْ ، وَجُعِلَتْ واوا .

فقال يحيى : أنت رجل مَحَوْتَ الصواب ، وكتبت الخطأ ، فرددتها في المصحف على الأمر الأول .

(ب) وكتب الزمخشري أيضاً عند تفسير آية : « هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً » (٢) أن عمرو بن عبيد قرأ كلمة (الحق) بالنصب على التأكيد ، كقولك : هذا عبد الله الحق لا الباطل .

(١) **الْفُضِّلَة** (بالضَّمِّ وسكون الضاد المعجمة) : ما يقابل المُؤنَّة ، كالحال والمفعول ونحوهما ، مما ليس بجملة مستقلة ولا بركن كلام .

وقد يطلق على ما يزيد على أصل المراد ، ولا يفوت المراد بحذفه .

(انظر مثلاً : التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون - ص ١١٤٢ - الطبعة المصورة - خياط بيروت)

(٢) سورة الكهف / ٤٤ .

وقال الزمخشري : « وهى قراءة حسنة فصيحة . وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم »^(١) .

وهذا - كما يقول ابن المنير الإسكندري - « يوهم أن القراءات موكولة إلى رأى الفصحاء واجتهاد البلغاء ، فتفاوتت فى الفصاحة لتفاوتهم فيها »^(٢) .

وقد هوجم الزمخشري فى هذا أيضاً ، فقيل إن قوله « منكر شنيع » ، وإن الحق « أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ إلا بما سمعه فوعاه بقلوبهم فيه - صلى الله عليه وسلم - متزكياً كذلك من السماء ، فلا وقع لفصاحة الفصيح ، وإنما هو ناقل كغيره »^(٣) .

وقيل - فى مهاجمة الزمخشري - إنه « لا يفوته الثناء على رأس البدعة ومعدن الفتنة ، فإن عمرو بن عبيد أول مصمم على إنكار القدر ، وهلم جراً ، إلى سائر البدع الاعتزالية ، فمن ثم أتى عليه »^(٤) .

وقال الناقدون إن الزمخشري « لم يكن له - على ما عنده من العلم - لقاء ولا رواية »^(٥) .

وابن عامر الذى عاب الزمخشري قراءته هو فى الطبقة الأولى من التابعين ، وقراءته ليست هيئة السند . وقد كان يقرأ بها المقدسى صاحب « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » ، فسأله أحد القضاة :

« أنت رجل متفقه لأهل الكوفة ، فلمَ لم تقرأ بحروفهم ؟ وما الذى أمالك إلى قراءة ابن عامر ؟

قال المقدسى : قلت : خلال أربع :

قال القاضى : وما هن ؟

قلت : أما (الأولى) فإن ابن مجاهد روى - عن ابن عامر - ثلاث روايات :

(إحداهن) أنه قرأ على عثمان بن عفان .

(والثانية) أنه سمع القرآن من عثمان وهو صبي .

(والثالثة) أنه قرأ على من قرأ على عثمان .

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج ١ ص ٤٧٤ .

(٢) انظر : الانتصاف (بديل الكشاف) ج ٢ ص ٣٩٢ .

(٣) انظر : القاسمى : محاسن التأويل ج ١ ص ٣٠٢ و ٣٠٣ .

(٤) انظر : المرجع السابق .

(٥) انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٨٧ - ترجمة ٢٣٥ ط . محيى الدين عبد الحميد .

وليس هذا لغيره من أئمة القراء ، بل بين كلِّ واحد وبين عليّ ، وعبد الله ، وبيّ ، وابن عباس ، رجلاً أو ثلاثة .

فَمَنْ بَيْنَهُ وبين عثمان الذي قد أجمع المسلمون على مصحفه ، وانفقوا على جمعه ، وتداولوه رجل : أَحَقَّ بأن يُقرأ له مِمَّن بَيْنَهُ وبين من لا يُستعمل جمعه ، ولا وقع الاتفاق على مصحفه ، رجلاً أو ثلاثة . . . الخ (١) .

وقد كان مما قيل عن ابن عامر « إنه لم يتعدَّ - فيما ذهب إليه - الأثر ، ولم يقل قولاً يخالف فيه الخبر ، (٢) .

(ح) وقد ردَّ آخرون - وخاصة من النحويين - على بعض القراء في اختياراتهم منكرين ومخطئين (٣) .

ولكن الجمهور على غير رأى النحويين :

يقول الزركشي في اعتراضاتهم على أئمة القراءة : « وهذا تحامل ، وقد انعقد الإجماع على صحة قراءة هؤلاء الأئمة ، وأنها سنة متبعة ، ولا مجال للاجتهاد فيها . ولهذا قال سيبويه في كتابه ، في قوله تعالى « مَا هَذَا بَشَرًا » (٤) : « وبنو تميم يرفعونه إلا مَنْ درى كيف هي في المصحف ، وإنما كان كذلك لأن القراءة سنة مروية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ولا تكون القراءة بغير ما روى عنه (٥) .

ويقول الداني في كتابه « جامع البيان » :

« وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفتشى في اللغة ، والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل . والرواية - إذا ثبتت عندهم - لا يردها قياس عربية ولا فشو لغة ، لأنَّ القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها » (٦) .

وعلى ذكر الاعتماد على القياس في أمور الدين ، نشير هنا إلى عبارة لأبي حيان التوحيدى ، يقول : « وما أحوج الناظر في الدين إلى حُسن الظنِّ واليقين ، وإلى متن متين فيه ! فإنه متى حاول معرفة كلِّ شيء بالرأى والقياس كلَّ وملاً ، ومتى استرسل مع كلِّ شيء

(١) أحسن التماسيم ص ١٤٢ (ط . ليدن) .

(٢) ابن الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٦١ .

(٣) انظر : أمثلة هذا في النشر لابن الجزرى ج ١ ص ١٠ .

(٤) سورة يوسف / ٣١ .

(٥) انظر : الزركشي : البرهان ج ١ ص ٣٢١ و ٣٢٢ .

(٦) انظر : ابن الجزرى : النشر ج ١ ص ١٠ و ١١ .

زلّ و ضلّ» (١) .

هذا ، مع أنّ مواهب التوحيدى الإسلامية لم تكن أنصح مواهبه .
ويقول ابن تيمية ، في هذا الباب أيضاً : « كان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة
والتابعين لهم بإحسان : أنه لا يُقبل من أحد قطّ أن يعارض القرآن ، لا برأيه ، ولا ذوقه ،
ولا معقوله ، ولا قياسه ، ولا وجده . . . إلخ » (٢) .

ويقول : « لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بنقل ورأى وقياس .
ولا بذوق ووجد ومكاشفة . . . إلخ » (٣)

وكلام الزمخشري - على ما يبدو - فاتن ، وقد تورّط في متابعتها البيضاوى المفسّر ،
فكان لذلك نكيراً عند عليّ بن سلطان القارى ، إذ يقول : « والعجب من البيضاوى - مع
أنه من أئمة أهل السنّة - تبعه (يعنى : الزمخشري) ، في هذه القضية ، كما بيّنته في
تخرّيج قراءاته من تفسيره بالحاشية المستقلة ، وأوضحت فيه من تقصيره وتغييره ، ونقصان
في تعبيره » (٤) .

(د) وورد عن بعض المشتغلين بالقرآن ما يستفاد منه أن القراءات متفاوتة القدر ،
كأنها ليست نقلاً خالصاً ، وأن إحداها أحبّ إليهم من غيرها (٥) ، وأن لكل قراءة خصيصة
مرجعها صاحب القراءة :

روى ابن الجزرى عن أحد من ترجم لهم من القراء ، وهو أبو العباس الطنافسى
البغدائى أنه قال : « من أراد أحسن القراءات فعليه بقراءة أبى عمرو ، ومن أراد الأصل
فعليه بقراءة ابن كثير ، ومن أراد أفصح القراءات فعليه بقراءة عاصم ، ومن أراد أغرب
القراءات فعليه بقراءة ابن عامر ، ومن أراد الأثر فعليه بقراءة حمزة ، ومن أراد أظرف
القراءات فعليه بقراءة الكسائى ، ومن أراد السنّة فعليه بقراءة نافع » (٦) .

ويستفاد من هذا القيل الخطير أن قراءة أحسن من قراءة ، وأن قراءة هى الأصل وغيرها
ليس أصلاً ، وأن قراءة أفصح وأخرى فصيحة ، وقراءة غريبة وغيرها أقل غرابة أو ليست

(١) البصائر والذخائر المجلد ١ ص ٩٨ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية - مقدّمة التفسير - ١٣ ص ٢٨ (ط . السعودية) .

(٣) نفس المرجع .

(٤) شرح العقيلة ص ٦ و ٧ من المخطوطة رقم ٢٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٥) انظر على سبيل المثال : القراء : معانى القرآن ج ١ ص ١٤٣ ، عند الكلام عن قوله تعالى : « لا يحزّئهم الفزع

الأكبر » (سورة الأنبياء ، ١٠٣) .

(٦) غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٧٥

غرية . وقراءة هي الأثر وما عداها ليس أثراً . وقراءة هي أطرف من قراءة ، وقراءة هي السنة وغيرها دونها سنة .

وعندنا أن هذا خطأ غليظ ما كان يحق للطنافسي بحال أن يذهب إليه . فالقراءات - لا بد - توقيفية ، وليست اختيارية ، وإلا وجد الشك والوهم سيليهما إلى آى الكتاب .
والعجيب أن مكى بن أبى طالب ينهج نفس ذلك النهج ، فيقول : « وأصحّ القراءات سنداً : نافع . وعاصم ، وأفصحها : أبو عمرو ، والكسائي » (١) .
وحتى الطبرى المفسر يفاضل - أحيانا ، وعلى نحو ما - بين القراءات مفاضلة نسوق هنا لها الأمثلة :

١ - فهو فى تفسير قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَعْمِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَاقِ . وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ » (٢) يتكلم عن كيف قرئت « وأرجلكم » منصوبة وبالخفض ، ثم يقول : « غير أن ذلك وإن كان كذلك ، وكانت القراءتان كلتاهما حسناً صواباً . فأعجب القراءتين إلى أن أقرأها قراءة من قرأ ذلك خفضاً . » (٣) .

٢ - وفى قوله تعالى : « وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ » (٤) ، يقول الطبرى بعد الكلام عن خفض « الأنصار » ورفعها : « والقراءة التى لا أستجيز غيرها : الخفض فى (الأنصار) » (٥) .

٣ - وفى قوله تعالى : « أَقَمْنَا بُيُوتَهُ عَلَى ثَمَنِ جَرَفٍ هَارٍ . . . » (٦) ذكر الطبرى أن فعل « أسس » بئى للمجهول فى المرتين كلتيهما فى قراءة ، وبئى للمعلوم فى قراءة أخرى ، ثم قال : وهما قراءتان متضقتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن قراءته بتوجيه الفعل إلى « مَنْ » - إذ كان « مَنْ » المؤسس - أعجب إلى : (٧) .

(١) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج ٩ ص ٢٦

(٢) سورة المائدة / ٦

(٣) جامع البيان ج ٦ ص ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ .

(٤) سورة التوبة / ١٠٠ .

(٥) جامع البيان ج ١١ ص ٧

(٦) سورة التوبة / ١٠٩

(٧) جامع البيان ج ١١ ص ٢٤

٤ - وفي قوله تعالى : « قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَحْمَةً مِّنْ عِنْدِي فَعِمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْنَاهُمْ لَهَا كَرِهُونَ » (١) ، قال الطبري : إن أولي القراءتين عنده بالصواب قراءة « فَعِمِّيَتْ » بضم العين وتشديد الميم (٢) .

٥ - وكذلك وصف الطبري قراءة من قرأ : « ماذا ترى » بفتح التاء في قوله تعالى : « قَلَمًا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبِيئُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ » (٣) ، بأنها أيضاً أولى القراءتين بالصواب (٤) .

٦ - وفي قوله تعالى : « مَا نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ » (٥) ، ذكر الطبري أنه يحب قراءتين يجب أن لا يعدوهما قارئاً (٦) .

• • •

ونحن - حتى من الناحيتين البلاغية والدلوقية - نقرر ، بنفس الموضوعية التي نلتزمها في هذا البحث التزاماً ، أننا نرفض أحكام الطبري الآتفة ولا نسيغ هواه :

فأية قراءة ثابتة القرآنية استجازها الطبري أو لم يستجزها : هي - عند المسلمين خاصتهم وعامتهم في كل زمان ومكان - ليست جائزة فحسب ، وإنما هي واجبة وجوباً ، لسبب أساسي هو أنها بعض النص القرآني المعجز دائماً بلفظه ومعناه كليهما .

وأية قراءة ثابتة القرآنية تعجب الطبري أو لا تعجبه . وتنزل على هواه وفهمه أو لا تنزل : هي معجبة لكل المسلمين على اختلاف مراتبهم في الفصاحة والبلاغة ، وفي كل زمان ومكان أيضاً . فإذا شذ عنهم فرد ، فالأصح في الفهم ، والأعدل في الحكم ، أن يكون هذا الفرد وحده هو الذي زاغ بصره ، ومال ميزانه .

وأية قراءة ثابتة القرآنية ينكر الطبري أولويتها بالصواب ، أو لا ينكرها : هي بالضرورة من الصواب في اللباب ، لأنها منزلة هكذا على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومكتوبة هكذا في مصاحف المسلمين ، ومنقولة هكذا بالتواتر منذ عهد النبوة .

وأية قراءة ثابتة القرآنية يرى الطبري القراءة بها أو لا يرى : هي مما يجب أن يقصد إليه المسلم قصداً ، لأنها قرآن يتعبد بتلاوته ، ولا يحل للمسلمين اتخاذه مهجوراً .

(٤) جامع البيان ج ٢٣ ص ٥٠

(١) سورة هود / ٢٨

(٥) سورة الحجر / ٨

(٢) جامع البيان ج ١٢ ص ١٨

(٦) جامع البيان ج ٣٠ ص ٢١٩

(٣) سورة الصافات / ١٠٢

وهلأ قال ابن جرير - رحمه الله - عن القراءات التي لزمها إنه يختارها ، ثم لم يزد !

هذا ، ولو أطعنا الطبري في تلك المفاضلات لكنا ممن يُعمل الاجتهاد - "آن ، وهو مالا يجوز فيه الاجتهاد .

والقرآن - بلا ريب - أجل وأخطر من أن يقرأه مسلم برأيه المجرد .

والقراءة - كما يقرر المسلمون ، وكما ذكرنا قبلاً - سنة متبعة (١)

وقد كان رؤساء الصحابة ينكرون تفضيل قراءة على قراءة من أى وجه (٢) .

وقد حكى أبو عمر الزاهد في كتاب « اليواقيت » عن ثعلب أنه قال : إذا اختلف الإعرابان في القراءات لم أفضل إعراباً على إعراب ، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأتوى (٣) .

وقال أبو جعفر النحاس : « السّلامة عند أهل الدين - إذا صحت القراءتان - أن لا يقال : إحداهما أجود ، لأنهما جميعاً عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فيأثم من قال ذلك (٤) .

وقال أيضاً - وقد حكى اختلافهم في ترجيح « فك رقية » في سورة « البلد » بالمصدرية والفعلية - : « والديانة تحظر الطعن على القراءة التي قرأ بها الجماعة ، ولا يجوز أن تكون مأخوذة إلا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - . . . » (٥) .

وقد روى عن صالح بن أحمد بن حنبل أنه سأل أباه : أى القراءات أحب إليك ؟ قال : قراءة نافع . قال صالح : فإن لم توجد ؟ قال : قراءة عاصم (٦) . بيد أن التعبير الخليق - في ظننا - بأحمد بن حنبل هو ما ورد في رواية أخرى من أنه أجاب في شأن عاصم : « أهل الكوفة يختارون قراءته وأنا أختارها » (٧) .

(١) انظر : الزركشى : البرهان ج ١ ص ٣٢١ و ٣٢٢

(٢) انظر : السيوطي : الإتقان - ١ ص ٨٣

(٣) انظر : نفس المرجع .

(٤) انظر : نفس المرجع .

(٥) انظر : الزركشى : البرهان ج ١ ص ٣٣٩ و ٣٤٠

(٦) السيوطي : المرجع السابق

(٧) انظر : أبو شامة : إبراز المعاني من حرز الأمانى ص ٦

وقد قيل ، في باب من أبواب اختلاف القراءات من حيث قراءة الضمير للغية عند قارئ وقراءته للخطاب عند قارئ آخر : إذا أقرأ بعضهم بالياء وبعضهم بالفاء لم يكن واحد منهما خارجاً عن المصحف^(١) . يقول ابن تيمية ، في تأييد ما ذكرنا : « وما يوضح ذلك : أنهم يتفقون في بعض المواضع على ياء أو تاء ، ويتنوعون في بعض . كما اتفقوا في قوله تعالى : « وَمَا اللَّهُ بِعَفْلٍ بَعْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » في موضع ، وتنوعوا في موضعين »^(٢) .

والمسلمون - منذ كانوا - ينعون عن قراءة وسماع ما لم تعلم قرآنيته ، وما لم يُنقل متواتراً عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فإذا عاشت رواية قرآنية ولم ينكرها أحدٌ من المسلمين فلأنها مما ثبت أمام القواعد التي تقرر لإحدى الآيات قرآنيها وتواترها ، ولا تقرر لكلام آخر القرآنية والتواتر .

ومع ذلك فما زال بعض الناس يطرحون المبالاة بهذا الحق الواضح ، ففي شرح كتاب « كثر العرفان في فقه القرآن لجمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري المتوفى سنة ٩٢٦ هـ »^(٣) . يقول الشارح^(٤) بأن : « القراءات غير متواترة ، بل إنما هي اجتهاد من القراء ، أو نقل آحاد لم يثبت عن النبي ، صلى الله عليه وسلم »^(٥) ، وهو قول ينقضه تماماً ما ذكرناه .

١٠

ويعزو « طه حسين » القراءات إلى القراء من القبائل . يقول في كتابه : « في الأدب الجاهلي » :

« إن القرآن الذي تلى بلغة واحدة ولهجة واحدة هي لغة قريش ولهجتها لم يكذب يتناوله القراء من القبائل المختلفة حتى كثرت قراءاته ، وتعددت اللهجات فيه ، وتباينت تبايناً كثيراً جداً القراء والعلماء المتأخرون في ضبطه وتحقيقه ، فأقاموا له علماً أو علوماً خاصة »^(٦) .

(١) ابن تيمية : في قول النبي صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وما المراد بهذه السبع ص ٥٥

(٢) نفس المرجع ص ٥٦

(٣) مطبوع بظهران سنة ١٣٨٤ هـ

(٤) واسمه محمد باقر شريف زاده

(٥) ص ١ = ٤٤

(٦) في الأدب الجاهلي ص ٩٨

فهو يرى أن القراءات ليس سببها أن القرآن هكذا أنزل ، أو هكذا أذن الله في أن يُقرأ ، أو هكذا قرأه النبي صلى الله عليه وسلم .

(أ) وهو رأى يقتضى الشك في أن تكون قراءتنا هي نفس قراءة النبي (ص) . وإذا كان النبي - طبقاً لهذا الرأى - لم يقرأ إلا بقراءة واحدة ، ولم يجز القراءة بغيرها ، فهل قراءته هذه ، هي التي قرأ بها - فيما بعد - نافع وراوياه الأشهران ، أم هل هي قراءة ابن كثير وراويه المختارين ؟ ومن من القراء العشرة ورواتهم الذين اعتمدهم المسلمون قرأ بهذه القراءة الواحدة ؟

(ب) وإذا سلمنا - جديلاً فقط - بأن اختلاف الإظهار والإدغام والرؤم والإشمام ، والتضخيم والترقيق ، والمد والقصر ، والإمالة والفتح ، والتحقيق والتسهيل ، والإبدال ونقل مما يعبر عنه اصطلاحاً بالأصول . . . إذا سلمنا - جديلاً - بأن الوحي لم ينزل بهذا ، فماذا نقول في اختلاف ضبط الحركات سواء أكانت حركات بنية أم حركات إعراب ؟ هل نقول إن اختلاف اللهجات هو سبب اختلاف القراء في مثل نصب « الطير » في الآية : « يُجِبَالُ أَوْي مَعَهُ وَالطَّيْرُ » ^(١) ورفعها ؟ ^(٢) .

وهل اللهجات هي سبب الاختلاف في قراءة : « وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِتُرَوْلَ مِنْهُ الْجِبَالُ » ^(٣) بفتح اللام الأولى ورفع الأخرى ، وبكسر الأولى وفتح الثانية ^(٤) ؟
وهل اللهجات هي سبب الاختلاف في قراءة : « لَنْ تُخْلَقَهُ » ^(٥) ، بفتح اللام وبكسرهما ^(٦) ؟

وهل اللهجات هي سبب الاختلاف في قراءة : « رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا » ^(٧) ، بنصب

- (١) سورة سبأ / ١٠
- (٢) بقراء رُوِّح رفع الراء من « والطيْرُ » (الديماطي البنا : الإنحاف ص ٣٥٨) .
- (٣) سورة إبراهيم / ٤٦ .
- (٤) يقرأ الكسائي بفتح اللام الأولى ورفع الثانية ، والباقر بن بكسر الأولى ونصب الثانية (انظر : الديماطي البنا : الإنحاف ص ٢٧٣) .
- (٥) سورة طه / ٩٧
- (٦) قرأ نافع ، وعاصم ، وابن عامر ، وحزمة والكسائي : « لَنْ تُخْلَقَهُ » بفتح اللام . وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : « لَنْ تُخْلَقَهُ » ، بكسر اللام (انظر ابن مجاهد : السبعة ص ٤٢٤) .
- (٧) سورة سبأ / ١٩

لفظ « رَبَّنَا » على النداء ، وقراءة : « رَبَّنَا » بَعَدَ بَيْنَ أَصْفَارِنَا « بضم الباء على الابتداء (١) ؟ وماذا نقول في اختلافات في القراءة تقع في حروف الكلمات دون إعرابها مما يغيّر معناها ولا يغيّر صورتها ، نحو قوله : « تَبَلَّوْا » و « تَتَلَّوْا » (٢) ، ومثل « عِنْدَ الرَّحْمَنِ » و « عِنْدَ الرَّحْمَنِ » (٣) هل يمكن أن تنشأ - عن تعدّد اللهجات وتباينها - مثل هذه الاختلافات المختارة بغير تعمل ؟

(ح) والقوانين الطبيعية العامة التي تجعل اللغة تتجه في تطورها الصوتي عند كلّ جماعة من الجماعات الناطقة بها وجهة خاصة ، والتي كانت على عهد نزول القرآن قد أحدثت اختلاف اللهجات بين القبائل العربية . . . هذه القوانين ما انفكت تعمل عملها في اللغات الإنسانية ، فهي - في اللغة العربية - ما برحت تولّد اللهجات المتباينة بين الناطقين بها . وهو تباين نلمسه جيداً في عامية مصر ، وعامية نجد والحجاز ، وعامية العراق ، وعامية اليمن وعامية المغرب .

وإذا كان تعدّد اللهجات سوغ قديماً لقراء القبائل المختلفة أن يكثرُوا من قراءات القرآن بما يوافق لهجاتهم ، وأن يدعُوا هذه اللهجات تعدّد في القرآن ، وهذا كلّهُ من تلقاء أنفسهم ، وليس بتوجيه من النبيّ (ص) ، فإنه لا حرج إذن - في ظلّ هذا المذهب الظاهر الفساد - من أن تمضى قراءات القرآن في الكثرة ، ولهجاته في التعدد ، فمثلاً ، لا حرج - في ظلّ هذا المذهب - وقد تحوّلت الثاء إلى تاء ، وأحياناً إلى سين في بعض المناطق العربية ، وتحولت القاف إلى جيم غير معطّشة في بعض هذه المناطق ، وإلى همزة في مناطق

(١) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وهشام أحد الراويين الأشهرين لابن عامر ينصب لفظ « رَبَّنَا » على النداء . و « بَعْدَ » بكسر العين المشدّدة بلا ألف : فعل طلب ، اجترأه منهم ونظراً .
وقرأ يعقوب : « رَبَّنَا » بضم الباء على الابتداء ، و (باعد) خبر ، على أنه شكوى منهم لبعدهم سفرهم إفراطاً في الترفه وعدم الاعتدال بما أنعم الله به عليهم .

وقرأ الباقون : « رَبَّنَا » بالنصب « باعد » بالألف وكسر العين وسكون الدال . (نظر : الديمياطي لنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٣٥٩)

(٢) سورة يونس / من الآية ٣٠

وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وابن عامر : « تَبَلَّوْا » بالياء .
وقرأ حمزة ، والكسائي : « تَتَلَّوْا » بالياء (أنظر : ابن معاهد : السبعة ص ٣٢٥)
ومعنى « تبلّوا » : تخبّر ، ومعنى (تتلوا) نقرأ .

(٣) سورة الزخرف / من الآية ١٩

وقرأ أبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف : « عباد » بألف بعد الباء ، ورفع الدال (جمع عند) وقرأ الباقون : « عند » بالنون الساكنة ، ورفع الدال بلا ألف ظرفاً (أنظر : الديمياطي لنا : الإتحاف ص ٣٨٥)

أخرى ، وتحولت الذال إلى زاي ، وتضاءلت أصوات اللين الطويلة حتى كادت تنقرض^(١) . لا حرج من أن يقرأ القارى : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ » أو (مسأل) أو (مسجال) ززة ، بدلاً من قوله . « إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ »^(٢) ، ويقرأ : « فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَوْ وَلَدًا ، وَوَرِثَهُ أَبِيهِ فَلَأَمَّهُ الثَّلْثُ » ، « فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهِيَ شُرَكَاءُ فِي الثَّلْثِ » ، بدلاً من قوله تعالى : « فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبِيهِ فَلَأَمَّهُ الثَّلْثُ » . . . وقوله « فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهِيَ شُرَكَاءُ فِي الثَّلْثِ »^(٣) . ويقرأ : « فَإِنْ أَعْرَضُوا فَجَلُّ » أو « فَأُولَ » أنزوتكم « صَعَاةٌ » أو « صَعِجَةٌ » مِثْلُ « صَعَاةٌ » أو « صَعِجَةٌ » عاد وسعود ، بدلاً من قوله سبحانه : « فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَعِجَةً مِثْلَ صَعِجَةِ عَادٍ وَثَمُودَ »^(٤) .

ومن أسهل السهل أن نورد من هذا القبيل مئات الأمثلة أو ألوفها ، ولكننا نختري بما ذكرنا لكفايته في إثبات أن ترك القرآن للناس يقرأونه بما يشتهون من قراءات وما يؤثرون من لهجات - كما ظن طه حسين - هو ، في كلمة موجزة ، إلغاء للقرآن .

ولطه حسين - في شأن القراءات - رأى خاطئاً ثان ، فهو يقول :

« وهنا وقفة لا بد منها ، ذلك أن قوماً من رجال الدين فهموا أن هذه القراءات السبع متواترة عن النبي ، نزل بها جبريل على قلبه ، فمنكرها كافر من غير شك ولا ريبه ، ولم يؤفَّقوا إلى دليل يستدلون به على ما يقولون سوى ما روى في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف »^(٥) .

ويعمى فيقول :

« والحق أن ليست هذه القراءات السبع من الوحي في قليل ولا كثير ، وليس منكرها كافراً ولا فاسقاً ولا معتمراً في دينه ، وإنما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها . . . للناس أن يجادلوا فيها ، وأن ينكروا بعضها ويقبلوا بعضها . . . وقد جادلوا فيها بالفعل وتجادوا ، وخطأ فيها بعضهم بعضاً ، ولم نعرف أن أحداً من المسلمين كفر أحداً لشيء من هذا . . . إلخ^(٦) »

(١) نظر : على عبد الواحد وافي : علم اللغة ص ٢٦٤ - ٣٠٠ .

(٢) سورة النساء / ٤٠ .

(٣) سورة النساء / ١١ ، ١٢ .

(٤) سورة فصلت / ١٣ .

(٥) في الأدب الجاهلي ص ٩٨ و ٩٩ .

(٦) نفس الكتاب ص ٩٩ .

وطه حسين - في ارتيابه في الأحاديث الصحيحة - إنما يتابع غالباً ، ولو لم يصرح ، تيودور نولدكه (١) صاحب كتاب « تاريخ القرآن » (٢) الذي سبق إلى مثل هذا الارتياب في أكثر ما يتعلق بتاريخ القرآن من الروايات والأحاديث وأقوال المفسرين .

ولسنا مع طه حسين ولا مع نولدكه في عدم الاعتداد بالسنة الصحيحة في الاستدلال على قرآنية القراءات ، فالحديث النبوي - إذا صح - هو عند المسلمين حجتهم القاطعة بعد القرآن (٣) .

ومع هذا ، فتحن نقاش تلك الدعاوى أيضاً عن غير طريق السنة :

- ١ - إنه ما دام أمر القراءات - بحسب قول طه حسين - أمراً تجوز فيه المجادلة والإنكار والقبول والرفض ، فإن من المنطق أن تجوز فيه الإضافة والاستحداث . ولماذا لا يقرأ كل مسلم القرآن بلهجته الخاصة على النمط الذي أشرنا إليه في فقرات سابقة ؟ ولماذا لا يقرأ أبناء البلاد الآسيوية والأفريقية القرآن بلهجاتهم ؟ ولماذا لا يقرأ المسلمون : الأمريكي والأوروبي والأسترالي كل منهم بلهجته ؟ هذه نتيجة خاطئة لمقدمة خاطئة . وقد سقنا الشواهد آنفاً على أن البشر إذ يدخلون اللهجات من عندهم في القرآن يلعونهم إلقاء ، فضلاً عن أن يبدلوه تبديلاً .
- ٢ - ثم إنه يلزم من إنكار قرآنية القراءات أن يكون رواها وعلمائها - منذ فجر الإسلام - جهلة وحمقى ، أو كذابين ومجتريين ، لا يراعون لكتابهم الأكبر حرمة ، بل يتواطؤون ضده ، على مدى الأزمان ، بأعدادهم التي لا تحصى . ويلزم أيضاً أن تكون الأمة ، منذ عهد النبي (ص) إلى يومنا هذا ، تابعت أناساً فيما جاءوا به من عند أنفسهم ، ولم يتابعوا كلام السماء .
- ٣ - فأما قول طه حسين إنه لم يعرف أن أحداً من المسلمين كفر أحداً لشيء من المجادلة في القراءات ، وإنكار بعضها ، وقبول بعضها ، فبرده الكثير مما جاء في كتب علوم القرآن وكتب السنة والتاريخ والتراجم والأدب :

(١) في لفظ لعمر بن العاص في حديث الأحرف السبعة التي نزل القرآن عليها :

Theodor Nöldeke (١)

Geschichte des Qorans (Göttingen, 1860) (٢)

(٣) نظري في أهمية السنة : مصطفى السباعي : السنة ومكاتها في التشريع الإسلامي .

عبد الحليم محمود : السنة في مكاتها وفي تاريخها .

ومحمد الحافظ التجاني : سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

والسيد سليمان الندوي : تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها .

« فأى ذلك قرأتم فقد أصبتم ، ولا تماروا فيه فإن المرء فيه كفر » ، رواه ، أو روى مثله أحمد ، وأبو عبيد ، والطبري ، والطبراني ، وابن حبان ، والحاكم^(١) .

(ب) ويقول القاضي عياض : « واعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه أو سبهما ، أو جحده أو حرفاً منه أو آية . . . أو شك في شيء من ذلك فهو كافر - عند أهل العلم - بإجماع »^(٢) .

(ج) ويروي عياض ما قاله أبو عثمان الحداد من أن جميع من ينتحل التوحيد متفقون على أن الجحد لحرف من التنزيل كفر^(٣) .

(د) وكان أبو العالية أحد أئمة القراءات إذا قرأ عنده رجل - أى بقراءة لم يعرفها - لم يقل له : ليس كما قرأت ، ويقول : أما أنا فأقرأ كذا . وهذا - كما يقول على القرزي - من كمال احتياطه في تورعه^(٤) .

ويقول على الفارسي : « فبلغ ذلك القول من أبي العالية إبراهيم النخعي أو التيمي ، فقال : أراه - بضم الهزبة - أى أظنه سمع أن من كفر بحرف منه فقد كفر به كله ، لأن الكفر ببعضه يؤذن بالكفر بأكمله ، بخلاف الإيمان ببعضه ، فإنه لا يقوم مقام الإيمان بأكمله »^(٥) .

(هـ) ويقول الطحاوي : « إن من كفر بحرف منه - فيما خلا روايات الآحاد - كان كافراً حلال الدم إن لم يرجع إلى ما عليه الجماعة »^(٦) .

(و) وقد أصدر شيخ الشافعية أبو الحسن علي بن عبد الكافي ، في هذا الشأن فتوى يقول فيها :

« القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي ، والثلاث التي هي قراءة أبي جعفر ، وقراءة يعقوب ، وقراءة خلف : متواترة ، معلومة من الدين بالضرورة ، وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهل ، وليس تواتر شيء منها مقصوراً على من قرأ بالروايات ، بل هي عند كل مسلم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، ولو كان

(١) انظر : المناوي : فيض القدير > ٤ ص ٥٣٦ . ورواية أحمد في مسنده : « . . . فإن مرة فيه كفر » .

ومفهوم أن الأحرف لسبعة التي نزل القرآن عليها هي أصل القراءات المتواترة والمشهورة .

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى > ٢ ص ٢٦٣ .

(٣) نفس المرجع ص ٢٦٤ .

(٤) شرح الشفا > ٢ ص ٤٥٢ (ط . تركيا ١٣١٠) .

(٥) مشكل الآثار ج ٤ ص ١٩٤ .

(٦) نفس المرجع .

- مع ذلك - عاماً جلفاً لا يحفظ من القرآن حرفاً . ولهذا تقرير طويل ، وبرهان عريض لا يسع هذه الورقة شرحه . وحظّ كلّ مسلم وحقه أن يدين الله تعالى ، ويجزم نفسه بأن ما ذكرناه متواتر معلوم باليقين ، لا تتطرق الظنون ولا الارتباب إلى شيء منه .^(١)

(ز) وعندما قرأ ابن شنبوذ وابن مقسم العطار وغيرهما بشواذّ من القراءات غضب المسلمون ، وأزروا بهم على التفاصيل التي سنسطها في فصل آخر ، إن شاء الله .

(ح) هذا ، والمسلمون لا يزالون ينكرون - مثل ما أنكر أولوهم - على الممارين في قرآنية القراءات المتواترة وغير الشاذة . وقد وضع أحد شيوخ المقارئ عندنا^(٢) كتاباً في هذا أسماء : « السيوف الساحقة في الردّ على منكرى القراءات من الزنادقة » .

(ط) والذين رووا القراءات هم الصحابة الذين تلقوا القرآن عن النبي نفسه ، فهم - بهاتين الصفتين : الصحبة ، والتلقّي عن النبي صلى الله عليه وسلم - أهم أصحاب الاختصاص في ذلك الشأن ، وقولهم هو - منطقياً - الأجدر بالقبول . يقول عمر بن الخطاب في أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام : « إنه سيأتي ناس يجادلونكم شبهات القرآن ، فخذوهم بالسّنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله »^(٣) .

(ي) والصحابة نقلوا الإسلام : عقائده وشرائعه ، فلم يمار أحدٌ فيما نقلوا ، فلم يماريهم في روايات القرآن الذي تقتضينا البداحة الحكم بأنه ظفر منهم قطعاً بأدقّ دقة .

(ك) ولن يُقال إنه لا محلّ للخوف من مثل أقوال طه حسين ، إذا كان الاختلاف الذي يعنيه هو الاختلاف في الصورة والشكل لا في المادة واللفظ ، كما قال طه حسين نفسه^(٤) ، ذلك أن الاختلاف حتى في الصورة أو في الشكل يُفضي إلى تغيير المعاني . وقد ترتّب على مثل هذا الاختلاف اختلاف في الأحكام ، كما حدث بالنسبة لكلمة « كَمَسَّمُ »^(٥) .

من غير ألف بعد اللام مرة ، وبألف بعد اللام مرة أخرى^(٦) ، وكلمة « يَطْهَرُنْ »^(٧) مرة بسكون

(١) انظر : ابن الجزرى : كتاب النشر - ١ ص ٤٦

(٢) خلف الحسيني الحداد .

(٣) الدارمي - المقدمة ، الباب ١٦ .

(٤) انظر : الأدب الجاهلي ص ٩٩

(٥) سورة النساء ، ضمن الآية ٤٣

(٦) بنى انفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة في « نَسَمٌ » و « لاسَمٌ » (انظر مثلاً : الطبري :

جامع البيان ج ٥ ص ٢٢٢) .

(٧) سورة البقرة ، ضمن الآية ٢٢٢

الطاء المخففة وضم الهاء ، ومرة أخرى بفتح الطاء مشددة وتشديد الهاء مفتوحة^(١) ، وكلمة «ألا» بالتخفيف والتشديد في آية : «أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»^(٢) . وكلمة «أمرنا» في قوله تعالى : «وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا»^(٣) بفتح الميم وتشديدها ، ومع الفتح المخفف مرة أخرى ، وهي في الحالة الثانية بمعنى جعلنا لهم إمرأة وسلطاناً^(٤) .

(ل) ويستوى عندنا في الرفض أن يكون المقصود بالإنكار والنسبة إلى العبد هو الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها ، والتي كانت ضرورتها قد زالت عند الجمع العثماني ، أو يكون المقصود هو القراءات السبع أو العشر التي اختيرت فيما بعد عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعُرفت بأسماء مختارها ، والتي تطابق رسم المصحف ، فإن أصول الخلاف اليسير في هذه القراءات الأخيرة ترجع - على الأغلب وكما قلنا قبلاً - إلى اختلاف الأحرف السبعة . وإن لهذا لتفاصيل في مواضع أخرى من هذا البحث^(٥) .

• • •

هذا ، وطه حسين في بعض آرائه تلك - ولو لم يصرح أيضاً - متأثر بآراء جرير الطبري الذي يرى أن الممارسة في رفع حرف من القرآن وحده ونصبه وتسكين حرف وتحريكه ونقل حرف إلى آخر ، مع اتفاق الصورة لا توجب كفرة^(٦) .

(١) القراءة الأولى قراءة نافع وأبي عمرو ، وهي تعني أن ينقطع عنهن الدم ، والثانية قراءة حمزة والكسائي ، وهي تعني أن يغتسلن بالماء (القراءة : معاني القرآن - ١ ص ١٤٣ . وانظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن - ٣ ص ٨٨) والرأي الثاني رأى الشافعي ومن وافقه .

(٢) سورة المل ٢٥ / والتخفيف قراءة الكسائي ، ورويس ، وأبي جعفر ، ووجهه بأن «ألا» للاستفتاح ، والباقون بتشديد اللام (الديباطة البينا : إتخاف فضلاء البشر ص ٣٣٦)

(٣) سورة الإسراء : ١٦ / قال الكسائي : ويحتمل أن «أمرنا» بالتخفيف غير ممدودة ، بمعنى أمرنا بالتشديد من الإمارة (انظر : أبو عبيد البكري : التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ص ٤٢)

(٤) يقول ابن حزم ، في الرد على من قال إن عثمان أبطل ستة أحرف من الأحرف المنزلة واقتصر على حرف منها : «فقد كذب من قال ذلك : ولو فعل عثمان ذلك أو أرادته لخرج عن الإسلام . . . بل الأحرف السبعة كلها موجودة عندنا قائمة ، كما كانت مبنية في القراءات المشهورة الماثورة» (الفصل في الملل والنحل ج ٢ ص ٧٧ ، ٧٨)

(٦) انظر : جامع البيان عن تأويل القرآن - ١ ص ٦٥ ط . محمود شاكر بمصر) والقاسمي : محاسن التأويل ج ١ ص ٢٩٤

وعند « جواد على » أن اختلاف القراءات لا يرجع إلى الأسباب المألوفة المتواترة ، وإنما يرجع إلى أسباب أهمها : « مسائل ظهرت بعد نزول الوحي من خاصية القلم الذي دُون به القرآن الكريم ، فوسم أكثر حروف هذا القلم متشابهة ، والمميز فيها هو النقط ، وقد ظهر النقط بعد نزول الوحي بأمد ، ثم إن هذا القلم كان خالياً في بادئ أمره من الحركات ، وخلو الكلم من الحركات يحدث مشكلات عديدة في الضبط من حيث إخراج الكلمة ، أى كيفية النطق بها ، ومن حيث مواقع الكلام في الإعراب » (١) .

وأحال « جواد على » إلى الشواهد التي أوردها جولد تسيهر في كتابه « المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن » ، والتي يعدّها الاثنان أمثلة للاختلاف الحادث من الخطأ ، ومنها :

(أ) « تستكبرون » بالباء الموحدة ، و « تستكثرون » بالثاء المثثة في الآية : « وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ ، قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ » (٢) .

(ب) « بُشْرًا » أو « نَشْرًا » في الآية : « وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ » (٣) .

(ج) « آيَاهُ » في الآية : « وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا آيَاهُ » (٤) ، إذ وردت أيضاً « آباه » بالباء الموحدة (٥) .

(١) لهجة القرآن الكريم - بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد الثالث ، الجزء الثاني ٨٩ .
ومثل قول جواد على قول صاحب كتاب « الفرقان » إذ يقرر أن اختلاف الرسم أدى إلى اختلاف القراء - ص ١٢٢ و

(٢) سورة الأعراف / ٤٨

وقراءة : « تستكثرون » من القراءات الشاذة المردودة .

(٣) سورة الأعراف / ٥٧

و « بُشْرًا » لعاصم و « نَشْرًا » لحمزة والكسائي وخلف .

وقد قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر ، ويعقوب : « نَشْرًا » . أما ابن عامر فيقرأها : « نَشْرًا » .
(أنظر : ابن الجزري : النشر ج ٢ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ ، والديباطي البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٢٢٦)

(٤) سورة التوبة / ١١٤

(٥) قراءة شاذة مردودة .

ورأى جواد علي - ولو لم يصرّح هو الآخر - هو رأى المستشرقين المعروفين جولدم تسيهر ونولدكه الوارد ذكرهما آنفاً^(١) ، فهما - فيما استفاض عنهما ، وفيما أوردنا في كتاباتهما - يريان أن القراءات نشأت بعد ظهور الشكل والنقط ، أي بعد انقضاء عهد الصحابة ، وأن المرحلة الأولى لتفسير القرآن انقضت في إقامة النصّ .

وهذا نص كلام أحد هذين المستشرقين ، وهو جولدم تسيهر في هذا الشأن ، لترى أنه أصل كلام جواد علي :

يقول جولدم تسيهر :

« وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات (يقصد في القراءات) إلى خصوصية الخط العربي الذي يقوم هيكله الرسوم على مقادير صوتية مختلفة ، تبعاً لاختلاف النقاط الموضوعية فوق هذا الهيكل أو تحته ، وعدد تلك النقاط ، بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية يدعو إلى اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدده ، وإلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة ، وبهذا إلى اختلاف دلالتها .

وإذاً فاختلاف تحليلية هيكل الرسم بالنقط ، واختلاف الحركات في المحصول الموحد الغالب من الحروف الصامتة ، كانا هما السبب في نشأة حركة اختلاف القراءات في نصّ لم يكن مقطوعاً أصلاً ، أو لم تُنحرّ الدقة في نقطه أو تحريكه »^(٢) .

ورأى جواد علي هو أيضاً رأى المستشرق بروكلمان الذي خبط في تلك الدعوى ، واستغوى بها جواد علي وغيره ، وأوقعهم في هذه الزلّة العلمية . يقول بروكلمان ، في شأن اختلاف القراءات :

« فَتَحَّتْ الكتابة التي لم تكن قد وَصَلَتْ بعدُ إلى درجة الكمال مجالاً لبعض الاختلافات في القراءة ، لا سيما إذ كانت غير كاملة النقط ولا مشتملة على رسوم الحركات ، فاشتغل القراء - على هذا الأساس - بتصحيح القراءات واختلافاتها »^(٣) .

(١) كَتَبَ نولدكه كتابه « تاريخ القرآن » الذي أشرنا إليه قبلاً في ردنا على طه حسين ، ويصف جولدم تسيهر هذا الكتاب بأنه أصيل وبكر ، ويلقّب مؤلفه بـ « زعيمنا الكبير » (انظر : مذاهب التفسير الإسلامي - الترجمة العربية - ص ٩ و ٨) .

(٢) انظر الكتاب السابق ص ٩ و ٨ .

وبما يذكر أن بعض الكتاب المحدثين غير جواد علي - ادّعوا هذا الرأي لهم . وقد نشر عبد المتعال الصعيدي كلاماً ، ككلام جولدم تسيهر بعنوان : « سبب مجهول من أسباب اختلاف القراءات » في مجلة الرسالة ع ٤٨٨ في ٩ نوفمبر ١٩٤٢

(٣) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي - ترجمة عبد الحليم النجار (الطبعة الثانية - ص ١٤) .

وهؤلاء المستشرقون وشركاؤهم وتلاميذهم يلتقون - كما رأينا - في دعواهم تلك - عند نقطة معينة هي خلو الكتابة العربية في صدر الإسلام من علامات الشكل والنقط ، وإن كان بعضهم ادعى أن الاختلاف في القراءات كان قبل تلك العلامات ، وآخرون ادّعوا أن الاختلاف كان بعدها .

وهذا الرأي الذي سننقضه الآن هو - على الحقيقة - أقدم حتى من هؤلاء المستشرقين ، ومن خطبوا في حبلهم من الكتاب العرب .

فعلماء المسلمين منذ قديم ، وعلى مدى الأجيال ، وكما أوردنا قبلاً ، يدفعون هذا الرأي ، ويحاجون أصحابه ، ويؤكدون أن ليس لأحد أن يقرأ برأيه المجرد ، وأن القراءة سنة متبعة ، ونقل محض . . إلخ (١) .

وقديماً رأى ابن مقسم العطار جعل القراءة تابعة للرسم ، دون الاعتماد الكامل على السند ، فردّ المسلمون - في شدة - قراءته ، ولهذا مزيد بيان في فصل تال .

وقيل إن بعض الرافضة يقرأون : « وَمَا كُنْتُ مَخْذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا » (٢) بفتح اللام وبالسكون على الياء (في : المضلين) ، يعنون الشيخين : أبا بكر وعمر ، وظاهر أن الرسم - قبل استحداث الشكل - يحتمل هذه القراءة ، ومع ذلك كُفّر أصحابها ، لسبب أساسي ، هو أن قراءتهم مخالفة للرواية الشفوية المتواترة (٣) .

وعلماء المسلمين يقولون إن إباحة القراءات لم تقع بالتشهي . وإنما هي بالسماح من النبي صلى الله عليه وسلم (٤) .

وهم أيضاً يذكرون أن القراءات التي يُقرأ بها منذ الجمع العثماني إنما اختلفت القراء فيها لأن أهل كل ناحية ثبتوا على ما كانوا تلقوه سماعاً من الصحابة ، بشرط موافقة الخط ، وتركوا ما يخالف الخط امثالاً للجمع العثماني الذي أجمع عليه المسلمون (٥) .

• • •

ولتدع نصوص السنة التي تفند فكرة أن القراءات نشأت بعد ظهور الشكل والنقط ،

(١) انظر مثلاً : ابن تيمية : المرجع السابق ص ٥٥ - ٥٩ .

(٢) سورة الكهف / ٥١

(٣) أنظر : ابن الجزري : منجد المقرئين ص ٢٣

(٤) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٩ ص ٢٢

(٥) المرجع السابق ص ١٥

مع تسليمنا بأهمية هذه النصوص ما دامت صحيحة ، ثم لنتلق على هذه الفكرة نظرة موضوعية لنرى إلى أى مدى تستطيع الثبات :

(١) إنه يبعد - منطقياً - أن يُترك أمر القرآن - وهو ما هو بالنسبة للإسلام - إلى البشرية بقرعونه بالاجتهاد لا بالتلقى ، فتنعرض نصوصه للاختلاف والتحريف .
وإذا كان أصحاب الأفكار من الناس - على مدى الزمن - يحرصون على التعبير عن أفكارهم بعباراتهم هم ، ولا يدعون لغيرهم التصرف في هذه العبارات على أى نحو ، فكيف يسوغ في القرآن أن يُترك للبشر قراءته بأوجه لم يتلقوها . . أوجه هي من اختراعهم البشرى ، وهي وليدة فهمهم الذاتي؟ هذا مع فارقين عظيمين جداً :
أولهما : بُعد ما بين الأفكار البشرية والقرآن الذى لا بد لأتباعه أن يؤمنوا بإعجازه وقداسته وخطر شأنه .

وثانيهما : والله المثل الأعلى ، تقارب القدرات بين الإنسان صاحب الفكرة والإنسان الآخر الذى قد يتصرف في التعبير عنها . والله الذى ليس كمثلته شيء غنى عن كل خلقه أن يشاركوه - على ما يدركون أو ما يحبون - في تحديد ألفاظ وحيه .

(ب) ولو جاز للناس أن يغيروا شيئاً من القرآن عما تلقوا من الرسول ، لأصبح بعض القرآن من كلامهم لا من كلام الله ، وإذن لبطلت صفته الإعجازية التى يؤمن بها المسلمون ، والتى طالما توه هو بها ، والتى لا تزال قائمة .

ويستوى في إحداث التغيير أن يكون مما لا يتجاوز الصورة وطريقة الأداء وكيفية اللهجة ، أو أن يكون ممتداً إلى الحروف ، أو الكلمات ، أو الحركات .

وكيف يجتهد مسلم في هذا القرآن اجتهاداً يؤدى إلى تبديل شيء منه ، والتبديل لا يرغب فيه إلا كافر يعاديه الإسلام ؟ كيف ، ونبي الإسلام نفسه لا يملك أن يبدل من القرآن شيئاً ، بل إن التبديل عنده أمر لو وقع لكان معصية عذابها هائل مخوف في اليوم الآخر الخطير الشأن ، فضلاً عن الحياة الدنيا ؟

« وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا : آتَتْ بَقْرَانِ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ ! قُلْ : مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَايَ نَفْسِي ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ . إِنْ أَحَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ ، وَلَا أَدْرَأَكُمْ بِهِ ، فَهَدَّ كَيْتُ فَيْكُمْ عُمْرًا مِنْ قَبْلِهِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ » (١)

« تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ » وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لِأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ *
ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ « (١) .

يقول الشافعي : « إياه لا ينسخ كتاب الله إلا كتابه ، كما كان المبتدئ لفرضه فهو
الزبيل المثبت لما شاء منه جل ثناؤه ، ولا يكون ذلك لأحد من خلقه . » (٢) .
(ح) والقرآن نفسه ندد بما وقع للكتب الدينية الأخرى من تحريف وتبديل ، وعاب
المحرّفين والمبدلين بعامته :

« مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ » (٣) ،

« فِيمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ » (٤) ،

« وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ » (٥) .

« فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ » (٦) .

فكيف يدع المسلمون الدرائع ليقع في القرآن نفس الذي عابه ؟

(د) والمسلمون - لسبب عقيدتي - هو إيمانهم بالقرآن الذي فيه : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » (٧) ، وفيه : « وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَلَا مِنْ خَلْفِهِ » (٨) لا يمكن عقلاً أن يكونوا قد سمحوا بأى تغيير من عندهم في القرآن صغر هذا
التغيير أو كبره .

(هـ) ثم هناك حقيقة هامة أغفلها ذلك الرأى ، وهي أن المسلمين لم يعتمدوا في نقل

القرآن على خطّ المصاحف ، وإنما اعتمدوا على حفظ القلوب والصدور . وقد عدّ ذلك من
أشرف خصائصهم ، وجاء في صفتهم : « أناجيلهم في صدورهم » ، بخلاف أهل الكتاب
الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ، ولا يقرءونه كلّه إلا نظراً لا عن ظهر قلب . وروى السنّة
أن الله تعالى قال لنبىه صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا بَعَثْنَاكَ لِأَبْتِكَ ، وَأَبْتِي بِكَ ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ

(١) سورة الحاقة : ٤٣ - ٤٧ .

(٢) الرسالة ص ١٠٦ و ١٠٧ .

(٣) سورة النساء / ٤٦ .

(٤) سورة المائدة / ١٣ .

(٥) سورة البقرة / ٧٥ .

(٦) سورة الأعراف / ١٦٢ .

(٧) سورة الحجر / ٩١ .

(٨) سورة ص / ٤١ - ٤٢ .

كتاباً لا يغسله الماء ، تقرؤه نائماً ويقظان . . . إلخ » (١) .

والأمثلة التي أوردها جولد تسيير آنفاً بدعوى أنها أمثلة للاختلاف الحادث عن الخط والتي أوضحنا في الحواشي أن بعضها شاذٌ ومردود ، وبعضها الآخر مبنّى على تواتر الرواية لا على هيئة الرسم . . . هذه الأمثلة نفسها تؤيد عكس ما توهمه جولد تسيير والآخذون منه ، تؤيد أن المعول - في صحة القراءة - ليس أبداً على الخط ، وإنما على التواتر والتلقي الشفهي . ولو كانت المصاحف المكتوبة هي المصدر الأوثق في نقل القرآن ، لكان بحسب الناس التعويل عليها وحدها ، ولكانت للقراء أنفسهم ندحة عن رحلاتهم شرقاً وغرباً ، من أجل المشاهدة والسَّماع ، وهي رحلات طويلة كثيرة ثابتة لنا من إجازات القراءة والإقراء ، وحافلةٌ بأخبارها تراجم القراء والمقرئين .

(و) والاستقراء الموضوعي يؤدي إلينا أنه لم ينقل عبر القرون كتاب سماويّ أو غير سماويّ ، بالتواتر القطعيّ ، والإسناد الصحيح ، عن العدول الضابطين ، طبقةً بعد طبقة ، مثلما وقع للقرآن ، وقد تلقّوه من النبي نفسه حرفاً حرفاً ، لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً ولا إنباتاً ولا حذفاً .

كان النبي صلى الله عليه وسلم يصدع بأمر الله : فيبلغ القرآن للناس : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ » (٢) ، وكان الصحابة - ومكانتهم من العدالة والضبط والثقة معروفة - يسارعون إلى تلقي القرآن وتجويده وحفظه وتبني وجهه قراءته .

وإذن لم يكن ثمة محل - أمام التابعين وتابعيهم - للنظر في قراءة القرآن بقراءات أخرى غير التي تلقّوها عن الصحابة ، وهي نفس ما تلقّاه هؤلاء عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(ز) وقد ثبت أنه في حياة النبي صلوات الله عليه ، سمع عمر بن الخطاب واحداً من الصحابة هو هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يكن عمر يعرفها ، وأن أبي بن كعب سمع اثنين من المسلمين يقرآن سورة النحل بقراءة تخالف قراءة أبي ، وأن عبد الله ابن مسعود سمع مسلماً يقرأ قراءة تخالف قراءته ، وقد احتكم هؤلاء جميعاً إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، فأقرّ كلاً منهم على قراءته ، وقال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ،

(١) انظر : مسلم : الجامع الصحيح ج ٨ ص ١٥٩ ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل

النار .

(٢) سورة المائدة / ٦٧

فاقرعوا ما تيسر منه (١). وقد ألعنا قبلا إلى هذا الحديث .

وفي لفظ « مسلم » عن « أبي » : « أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان عند أضاة بني غفار (٢) ، فأتاه جبريل .

فقال : إن الله يأمرك أن تُقرئ أُمَّتَكَ القرآنَ على حروف .

فقال : سل الله معافاته ومعونته ، فإن أمتي لا تطيق ذلك .

ثم أتاه الثانية على حرفين ، فقال له مثل ذلك .

ثم أتاه الثالثة بثلاثة ، فقال له مثل ذلك .

ثم أتاه الرابعة ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أُمَّتَكَ القرآنَ على سبعة أحرف ، فأبما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا (٣) .

وواضح أنّ هذا الإذن السماويّ الذي تواترت أخباره هو - كما ألعنا قبلا - أصل اختلاف القراءات ، وليس ينبغي أن يكون المسلمون - عند جمعهم القرآن على عهد عثمان - حكّموا بالنسخ على الأحرف التي خلت منها العرضة الأخيرة ، حسماً أوضحنا في حديثنا عن هذا الجمع .

(ح) ويدلّ أيضاً على أنّ القراءات ليست مستنبطةً من النقط والشكل ، وإنما هي متلقاة بالسّماع والمشاهدة من النبي صلى الله عليه وسلم أن المسلمين يتفقون في بعض مواضع القرآن على ياء أو تاء ، ثم هم في مواضع أخرى ماثلة لا يتفقون إلا على أحد هذين الحرفين . ويجتزئ في سوق الأمثلة بالآيات التالية :

« وَاللَّهُ يَفِيضُ وَيَبْضُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » ، في سورة البقرة (٤) .

« هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » ، في سورة يونس (٥) .

« لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » ، في سورة القصص (٦) .

(١) انظر ، الكرمانى : شرح صحيح البخارى ج ٧ ص ٢١٦ .

(٢) هو مستنق الماء كالغدير ، وهو موضع بالمدينة النبوية ينسب إلى بني غفار ، لأنهم نزلوا عنده (انظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري - ٩ ص ٢٨)

وقيل : موضع قريب من مكة هو (سرف) قرب (التناضب) .

(وانظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان - ١ ص ٢١٤) .

(٣) الجامع الصحيح - ٢ ص ٢٠٣ و ٢٠٤ .

ورواه أبو داود ، والترمذى ، وأحمد .

(٤) الآية ٢٤٥

(٥) الآية ٥٦

(٦) الآية ٨٨

« وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » في سورة يس (١).

« وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » في سورة يس أيضاً (٢).

« ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » في سورة الزمر (٣).

« وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » في سورة فصلت (٤).

« وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » في سورة الزخرف (٥).

هذه كلها متفق على أنها بالخطاب ؛ بينما اختلفوا في :

« ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ » في سورة العنكبوت (٦) ، فقد قرأ شُعْبَةُ عن عاصم بالياء ، وغيره

بالتاء (٧).

والآية « ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » في سورة الروم (٨) ، قرأها أبو عمرو ، وشُعْبَةُ ، وروح

بالياء ، وغيرهم بالتاء (٩).

وكذلك الآية : « ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ » في سورة الأنعام (١٠) والآية : « وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ » في

سورة مريم (١١) متفق على أنهما بالغيبة ، بينما اختلف القراء في آية : « طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ

يُرْجَعُونَ » في سورة آل عمران (١٢) ، فإن حفصاً ويعقوب يقرآنهما بالياء ، وغيرهما بالتاء (١٣).

والآية : « وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » في سورة البقرة (١٤) ، قرأها ابن كثير : « يعملون »

بالياء (١٥).

والآية : « قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ

(٤) الآية ٢١

(١) الآية ٢٢

(٥) الآية ٨٥

(٢) الآية ٨٣

(٦) الآية ٥٧

(٣) الآية ٤٤

(٧) انظر مثلاً : ابن مجاهد : كتاب السبعة في القراءات ص ٣٤٦ .

الدمياطي البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٥٠٢ .

وعلى الضَّاع : إرشاد المرید إلى مقصود القصید ص ٤٣٠ .

(٨) الآية ١١

(٩) ابن الجزري : النشر ج ٢ ص ٣٤٤

(١٠) الآية ٣٦

(١١) الآية ٤٠

(١٢) الآية ٨٣

(١٣) ابن الجزري : النشر ج ٢ ص ٢٤١ .

(١٤) الآية ٧٤

(١٥) انظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٤٦٦ .

تُبَدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا» (١) : يقرأ أبو عمرو ، وابن كثير : « يجعلونه » و « يبدونها » و « يخفون »
بياءات الغيبة ، ويقرأ الباقر على الخطاب (٢) .

والآية : « وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَّارِكٌ مُصَدِّقٌ لِّدِينِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ

حَوْلَهَا » (٣) : يقرأ أبو بكر وحماد : « لِنُنذِرَ » بياء الغيبة ، ويقرأها الباقر بياء الخطاب (٤) .

والآية : « لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُوقِرَهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا » (٥) ، قرأ ابن كثير ،

وأبو عمرو بالغيب في الأربعة ، وقرأ الباقر بالخطاب (٦) .

(ط) وخط المصحف - حتى بعد الشكل والضبط اللذين يحتج بهما أصحاب ذلك

الرأى - قد لا يطابق - في بعض المواضع - القراءات . ومن الأمثلة التي يمكن الاجتزاء بها

أيضاً في هذا المقام المواضع التي يرسم فيها الهمز المتطرف المرفوع واولاً بعدها ألف ، وهي :

أَبْنَوْا (أبناء) (٧) - جَزَوْا (جزاء) (٨) - شُرَكَاؤُا (شركاء) (٩)

مَا نَشَأُ (ما نشاء) (١٠) - نَبِؤُا (نبأ) (١١) - الضَّعْفَاءُ (الضعفاء) (١٢)

يَتَفَيَّؤُا (يتفياً) (١٣) - أَتَوْكُمُا (أتوكأ) (١٤) - لَا تَنْظُمُوا (لا نظماً) (١٥)

الْمَلَأُوا (الملاء) (١٦) - وَيَدْرَأُ (ويدراً) (١٧) - مَا يَعْجَبُا (ما يعبأ) (١٨)

أَنْبِؤُا (أنباء) (١٩) - عُلَمَؤُا (علماء) (٢٠) - الْمَلَأُا (الملاء) (٢١)

شَفَعُوا (شفعاء) (٢٢) - يَبْدُوا (يبدأ) (٢٣) - الْعُلَمَؤُا (العلماء) (٢٤)

(١) سورة الأنعام / من ٩١

(٢) الحسن النيسابورى : غرائب القرآن ج ٧ ص ١٥٥ .

(٣) سورة الأنعام / من ٩٢

(٤) الحسن النيسابورى : المرجع السابق .

(٥) سورة الفتح / ٩

(٦) انظر : ابن الجزرى : النشر ج ٢ ص ٣٧٥

والإتحاف ص ٣٩٥

(٧) سورة المائدة - من الآية ١٨

(٨) سورة المائدة - من الآية ٣٣

(٩) سورة الأنعام - من الآية ٩٤

(١٠) سورة هود - من الآية ٨٧

(١١) سورة إبراهيم - من الآية ٩

(١٢) سورة إبراهيم - من الآية ٢١

(١٣) سورة النحل - من الآية ٤٨

(١٤) سورة طه - من الآية ٢٠

(١٥) سورة طه - من الآية ١١٩

(١٦) سورة المؤمنون - من الآية ٢٤

(١٧) سورة النور - من الآية ٨

(١٨) سورة الفرقان - من الآية ٧٧

(١٩) سورة الشعراء - من الآية ٦

(٢٠) سورة الشعراء - من الآية ١٩٦

(٢١) سورة النمل - من الآيات ٢٩ و ٣٢ و ٣٨

(٢٢) سورة الروم - من الآية ١٣

(٢٣) سورة الروم - من الآية ٢٧

(٢٤) سورة فاطر - من الآية ٣٧

الْبَلَاءُ	(البلاء) (١)	-	نَبَأُ	(نبأ) (٧)	-	جَزَّوًا	(جزاء) (٣)
يُنَشَّوًا	(ينشأ) (٤)	-	بَلَّوًا	(بلاء) (٥)	-	جَزَّوًا	(جزاء) (٣)
بُرَّةًوًا	(براء) (٧)	-	نَبَأُ	(نبأ) (٨)	-	يُنَبَّوًا	(ينبأ) (٩)

وفي فصل آخر من هذا البحث عشرات أخرى من الكلمات القرآنية المرسومة على خلاف الخط الإملائي ، وليس فيها - مع ذلك - غير قراءة واحدة .

وقد يستعجلنا هنا بالمثل دارس ، فنذكر له - على عجل - أن القراء السبعة أجمعوا في سورة قريش على قراءة « إِيْفِهِمْ » بالياء ، مع كتابتها في المصاحف العثمانية بلا ياء ، واختلفوا في قراءة « لِإِيْلَفِ » مع كتبها بالياء (١١) .

ونذكر له أن كلمة (لَوْلُوا) في الآية الكريمة : « جَنَّتُ عَدْنُ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُوا وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ » (١١) وردت في بعض المصاحف بغير ألف . ومع ذلك قرأها نافع وأبو جعفر وشيبة وعاصم « لَوْلُوا » بالنصب (١٢)

- | | |
|-----------------------------------|--|
| (١) سورة الصافات - من الآية ١٠٦ . | (٦) سورة الحشر - من الآية ١٧ . |
| (٢) سورة ص - من الآية ٢١ . | (٧) سورة المتحنة - من الآية ٤ . |
| (٣) سورة الثورى - من الآية ٤٠ . | (٨) سورة التغابن - من الآية ٥ . |
| (٤) سورة الزخرف - من الآية ١٨ . | (٩) سورة القيامة - من الآية ١٣ . |
| (٥) سورة الدخان - من الآية ٣٣ . | (١٠) انظر : حمزة فتح الله : المواهب الفتحية ج ٢ ص ٨٦ . |

وفي « إِيْلَفِ » .

قرأ ابن عامر بحذف الياء (مصدر أَيْفَ ، مثل : كَتَبَ كِتَابًا) .

وقرأ أبو جعفر أحد الثلاثة المكملين للعشرة بياء ساكنة بلا همزة .

وقرأ الباقون بياء قلها همزة (مصدر آلف وباعيا) .

أما في « إِيْلَفِهِمْ » :

فالعشرة - باستثناء أبي جعفر - يقرأون بإثبات الياء بعد الهمزة في اللفظ ، مع كونها ساقطة في الخط (انظر :

ابن مجاهد : السبعة ص ٦٩٨ ، وشعلة : شرحه على الشاطبية ص ٦٢٧ ، والديماطي البنا : إتحاف فضلاء البشر

ص ٤٤٤ ، وعمل محمد الضباع : إرشاد المرید ص ٦٩٨) .

وواضح أن الياء هنا ليست زائدة ، ولا لأمًا للكلمة ، وإنما هي فائها ، وأصلها همزة ، فأبدلت بياء لسكونها بعد همزة

مكسورة ، وذلك كما في كلمة (إيمان) . (انظر : أبو زينهار : لطائف البيان في رسم القرآن ، شرح مورد الظمان

القسم الثاني ص ١٠) .

(١١) سورة فاطر / ٣٣

(١٢) انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٢٩ في تفسير الآية ٢٣ من سورة الحج ، والديماطي ابنا :

إتحاف فضلاء البشر ص ٣١٤ ، في الكلام عن سورة الحج . وص ٣٦٢ ، في الكلام عن سورة فاطر .

ونذكر له أيضاً أن الآية الكريمة : « إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ » (١) وردت فيها كلمة « لؤلؤا » - في جميع المصاحف - بالألف ، ومع ذلك قرأها بالخفض من عدا عاصم ، ونافع ، وأبي جعفر ، ويعقوب (٢) .

وكذلك قد لا يدل رسم الكلمة على كل وجه النطق بها ، فكلمة « جبريل » تقرأ بعدة وجوه (٣) :

- ١ - جبريل بكسر الجيم ، وجبريل ، بفتحها .
 - ٢ - جبريل ، بفتح الجيم والراء ، وبعدها همزة مكسورة ممدودة .
 - ٣ - جبريل ، بفتح الجيم والراء ، وبعدها همزة مكسورة غير ممدودة .
- وكلمة « ميكال » ، قرئت (٤) :

- ١ - ميكال ، بلا همز .
- ٢ - ميكأيل ، بهمزة مكسورة ممدودة .
- ٣ - ميكأيل ، بهمزة مكسورة غير ممدودة .

(٥) وثمة قراءات كثيرة لا يُقرأ بها أبداً ، مع أن الرسم يحتملها ، واللغة تميزها (٥) . ونحن نكتفي هنا بأمثلة لهذه القراءات :

- ١ - في اللغة : خَطِيفٌ يَخْطِيفُ ، وَخَطِيفٌ يَخْطِيفُ ، ولكن القراء لم يقرءوا إلا : يَخْطِيفُ وَخَطِيفٌ (مثل عَلِيمٍ) . قال أبو علي الفارسي : « ولا نعلم أحداً قرأ الأخرى » (٦) .
- ٢ - والقراء الأربعة عشر مجمعون على ضم الميم في كلمة « مُكْثٍ » في قوله تعالى : « وَفَرَعْنَا نَا فَرَقْنَاهُ لِنَقَرَّاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ » (٧) مع أن اللغة تميز في هذه الميم الضم والفتح والكسر (٨) .

(١) سورة الحج / ٢٣ .

(٢) انظر القرطبي : المرجع السابق ، وابن الجردى : النشر - ج ٢ ص ٣٢٦ ، والبا الدمياطي : المرجع السابق .

(٣) انظر : الفخر الرازي : التفسير الكبير - ج ٣ ص ١٩٦ .

(٤) نفس المرجع ج ٢ ص ١٩٨ .

(٥) انظر عدداً طيباً من أمثلة هذه القراءات في : عبد الفتاح إسماعيل شلبي : رسم المصحف والاحتجاج به في

القراءات ص ٣٣ - ٤٢ .

(٦) الحجة ص ٢٤٧ من المخطوطة رقم ١٩٥٥٣ ب ، بدار الكتب والوثائق القومية بمصر .

(٧) سورة الإسراء / ١٠٦ . (٨) انظر : أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط ج ٦ ص ٨٨ .

٣ - والقراء أيضاً لا يقرأون كلمة « الرِّضَاعَة » في القرآن إلا بالفتح ، مع أنه يجوز فيها - لغةً - الكسر أيضاً^(١) .

(ك) ومن ملزوم رأى القائلين بأن اختلاف القراءات هو وليد النَّقْطِ والشكل : أن يكون القرآن قد ظلّ طوال عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم طوال عهد الصحابة والتابعين غير محفوظ ولا مقطوع بكيفيات النطق به ، حتى إذا جاء النَّقْطُ والشكل بعد زمن النوحى بأمّده - حسبما قالوا آنفاً - بدأ الناس يقرأون القرآن على وفق ما يؤدبه النقط والشكل إلى أفهامهم .

ولعلّ الرأى وملزومه أن يكونا واضحي البطلان ، وأن يكونا أضعف من أن يواجهها انهم المستقيم ، والحقيقة الغير القابلة للنقض ، فضلاً عما تهدي إليه بديهية العقل .

(ل) والمسلمون مجمعون على أنّ البشر لم يبدلوا في هذا القرآن ألبتة حتى من ناحية قانون أدائه . وإجماع المسلمين حجة تقام لها الموازين . وكما يقول أبو حيان التوحيدى : « ولأمة المجتمعة حجة على من شدّ عنها^(٢) » .

(م) والثابت تاريخياً أيضاً أن القراء المأخوذ برواياتهم كانوا لا يتعدّون الأثر ، مهما يكن مذهبيهم النحوى ، أو مذهبيهم في فهم الكلام . وعلى سبيل المثال ، نذكر :
أنّ نافعاً كان « متبعاً لآثار الأئمة الماضين ببلده »^(٣) ، وكان يقول : « قرأت على سبعين من التابعين »^(٤) .

وأنّ أبا عمرو البصرى « كان - مع علمه وفقهه بالعربية - متمسكاً بالآثار ، لا يكاد يخرج اختياره عما جاء عن الأئمة قبله »^(٥) ، وكان يقول : « لولا أنه ليس لى أن أقرأ إلا بما قرئ لقرأت كذا وكذا »^(٦) .

وقد ذكرنا قبلاً أنه قيل عن ابن عامر « إنّه لم يتعدّ - فيما ذهب إليه - الأثر ، ولم يقل قولاً يخالف فيه الخبر »^(٧) .

- (١) انظر : القراء : معانى القرآن ص ١٤٩ .
- (٢) الصائر والنخائر ، المجلد ١ ص ٥١٥ و ٥١٦ .
- (٣) ابن مجاهد : كتاب السبعة في القراءات ص ٥٤ .
- (٤) نفس المرجع ص ٦٢ .
- (٥) نفس المرجع ص ٨٢ .
- (٦) ابن الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٢٩٠ .
- (٧) نفس المرجع ج ١ ص ٦١ .

وحزمة لم يقرأ حرفاً إلا بأثر^(١) . حدّث عقبة بن قبيصة بن عقبة ، قال : حدّثني أبي : كنا عند سفيان الثوريّ ، فجاءه حمزة ، فكلّمه ، فلما قام ، قال سفيان : أترون هذا ؟ ما قرأ حرفاً من كتاب الله إلا بأثر^(٢) .

ويحيى بن سلام المتوفى سنة ٢٠٠ هـ « كان له اختيار في القراءة من طريق الآثار »^(٣) .
والقاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ « وافق اختياره العربية والآثر »^(٤) .

وبعد ، ألا تؤدّي إلينا دعوى اختلاف القراءات بسبب خلوّ الكتابة العربية في صدر الإسلام من علامات الشكل والنقط ، أن أصحاب هذه الدعوى - حتى ، على فرض بعدهم عن التعصب ، وعن الكيد للتزليل - لم يستطيعوا فقه لغة القرآن ، ولا استيعاب حقائق الإسلام ؟

١٢

لا بدّ إذن من جمع صوتي للقراءات المجمع على قرآنيّتها ، ورأس شروطها التواتر . والتواتر هو - اصطلاحاً - توافر جمع من الناس يؤمن تواطؤهم على الكذب في كل طبقة من طبقات الرواية ، أو هو الخبر الثابت على ألسنة قوم لا يتصوّر تواطؤهم على الكذب^(٥) . وقد توافر هذا الشرط - على مدى الزمن - بالنسبة للقراءات السبع ، والثلاث المتممة للعشر ، ورواياتها جميعاً ، وذلك في عدد من البلاد الإسلامية ، وفي مقدمتها مصر ، ونكنا - على الحقيقة - نتجاوز الواقع إن قلنا إن هذا التوافر متاح الآن في كلّ من المجتمعات الإسلامية في الأرض ، ذلك أن مجتمعات إسلامية كثيرة ليس فيها الآن العدد الكافي من الحفاظ وهؤلاء - على فرض وجودهم لا يعرفون غالباً غير قراءة واحدة هي - على الأرجح - رواية حفص التي عليها مصاحف مصر ، وهي الآن أكثر المصاحف انتشاراً^(٦) .

(١) نفس المرجع ج ١ ص ٢٦١ .

(٢) انظر : ابن مجاهد : المرجع السابق ص ٧٦ .

(٣) ابن الجزري : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٧٢ .

(٤) نفس المرجع ج ٢ ص ١٨ .

(٥) أنظر : علي الجرجاني : التعريفات ص ٧٤ .

(٦) مما يساق في التدليل على نقص العلم بالقراءات غير قراءة حفص ، حتى بين خاصة علماء الدين ، أن المرجوم -

وهذا خطر نقف لتلقاه خائفين شاعرين بالتقصير والقصور .

يقول أبو محمد الجويني : « تعلم القرآن وتعليمه فرض كفاية لثلاثين يتقطع عدد التواتر فيه ، فلا يتطرق إليه تبديل وتحريف^(١) » .

ويقول الزركشي : « وإذا لم يكن في البلد أو القرية من يتلو القرآن أئموا بأسمهم^(٢) » .
ويقول ابن حجر : « يتعين في عدد التواتر المذكور أن يكونوا متفرقين في بلاد الإسلام ، بحيث لو أراد أحد أن يغير أو يحرف شيئاً منعه^(٣) » .

ويعقب « على القارى » على هذا ، فيقول : « وظاهر كلام الزركشي : أن كل بلد لا بد فيه أن يكون ممن يتلو القرآن في الجملة ، لأن تعلم بعض القرآن فرض عين على الكل ، فإذا لم يوجد هناك أحد يقرأ أئموا جميعاً ، وأيضاً لا يحصل عدد التواتر إلا بما قاله الزركشي ، وإلا فكل أهل بلد يقول : ليس تعلم القرآن فرضاً علينا ، فينجر إلى فساد العالم^(٤) » .

• • •

والحق أن ذلك الاعتبار البالغ الخطر كان من أسباب طموح صاحب مشروع

= الشيخ أحمد محمد شاكر من كبار رجال القضاء الشرعى وعالم الحديث المعروف أواد - في مناسبة تصحيح كتاب « الرسالة » للشافعى - أن يضبط كل آيات القرآن التي يذكر الشافعى ، على قراءة ابن كثير التي ظنها قراءة الشافعى ، ولكنه أحجم عن ذلك ، ويعترف هو بالسبب في صراحة مشكورة ، فيقول : « إذ كان شاقاً على عسيراً لأنى لم أدرس علم القراءات دراسة وافية ، والرواية أمانة يجب فيها التحرز والاحتياط » (هامش الرسالة للشافعى ص ١٥)

ولابد أن الأمر كان سيكون أشق وأعسر لو أراد الشيخ العالم الضبط على القراءة التي قيل إن الشافعى نفسه اختارها . ومن الفوائد المناسبة هنا أن الإمام أحمد بن حنبل لم يكن يقرأ برواية واحدة ، فقد ورد :

١ - أنه اختار قراءة نافع (انظر : علاء الدين المرداوى : الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، على مذهب الإمام البيهقي أحمد بن حنبل ج ٣ ص ٥٨) .

٢ - وأنه كان يقول : قراءة أهل المدينة سواء (نفس المرجع) ، وهذا يفيد أنه درس قراءات أبى جعفر وغيره من المدنيين .

٣ - وأنه قرأ برواية شعبة عن عاصم ، فقد نقل الجماعة أنه قرأ لعاصم ، لأنه قرأ على أبى عبد الرحمن السلمى الذى قرأ عليه عاصم (انظر : نفس المرجع) .

٤ - وأنه قرأ لابن كثير قارئ مكة ، ونحن نبين هذا على ما نقل عن أحمد من أنه « اختار قراءة أهل الحجاز » (نفس المرجع ص ٥٩) ، إذ المعلوم أن الحجاز يشمل المدينة ومكة .

٥ - وأنه قرأ بقراءة أبى عمرو بن العلاء ، فقد سأل أحمد سائلاً : أى القراءات تختار لى فأقرأ بها ؟ فأوصاه بقراءة أبى عمرو (نفس المرجع) .

(١) انظر : على القارى : مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح ج ٢ ص ٥٩٥

(٢) نفس المرجع

(٣) نفس المرجع

(٤) نفس المرجع

الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم إلى تعميم التواتر ، بالنسبة لكل القراءات والروايات المجمع عليها ، وذلك في كل موطن إسلامي . وقد اتخذ صاحب المشروع إلى تحقيق هذا المصطلح الكبير وسيلة المصاحف المرتلة التي براعى - كما ذكر في تخطيطه لتسجيلها - أن تكون من حيث الحفظ ، ودقة الأداء ، ومراعاة الأحكام ، وسلامة الصوت ، ممتازة أو فوق الممتازة ، وأن لا يُرخص في ذلك بحال ، وأن يُنص - ولو في محاضر تحفظ لدى الجهات القائمة على الجمع - على سند كل قارئ متصلاً بأئمة روايته .

١٣

وبعد ، فقد دعا صاحب المشروع إلى أن يشمل الجمع الصوتي سائر القراءات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة ، وبالفعل بدأ - في فجر المشروع - التخطيط لجمع روايتين لكل من القراءات العشر ، على أن يُختار لكل رواية طريقتان ، كلٌّ منهما من طريقتين ، ويُختار للتسجيل أشهر الأوجه لكل طريقة ، على نحو ما ورد في « الشاطبية » وشروحها ، و « جامع البيان » لأبي عمرو الداني^(١) ، وعلى نحو ما ورد في « النشر » و « طيبة النشر » و « الدرّة المضيئة » لابن الجزري ، وعلى نحو ما ورد في شروح هاتين الأخيرتين^(٢) ، وما ورد في بعض الكتب الأخرى المتخصصة والمعروفة والتي سنشير إليها عندما نقل عنها .
والآن ، هذا بيان الطرق التي أختارها للجمع ، وهي - فيما تفيد المراجع - من أشهر

(١) انظر مخطوطة منه برقم ٣٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) ولعله مما يصيب موضع الحاجة عند بعض الدارسين أن نذكر هنا :

١- أن (القراءة) هي ما ينسب لإمام من أئمة القراءات ، فمثلاً : إثبات البسمة في أول الفاتحة - عند الأئمة :

ابن كثير ، وعاصم ، والكسائي - يعتبر قراءة لكل منهم .

٢- و(الرواية) هي ما ينسب للآخذ عن الإمام ولو بواسطة . والأمثلة : رواية ورش عن نافع ، ورواية البرز عن ابن

كثير ، ورواية رُوِّح عن يعقوب ، وهكذا . . .

٣- أما (الطريق) ، فينسب لمن أخذ عن الراوي وإن سَقَل . يقال مثلاً : طريق الحلواني عن قاثون ، وطريق

الأصمعي عن ورش ، وطريق جعفر النصبى عن الدورى ، من طريقَيْ : ابن الجَلْدِنا ، وابن ذَيْرُوبِه . . .

٤- وأما (الوجه) ، فهو على سبيل التخيير والإباحة . فأى وجه أتى القارئ أجراً ، ولا يكون ذلك نقصاً في روايته ،

والأمثلة للأوجه : البسمة بين السور ، والوقت بالسكون والإشمام والرُّوم ، وبالمدّ الطويل ، والتوسط والقصر . . . الخ

(انظر مثلاً : الصفاقسى : غيث النفع ص ١٤ و ١٥ .

والدمياطي البنا : الإنحاف ص ١٢٠ و ١٢٦) .

الطرق عند علماء القرآن . يقول أبو عمرو الداني - بعد أن ذكر هذه الروايات وطرقها - :
 « فهذه الروايات التي عدتها أربعون رواية من الطرق التي جملتها مائة وستون طريقاً هي التي
 أهل دهرنا عليها عاكفون ، وبها أئمتنا آخذون ، وإياها يصنّفون ، وعلى ما حاءت به يقولون » (١)

١ - قراءة نافع :

(أ) برواية قالون (٢) :

من طريق : أبي نشيط محمد بن هرون ، من طريق : ابن بويان ، والقزّاز .

ثم من طريق : الحلواني ، من طريق : ابن أبي مهران ، وجعفر بن محمد

(ب) برواية ورش (٣) :

من طريق : أبي يعقوب يوسف الأزرق ، من طريق إسماعيل النحاس ، وابن سيف .

ثم من طريق : الأصمعي ، من طريق : ابن جعفر ، والمطوعي .

٢ - قراءة ابن كثير (٤) :

(أ) برواية البرزى (٥) :

من طريق : أبي ربيعة محمد بن إسحاق ، من طريق : النقاش ، وابن بيان

ثم من طريق : ابن الجباب ، من طريق : ابن صالح - وعبد الواحد بن عمر

(ب) برواية قبل (٦) :

من طريق : أبي بكر أحمد بن مجاهد ، من طريق : السامري ، وصالح

ثم من طريق : ابن شنبوذ ، من طريق : ابن فرح ، والشطوي

(١) جامع البيان (المخطوطة السابقة - الورقة ٣) .

وانظر في أسماء أصحاب الطرق : الصفاقسي : غيث النفع في القراءات السبع (بديل : شرح ابن القاصح على

الشاطبية) ص ١٥ .

(٢) توفى بالمدينة سنة ١٦٩ هـ .

(٣) توفى بالمدينة قريباً من سنة ٢٢٠ هـ .

(٤) توفى بمكة سنة ١٢٠ هـ .

(٥) توفى بمكة سنة ٢٤٠ هـ .

(٦) توفى بمكة سنة ٢٨٠ هـ .

٣- قراءة أبي عمرو (١) :

(أ) برواية الدّوري أبي عمَرَ (٢) :

من طريق : أبي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس ، من طريق : ابن مجاهد ،
والمعدل .

ثم من طريق : ابن فرح ، من طريق : ابن أبي بلال ، والمطوّعي

(ب) برواية السّوسي (٣) :

من طريق أبي عمران بن جرير ، من طريق : عبد الله بن الحسين ، وابن حبّش
ثم من طريق : ابن جمهور ، من طريق : الشيباني ، والشّنبوذى

٤- قراءة ابن عامر (٤) :

(أ) برواية هشام (٥) .

من طريق : أبي الحسن أحمد بن يزيد الحلواني ، من طريق : ابن عبّان ،
والجمّال

ثم من طريق : الداغوني ، من طريق : زيد بن علي ، والشّدائى

(ب) برواية ابن ذكوان (٦) :

من طريق : أبي عبد الله هرون بن موسى الأخفش ، من طريق : النقاش ،
وابن الأخرم

ثم من طريق : الصوري ، من طريق : الرملي ، والمطوّعي

٥- قراءة عاصم (٧) :

(أ) برواية شعبة (٨) :

من طريق : يحيى بن آدم الصلحي ، من طريق : شعيب ، وأبي حمدون

(١) توفى بالكوفة سنة ١٥٤ هـ

(٢) توفى في حدود سنة ٢٥٠ هـ

(٣) توفى بخراسان سنة ٢٠٢ هـ

(٤) توفى بدمشق سنة ١١٨ هـ

(٥) توفى بدمشق سنة ٢٤٥ هـ

(٦) توفى بدمشق سنة ٢٤٢ هـ

(٧) توفى بالكوفة سنة ١٢٧ ، وقيل سنة ١٢٨ هـ

(٨) توفى بالكوفة سنة ١٩٤ هـ

ثم من طريق : العليمى ، من طريقى : ابن خُلَيْج ، والرَّزَّاز

(ب) برواية حفص (١) :

من طريق : أبى محمد عبيد بن الصَّبَّاح المشلى ، من طريقى : أبى الحسن
الهاشمى ، وأبى طاهر بن أبى هاشم .

ثم من طريق : عمرو بن الصَّبَّاح ، من طريقى : القبيل ، وزرعان (٢) .

٦ - قراءة حمزة (٣) :

(ا) برواية خَلْف (٤) :

من طرق : أبى الحسن أحمد بن عثمان ، وابن مقسم ، وابن صالح ، والمطوعى -
عن إدريس .

(ب) برواية نخَّالاد (٥) :

من طرق : أبى بكر محمد بن شاذان الجوهري ، وابن الهيثم ، والوزان ،
والطلحي .

٧ - قراءة الكسائى (٦) :

(ا) برواية أبى الحارث (٧) :

من طريقى : أبى عبد الله محمد بن يحيى البغدادى المعروف بالكسائى الصغير ،
من طريقى : البطئى ، والقنطرى .

ثم من طريقى : سلمة بن عاصم ، من طريقى : ثعلب ، وابن الفرح .

(١) توفى قريباً من سنة ١٩٠ هـ .

(٢) بدئى بالتسجيل من طريق القبيل عن عمرو بن الصَّبَّاح ، على ما أوضحه « المعدل » المصرى - موسى بن الحسين فى كتابه « الروضة فى اختلاف الأئمة القراء الخمسة عشر » . وسترده ، بعد قليل ، تفصيل فى هذا الشأن والمعدل توفى بعبد العشرين وثلاثمائة . وكان ثقة ضابطاً إماماً مشهوراً (انظر : ابن الجزرى : النشر - ١ ص ١٨٧)

(٣) توفى بجلولان بالعراق سنة ١٥٦ هـ .

(٤) توفى ببغداد سنة ٢٢٩ هـ .

(٥) توفى بالكوفة سنة ١٨٨ هـ وقيل ١٨٩ هـ .

(٦) توفى بربنوبة : قرية من قرى الرى سنة ١٨٩ هـ .

(٧) توفى سنة ٢٤٠ هـ .

(ب) برواية الدوري :

من طريق : أبي الفضل جعفر بن محمد النَّصَّيْبِي ، من طريق : الجَلْدَانِ ،
وابن دِيَزَوَيْه .

ثم من طريق : أبي عثمان الضَّرِير ، من طريق : ابن هاشم ، والشَّدَائِي .

٨ - قراءة أبي جعفر (١) :

(١) برواية ابن وَرْدَانَ (٢) :

من طريق : الفضل بن شاذان ، من طريق : ابن شَيْبِيب ، وابن هرون .

ثم من طريق : هبة الله بن جعفر ، من طريق : الحَتْبَلِي ، والحَمَامِي

(ب) برواية ابن جَمَّاز (٣) :

من طريق : أبي أيوب الهاشمي ، من طريق : ابن رزين ، والأزرق الحمال

ثم من طريق : الدوري ، من طريق : ابن النفاح ، وابن نَهْشَل .

٩ - قراءة يعقوب الحضرمي (٤) :

(١) برواية رُوَيْس (٥) :

من طرق : النحاس ، وأبي الطيب ، وابن مقسم ، والجوهرى (عن التمار) .

(ب) و برواية رُوْح (٦) :

من طريق : ابن وهب ، من طريق : المعدل ، وحمزة بن علي .

ثم من طريق : الزبيرى ، من طريق : غلام بن شنبوذ ، وابن حبشان

(١) توفى سنة ١٣٠ هـ .

(٢) توفى سنة ١٦٠ هـ .

(٣) توفى بعيد سنة ١٧٠ هـ .

(٤) توفى سنة ٢٠٥ هـ .

(٥) توفى بالبصرة سنة ٢٣٨ هـ .

(٦) توفى سنة ٢٣٤ أو ٢٣٥ هـ .

١٠ - قراءة خلف البزار (١) :

(أ) برواية إسحق (٢) :

من طريق : السوسنجردى ، وبكر بن شاذان

ثم من طريقى : محمد بن اسحق نفسه ، والبرصاطى

(ب) و برواية إدريس (٣) :

من طرق : الشطى ، والمطوعى ، وابن بويان ، والقطيبي .

١٤

على أنى لم أقف عند منع اختلاط الروايات بعضها ببعض ، بل أوجبتُ عدم التليق بين الطرق والأوجه أيضاً ، وجعلت في مخططات الجمع أن يلتزم تسجيل كل رواية الطريق والوجه المختارين من أول القرآن إلى آخره .

وقد أوضحت آنفاً الروايات العشرين والطرق الثمانين المختارة للجمع الصوق للقرآن .

• • •

وهذا أيضاً بعض تفصيل للأوجه التى أختارها لتسجيل كل من هذه الروايات من إحدى طرقها المشهورة . وآمل أن يكون هذا الاختيار - إن شاء الله - نبراساً لكل من يسجل - في مستقبل الأيام - الطرق والأوجه الأخرى لتلك الروايات (٤) .

(١) توفى سنة ٢٢٩ هـ .

(٢) توفى سنة ٢٨٦ هـ .

(٣) توفى سنة ٢٩٢ هـ .

(٤) في هذه الاختيارات ، أئدت أيضاً من خبرة الأستاذين : الشيخ محمد سليمان صالح ، والشيخ محمود حافظ برانق ، المدرسين بمعهد القراءات التابع للأزهر ، فأسجل لهما الشكر هنا .

١ - قراءة نافع

(١) برواية ورش من طريق الأزرق

١ - بين السورتين :

تقرأ البسمة ، إلا فيما بين سورتي : « الأنفال » و « براءة » ، فلا تقرأ ، ويكون وقف .
٢ - البدل (في مثل : ءامنوا - إيماناً أوتوا) :

يراعى التوسط .

٣ - اللين (في مثل : شيء - سوء) .

يراعى التوسط أيضاً ، إلا في عين : « كهيَّعَصَ »^(١) و « عَسَقَ »^(٢) .

٤ - العارض للسكون (في مثل : هَاد - قَدِير - عَفُور) .

يراعى التوسط .

٥ - الهمزتان المفتوحتان في كلمة واحدة .

تُبدَلُ الثانية حرفاً مدّاً ، في مثل « ءَأَنذَرْتَهُمْ »^(٣) .

أما كلمة « ءَأَمَنْتُمْ » في قوله في سورة الأعراف : « قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنَ لَكُمْ »^(٤) ، وقوله في سورة طه : « قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنَ لَكُمْ »^(٥) وقوله مثل هذا في سورة الشعراء ، فتقرأ بتسهيل الهمزة الثانية ، مع التوسط .

وبمثل هذا تقرأ كلمة « ءَأَلِهْتَنَا » في قوله في سورة الزخرف : « وَقَالُوا ءَأَلِهْتَنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ »^(٦) .

٦ - الهمزتان المفتوحة أولاهما ، والمكسورة ثانيتهما في كلمة واحدة (في مثل : « أئمة »^(٧)) .

يراعى التسهيل بينَ يَينَ .

(١) سورة مريم / ١

(٢) سورة الشورى / ٢١

(٣) سورة البقرة / من الآية ٦ ، وصورة يس / من الآية ١٠

(٤) الآية / ١٢٣

(٥) الآية / ٧١

(٦) الآية / ٥٨

(٧) سورة التوبة / ١٢ ، وصورة الأنبياء / ٧٣ ، وصورة القصص / ٥٥ و ٤١ ، وصورة السجدة / ٢٤

٧ - الهمزتان المتفتحتان في كلمتين (مثل : « جَاءَ أَمْرًا »^(١) - « مِنْ السَّمَاءِ إِنَّ »^(٢)) -
« أَوْلِيَاءَ أَوْلِيكَ »^(٣) :

تبدل الهمزة الثانية حرف مدّ .

٨ - الهمزتان المختلفتان في الحركة ، والواقعتان في كلمتين (مثل : « يَشَاءُ إِلَى »^(٤))
و « يَشَاءُ إِنَّ »^(٥) و « يَشَاءُ إِنَّمَا »^(٦) :

يُقْرَأُ بِالتَّسْوِيلِ بَيْنَ بَيْنَ .

٩ - الفتح والإمالة وما بينهما :

(١) يراعى تقليل المدّ في :

١ - ذوات الياء

٢ - « أَرِيكَهُمْ » في سورة الأنفال^(٧) .

٣ - رؤوس الآي غير ما فيه « ها » ، على ما هو مفصّل بعدد .

(ب) رؤوس الآي التي فيها « ها » مثل : « ضَحِيهَا »^(٨) .

و « تَلِيهَا »^(٩) و « سَوِيهَا »^(١٠) : تقرأ بالفتح .

(ج) يُرَاعَى تَقْلِيلُ الإِمَالَةِ فِي : « الْجَارِ »^(١١) و « جَبَّارِينَ »^(١٢) .

١٠ - الرواءات :

يقرأ بالترقيق في الرواءات ، فيما خلا باب « ذِكْرًا » ، وألفاظه : « ذِكْرًا »^(١٣) - « سِتْرًا »^(١٤)

(١) سورة هود / ٤٠ و ٥٨ و ٦٦ .

(٢) سورة الشعراء / ١٨٧ .

(٣) سورة الأحقاف / من الآية ٣٢ .

(٤) سورة البقرة / ١٤٢ و ٢١٣ ، سورة النور / ٤٦ .

(٥) سورة قاطر / ١ .

(٦) سورة الشورى / ٤٩ .

(٧) من الآية ٤٣ .

(٨) سورة الشمس / ١ .

(٩) سورة الشمس / ٢ .

(١٠) سورة الشمس / ٧ .

(١١) سورة النساء / ٣٦ .

(١٢) سورة المائدة / ٢٢ ، سورة الشعراء / ١٣٠ .

(١٣) سورة البقرة / ٢٠٠ ، سورة الكهف / ٧٠ و ٨٣ ، سورة طه / ٩٩ و ١١٣ ، سورة الأنبياء / ٤٨ ، سورة

الأحزاب / ٤١ ، سورة الصافات / ٣ و ١٦٨ ، سورة الطلاق / ١٠ ، سورة المرسلات / ٥ .

(١٤) سورة الكهف / ٩٠ .

- « حَجْرًا »^(١) - « وَزُرًّا »^(٢) - « إِمْرًا »^(٣) - « صِهْرًا »^(٤) .

١١ - اللّامات :

تقرأ بالتغليظ مطلقاً .

١٢ - ياءات الإضافة (مثل : « مَحْيَايَ » في سورة الأنعام^(٥)) :

تسكن ياء الإضافة .

١٣ - أوجه في بعض السُّور :

(أ) في سورة آل عمران : « هَاتِمٌ »^(٦) : تُبدل الهمزة حرف مدّ .

(ب) في سورة الأنعام : « أَرَأَيْتَكُمْ »^(٧) : تُبدل الهمزة حرف مدّ .

(ج) في سورة يوسف : « تَأْمَنَّا »^(٨) : تُقرأ بالإدغام مع الإشمام .

(ب) برواية قالون ، من طريق أبي نُشَيْط

١ - ميم الجمع :

يقرأ بوجه الصّلة .

٢ - هاء الضمير في قوله تعالى في سورة طه : « وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا »^(٩) :

تقرأ بصلة الهاء .

٣ - المدّ المنفصل :

يقرأ بالقصر ؛ وفي « أَنَا إِلَهٌ »^(١٠) : يقرأ بإيَّات الألف مع القصر .

٤ - الهمزتان من كلمة واحدة (مثل : أئِمَّة) :

يقرأ بالتسهيل .

(١) سورة الفرقان / ٢٢ و ٥٣ .

(٢) سورة طه / ١٠٠ .

(٣) سورة الكهف / ٧١ .

(٤) سورة الفرقان / ٥٤ .

(٥) من الآية ١٦٢ .

(٦) من الآية ٦٦ .

(٧) من الآيتين ٤٠ و ٤٧ .

(٨) من الآية ١١ .

(٩) من الآية ٧٥ .

(١٠) سورة الأعراف / من الآية ١٨٨ .

٥ - الهمزتان المتفتحتان في كلمتين ، (مثل : « بالسَّوَةِ الْإِ »^(١)) :
يقراً بالتسهيل .

٦ - الهمزتان المختلفتان في كلمتين ، (مثل ، « يَشَاءُ إِلَى »^(٢)) :
يقراً بالتسهيل .

٧ - الإدغام الصغير :

يقراً بالإظهار في : « ارْكَبْ مَعَنَا »^(٣) :

٨ - الياءات الزوائد في الكلمات الأربع : « التَّلَاقِ »^(٤) - « التَّنَادِ »^(٥) « الدَّاعِ »^(٦) :

« إِذَا دَعَانِ »^(٧) :

يقراً بالحذف .

٩ - أوجه في بعض السُّور :

(أ) في سورة البقرة : تُقْرَأُ « نِعِمَّا »^(٨) بالإخفاء .

(ب) في سورة آل عمران : تُقْرَأُ « التَّوْرِيَةَ »^(٩) بالفتح .

(ج) في سورة النساء : تُقْرَأُ « لَا تَعْدُوا »^(١٠) بالإخفاء .

(د) في سورة يونس : تُقْرَأُ « لَا يَهْدِي »^(١١) بالإخفاء .

(هـ) في سورة مريم : تُقْرَأُ « لَأَهَبَ »^(١٢) بالياء .

(و) في سورة يس : تُقْرَأُ « يَخْضَمُونَ »^(١٣) بالإخفاء .

(ز) في سورة الزخرف : تُقْرَأُ « أَشْهَدُوا »^(١٤) بالفصل مع التسهيل .

• • •

(١) سورة يوسف / من الآية ٥٣ .

(٢) سورة البقرة / من الآيتين ١٤٢ و ٢١٣ ، سورة النور / من الآية ٤٦ .

(٣) سورة هود / من الآية ٤٢ .

(٤) سورة غافر / من الآية ١٥ .

(٥) سورة غافر / من الآية ٣٢ .

(٦) سورة البقرة / من الآية ١٨٦ ، سورة القمر / من الآيتين ٦ و ٨ .

(٧) سورة البقرة / من الآية ١٨٦ .

(٨) سورة البقرة / من الآية ٢٧١ .

(٩) من الآيات ٣ و ٤٨ و ٥٠ و ٦٥ و ٩٣ .

(١٠) من الآية ١٥٤ .

(١١) من الآية ٣٥ .

(١٢) من الآية ١٩ .

٢ - قراءة ابن كثير

(١) برواية البزى ، من طريق أبي ربيعة

١ - الهمزتان من كلمة واحدة :

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ في « أُمَّة » : في مواضعها (١) .

٢ - الهمزتان المتفتحتان في كلمتين :

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ في « بِالسُّوِّ إِلَّا » في سورة يوسف (٢) .

٣ - الهمزتان المختلفتان في كلمتين (في نحو : « يَشَاءُ إِلَى » (٣)) :

يُقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ في الهمزة الثانية .

٤ - الإدغام الصغير :

يقرأ بالإدغام في : « اَرْكَبْ مَعَنَا » في سورة هود (٤) ، ويقرأ بالإظهار في : « يُعَذَّبُ مَنْ » في سورة البقرة .

٥ - ياء الإضافة :

يُقرأ بوجه الإسكان في : « عِنْدِي أَوْ لَمْ يَعْلَمْ » في سورة القصص (٥) ، ويقرأ أيضاً بالإسكان في : « وَلِي دِينٍ » في سورة الكافرون (٦) .

٦ - أوجه في بعض السور :

(أ) في سورة البقرة : يُقرأ بالتسهيل في : « لَأَعْتَبُكُمْ » (٨) .

(ب) في سورة يونس : يُقرأ بحذف الألف في : « وَلَا أَدْرِيكُمْ بِهِ » (٩) .

(١) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، سورة الأنبياء / من الآية ٧٣ ، سورة القصص / من الآيتين ٥ و ١٤ ، سورة السجدة / من الآية ٢٤ .

(٢) من الآية ٥٣ .

(٣) سورة البقرة / من الآيتين ١٤٢ ، ٢١٣ ، سورة النور / من الآية ٤٦ .

(٤) من الآية ٤٢ .

(٥) من الآية ٢٨٤ .

(٦) من الآية ٢٢٠ .

(٧) من الآية ٧٨ .

(٨) من الآية ١٦ .

(٩) من الآية ٦ .

- (ح) في سورة القيامة : يُقرأ أيضاً بحذف الألف في : « لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ » (١) .
 (د) في سورة يوسف : يُقرأ بالإدغام مع الإشمام في : « تَأْمَنَّا » (٢) .
 ويُقرأ بوجه القلب مع الإبدال في : « يَأْتِسُّ » (٣) وبابه .
 (هـ) في سورة النحل : يُقرأ بإثبات الهمزة بعد الألف في : « شُرَكَاءِ الَّذِينَ » (٤) .
 (و) في سورة الأحزاب : يُقرأ بوجه الإبدال ياء ساكنة في : « أَلْسِي » في مواضعها (٥) .
 (ز) في سورة محمد : يُقرأ بوجه حذف المدِّ في : « ءَانفَأُ » (٦) .

(ب) برواية قُنْبُلٍ من طريق ابن مجاهد

- ١ - الهمزتان من كلمة واحدة :
 يُقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ في : « أُثِمَّة » في مواضعها (٧) .
 ٢ - الهمزتان المتفتحتان في كلمتين :
 يُقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ في نحو : « جَاءَ أَمْرُنَا » (٨) - « هَوْلَاءُ إِنْ » (٩) - « أَوْلِيَاءُ أَوْلَيْكَ » (١٠) .
 ٣ - الهمزتان المختلفتان في كلمتين :
 يُقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ في نحو : « يَشَاءُ إِلَى » (١١) .
 ٤ الإدغام الصغير :
 يُقرأ بوجه الإظهار في : « يُعَذِّبُ مَنْ » في سورة البقرة (١٢) .

- (١) من الآية ١ (٣) من الآية ٨٧
 (٢) من الآية ١١ (٤) من الآية ٢٧
 (٥) سورة الأحزاب / من الآية ٢٤ وسورة المجادلة / من الآية ١٢ ، سورة الطلاق / من الآية ٤ مرتين
 (٦) من الآية ١٦
 (٧) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، سورة الأنبياء / من الآية ٧٣ ، سورة القصص / من الآيتين ٤١ و ٥٠ ، سورة السجدة / من الآية ٢٤
 (٨) سورة هود / من الآية ٤٠
 (٩) سورة البقرة / من الآية ٣١
 (١٠) سورة الأحقاف / من الآية ٣٢
 (١١) سورة البقرة / ١٤٢ أو ٢١٣ ، سورة النور / ٤٦ .
 (١٢) سورة البقرة / من الآية ٢٨٤

٥ - ياء الإضافة :

يُقرأ بوجه الفتح في : « عِنْدِي أَوْ لَمْ يَعْلَمْ » في سورة القصص (١) .

٦ - ياءات الزوائد :

يُقرأ بوجه الإثبات في : « جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ » في سورة الفجر (٢) . وبالحذف في : « نَرْتَع » في سورة يوسف (٣) .

٧ - أوجه في بعض السور :

(أ) في سورة يوسف : يُقرأ بوجه الإدغام مع الإشمام في « تَأْمَنَّا » (٤) .

(ب) في سورة النمل : يُقرأ بوجه الهمز ساكناً في « سَاقِيهَا » (٥) .

(ج) في سورة ص : يُقرأ بوجه الهمز ساكناً في « بِالسُّوقِ »

(د) في سورة الفتح : يُقرأ بوجه الهمز ساكناً في « سُوقِهِ » (٦) .

(هـ) في سورة العلق : يُقرأ بوجه القصر في : « أَنْ رَأَاهُ » (٨) .

• • •

٣ - قراءة أبي عمرو البصرى

(أ) برواية الدورى من طريق أبي الزعراء

١ - بين السورتين :

يُقرأ بالبسملة فيما عدا ما بين الأنفال وبراءة ، فيقرأ بالوقف .

٢ - هاء الكناية :

يُقرأ بوجه الصلة في : « يَرْضَهُ لَكُمْ » في سورة الزمر (٩) .

٣ - المد المنفصل :

يُقرأ بوجه القصر .

(٦) من الآية ٣٣

(٧) من الآية ٢٩

(٨) من الآية ٧

(٩) من الآية ٧

(١) من الآية ٧٨

(٢) من الآية ٩

(٣) من الآية ١٢

(٤) من الآية ١١

(٥) من الآية ٤٤

٤ - الهمزتان من كلمة :

يقرأ بالتسهيل يَنْ يَبْنَ بدون فصل في : « أُنْمَةٌ » في مواضعها (١) .
وبالنسبة للهمزة الثانية المضمومة في : « أُوَيْسِكُمْ » في سورة آل عمران (٢) ، و « أُنزِلَ »
في سورة ص (٣) ، و « أُلْقِيَ » في سورة القمر (٤) : يُقرأ بالتسهيل بدون فصل .

٥ الهمزتان المختلفتان في كلمتين :

يقرأ بوجه التسهيل يَنْ يَبْنَ ، في نحو : « يَشَاءُ إِلَى » (٥)

٦ الرءاء المجرومة :

يقرأ بوجه الإدغام في نحو : « يَغْفِرُ لَكُمْ » (٦)

٧ - أوجه في بعض السور :

- (أ) في سورة البقرة : يقرأ بوجه الإسكان في : « بَارِئِكُمْ » معا (٧) . و « يَأْمُرُكُمْ » (٨) .
ويُقرأ بوجه الاختلاس في عين « نِعِمَّا » (٩) .
(ب) في سورة آل عمران : يُقرأ بوجه الإسكان في : « يَأْمُرُكُمْ » (١٠) . و « يَنْصُرُكُمْ » (١١) .
(ج) في سورة النساء : يُقرأ بوجه الإسكان في : « يَأْمُرُكُمْ » (١٢) .
(د) في سورة الأنعام : يُقرأ بوجه الإسكان في « يُشْعِرُكُمْ » (١٣) .
(هـ) في سورة الأعراف : يُقرأ بوجه الإسكان في : « يَأْمُرُهُمْ » (١٤) .
(و) في سورة يوسف : يُقرأ بوجه الفتح في : « يَا بَشْرَى » (١٥) .

- (١) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، سورة الأنبياء / من الآية ٧٣ ، سورة القصص / من الآيتين ٥ و ٤١ ، سورة
المجدة / من الآية ٢٤
(٢) من الآية ١٥
(٣) من الآية ٨
(٤) من الآية ٢٥
(٥) سورة البقرة / ١٤٢ و ٢١٣ . سورة النور / ٤٦
(٦) سورة آل عمران / من الآية ٣١ ، سورة الأنفال / من الآيتين ٢٩ . ٧٠ : سورة الأحزاب / من آية ٧١ ،
سورة الأحقاف / من الآية ٣١ ، سورة الحديد / من الآية ٢٨ ، سورة التغابن / من الآية ١٧ ، سورة نوح / من الآية ٤ .
(٧) من الآية ٥٤ مرتين .
(٨) من الآيات ٦٨ و ٩٣ و ١٦٩ و ٢٦٨ .
(٩) من الآية ٢٧١ .
(١٠) من الآية ٨٠ (مرتين) .
(١١) من الآية ١٦٠ .
(١٢) من الآية ٥٨ .
(١٣) من الآية ١٠٩ .
(١٤) من الآية ١٥٧ .
(١٥) من الآية ١٩ .

(ز) في سورة الأحزاب : يُقْرَأُ بوجه الإبدال ياء ساكنة في : « أَلَسِي » (١) ، وكذلك في مواضعها .

(ح) في سورة الملوك : يُقْرَأُ بوجه الإسكان في « يَنْصُرُكُمْ » (٢) .

(ب) رواية السوسى من طريق ابن جرير

١ - بين السورتين :

تقرأ البسمة ، فيما عدا ما بين الأنفال وبراءة ، فيراعى الوقف بينهما من غير بسمة .

٢ - الإدغام الكبير :

يقرأ بالإدغام في المثلين والمتقاربين ، إلا في : « وَالسِّيَ يَسِّنَ » (٣) فيقرأ بالإظهار .

٣ - الهمزتان من كلمة .

يقرأ بالتسهيل في الهمزة الثانية من « أُمَّة » في مواضعها ، وبالنسبة للهمزة الثانية

المضمومة ، يقرأ بالتسهيل بدون فصل ، على النحو المختار في رواية الدورى أيضا .

٤ - الهمزتان المختلفتا الحركة في كلمتين :

يقرأ بالتسهيل في الثانية من : « يَشَاءُ إِلَى » (٤) ، ونظيره .

٥ - الفتح والإمالة وما بينهما :

يقرأ بالفتح في « رَأَى » الذى بعده ساكن (٥) ، وبالفتح في الرء إذا وقع بعده متحرك .

ويقرأ بوجه الفتح في « يَا بَشْرَى » (٦) في سورة يوسف ، وكذا في ياء « كَهَيْحَى » (٧) .

ويقرأ بالإمالة وصلًا في نحو : « الْقُرَى الَّتِي » (٨) . و « تَرَى اللَّهَ » (٩) .

(١) من الآية ٤ . (٣) سورة الطلاق / من الآية ٤ .

(٢) من الآية ٢٠ . (٤) سورة البقرة / ١٤٢ و ٢١٣ ، سورة النور / ٤٦ .

(٥) كما في « فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا » (سورة الأنعام / ٧٧) .

و « فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً » (سورة الأنعام / ٧٨) .

و « وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ » (سورة النمل / ٨٥) .

و « وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ » (سورة النمل / ٥٣) .

و « رَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ » (سورة الكهف / ٥٣) .

و « وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ » (سورة الأحزاب / ٢٢) .

(٦) سورة يوسف / من الآية ١٩ (٨) سورة سبأ / من الآية ١٨

(٧) سورة مريم / ١ (٩) سورة البقرة / من الآية ٥٥

٦ - في سورة يوسف :

يقرأ بالإدغام مع الإشمام في « تَأْمَنَّا »^(٦) .

• • •

٤ - قراءة ابن عامر

(١) رواية هشام من طريق الحلواني

١ - بين السورتين :

يقرأ بالبسمللة بين السورتين، إلا فيما بين الأنفال وبراءة ، فيراعى الوقف بينهما بدون بسمللة .

٢ هاء الضمير :

يقرأ باختلاس كسرة الهاء في :

« يُوَدِّهِ » معا^(٧) - « نُؤْتِيهِ » معا^(٨) - « نُؤَلِّهِ »^(٩) - « نُصَلِّهِ »^(١٠) - « قَالِقِهِ »^(١١) - « يَتَّقِهِ »^(١٢)

ويقرأ باختلاس الضم في :

« يَرْضَهُ لَكُمْ » في سورة الزمر^(١٣) ، وبإشباع الكسرة في « يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ » في سورة طه^(١٤) .

٣ الهمزتان في كلمة :

(أ) المفتوحتان : يقرأ بتسهيل الثانية ، مع الإدخال بينهما ، نحو : « أَقْرَأْتُمْ »^(١٥)

(ب) المفتوحة فمكسورة : يقرأ بوجه التحقيق مع الإدخال ، نحو : « أَيْنَا »^(١٦)

و « أَيْنَا »^(١٧) .

(٦) سورة النمل / من الآية ٢٨ .

(٧) سورة النور / من الآية ٥٢ .

(٨) من الآية ٧ .

(٩) سورة الآية ٧٥ .

(١٠) سورة آل عمران / من الآية ٨١ .

(١١) من الآية ١١

(١٢) سورة آل عمران / من الآية ٧٥ (مرتين)

(١٣) سورة آل عمران / من الآية ١٤٥ (مرتين) .

(١٤) سورة النساء / من الآية ١١٥ .

(١٥) سورة النساء / من الآية ١١٥ .

(١٦) من مواضع هذه الكلمة :

سورة الإبراء / من الآيتين ٤٩ و ٩٨ ، سورة مريم / من الآية ٦٦ ، سورة المؤمنون / من الآية ٨٢ ، سورة الصافات /

من الآيتين ١٦ و ٥٣ ، سورة ق / من الآية ٣ ، سورة الواقعة / من الآية ٤٧ .

(١٧) سورة الإبراء / من الآيتين ٤٩ و ٩٨ ، سورة المؤمنون / من الآية ٨٢ ، سورة الصافات / من الآية ١٦ ،

سورة الواقعة / من الآية ٤٧ .

ويقرأ بتحقيق الهمزة الثانية في «أَنْتُمْ تَكْفُرُونَ» «من قراءة الداني على أبي الفتح فارس» .

(ح) المفتوحة فمضمومة : يقرأ بوجه التحقيق في الثانية مع الإدخال في : «أَوْثِقُواكُمْ»^(١١) - «أَوْزِلَ»^(١٢) - «أَوْلَى»^(١٣) (من الطريق المذكور) .

٤ - الوقف على الهمز المتطرف :

يتبع فيه المذهب القياسي .

٥ - ياءات الزوائد :

يقرأ بإثبات الياء في : «ثُمَّ كِيدُونَ» ، في سورة الأعراف^(١٤) وصلًا ووقفًا .

٦ - أوجه في بعض السور :

(أ) في سورة آل عمران : يُقْرَأُ بوجه الخطاب في : «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا»^(١٥) (من قراءة الداني على أبي الفتح) .

(ب) في سورة الأنعام : يقرأ بوجه التخفيف في نون : «أَتَحْجُجُونَ فِي اللَّهِ»^(١٦) (من قراءة الداني على أبي الفتح أيضاً) .

(ج) في سورة يوسف : يُقْرَأُ بوجه الإدغام ، مع الإشادة في : «تَأْمَنَّا»^(١٧) ، وبالهمز وفتح التاء في «هَيْتَ»^(١٨) .

(د) في سورة إبراهيم : يُقْرَأُ بإشباع كسر همزة «أَفْتَدَّ»^(١٩) .

(هـ) في سورة الروم : يقرأ بإسكان السين في «كَيْسًا»^(٢٠) .

(و) في سورة الزخرف : يقرأ بوجه التخفيف في «لَمَّا مَتَّعَ»^(٢١) .

(ز) في سورة الحشر : يقرأ بتأنيث الفعل ورفع الاسم في «يَكُونُ دُولَةً»^(٢٢) .

(ح) في سورة الجن : يقرأ بضم اللام في «لِيَدَأَ»^(٢٣) .

(٨) من الآية ١١ .

(٩) من الآية ٢٣ .

(١٠) من الآية ٢٧ .

(١١) من الآية ٤٨ .

(١٢) من الآية ٣٥ .

(١٣) من الآية ٧ .

(١٤) من الآية ١٩ .

(١) سورة فصلت / من الآية ٩

(٢) سورة آل عمران / من الآية ١٥

(٣) سورة ص / من الآية ٨

(٤) سورة القمر / من الآية ٢٥

(٥) سورة الأعراف / من الآية ١٩٥ .

(٦) من الآية ١٦٩ .

(٧) من الآية ٨٠ .

« (ب) رواية ابن ذكوان من طريق الأخصش »

١ - بين السورتين :

تقرأ البسملة إلا فيما بين الأنفال وبراءة ، فبراعى الموقف من غير بسملة .

٢ - الفتح والإمالة :

يقراً بوجه الإمالة في « زاد » مطلقاً^(١) ، وبالإمالة في : « هاد » في سورة التوبة^(٢) -

« حِمَارِكْ »^(٣) - « الحِمَار »^(٤) - « المِحْرَاب »^(٥) - « إِكْرَاهِيْن »^(٦) - « والإِكْرَام »^(٧)

- « عمران »^(٨) .

٣ - ياءات الزوائد :

يُقرأ بوجه إثبات الياء في : « فَلَا تَسْأَلْنِي » في سورة الكهف^(٩) .

٤ - أوجه في بعض السور :

(أ) في سورة البقرة : يقرأ بفتح المهاء في « إِبْرَاهِيم » في هذه السورة^(١٠) ، وبكسر

المهاء وبعدها ياء في غيرها من السور^(١١) . ويقراً بالسين في : « يَسْأَلُ »^(١٢) .

(ب) في سورة الأنعام : يقرأ بوجه الكسر مع الإشباع في هاء : « اقْتَدِهْ »^(١٣) .

(ج) في سورة الأعراف : يقرأ بالصاد في « بصطة »^(١٤)

(١) في خمسة عشر موضعا متفرقة في القرآن

(٢) من الآية ١٠٩

(٣) سورة البقرة / من الآية ٢٥٩

(٤) سورة الجمعة / من الآية ٥

(٥) سورة آل عمران / من الآيتين ٣٨ ، ٣٩ ، سورة مريم / من الآية ١١ ، سورة ص / من الآية ٢١

(٦) سورة النور / من الآية ٣٣

(٧) سورة الرحمن / من الآيتين ٢٧ ، ٢٨

(٨) سورة آل عمران / من الآيتين ٣٣ ، ٣٥ ، سورة التحريم / من الآية ١٢

(٩) سورة الكهف / من الآية ٧٠

(١٠) من الآيات : ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ .

(١١) في ٥٤ موضعا متفرقة .

(١٢) البقرة / من الآية ٢٤٥ ، سورة الرعد / من الآية ٢٦ ، سورة الإسراء / ٣٠ ، سورة القصص / من الآية

٨٢ ، سورة العنكبوت / من الآية ٦٢ ، سورة الروم من الآية ٣٧ ، سورة سبأ / من الآيتين ٣٦ - ٣٩ ، سورة الزمر /

من الآية ٥٢ ، سورة الشورى / من الآية ١٢

(١٣) سورة الأنعام / من الآية ٩٠

(١٤) سورة البقرة / من الآية ٢٤٥ ، سورة الأعراف / من الآية ٦٩

- ويقرأ بكسر التنوين في : « بِرَحْمَةٍ اَدْخَلُوا »^(١) - « حَيِّثُ اجْتَبَتْ »^(٢) .
 (د) في سورة يونس : يُقرأ بفتح « اُدْرِكُكُمْ »^(٣) .
 ويُقرأ بتخفيف النون المشددة في « تَتَّبِعَانَّ »^(٤) فقط .
 (هـ) في سورة يوسف : يُقرأ بوجه الإدغام مع الإشمام في : « تَأْمَنَّا »^(٥) .
 (و) في سورة النحل : يُقرأ بوجه اليباء في : « وَلَنَجْزِيَنَّهُ »^(٦) .
 (ز) في سورة مريم : يُقرأ بوجه الإخبار في : « اَوْدَا مَا مِيتُ »^(٧) .
 (ح) في سورة الروم : يُقرأ بالبناء للمعلوم في : « وَكَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ »^(٨) .
 (ط) في سورة الصافات : يُقرأ بهمزة وصل في : « وَاِنَّ الْيَاسَّ »^(٩) .
 (ي) في سورة الحاقة : يُقرأ : « قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ »^(١٠) و « قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ »^(١١) بالياء في الفعلين .

° ° °

٤ - قراءة عاصم

(١) رواية حفص ، من طريق عبيد بن الصباح

١ - المدة المنفصل :

يُرَاعَى فِيهِ التَّوَسُّطُ .

٢ - المدة المتصل :

يُرَاعَى فِيهِ التَّوَسُّطُ أَيْضاً .

٣ - المدة العارض للسكون :

يُقرأ بالقصر .

(٧) من الآية ٦٦

(٨) من الآية ١٩

(٩) من الآية ١٢٣

(١٠) من الآية ٤١

(١١) من الآية ٤٢

(١) سورة الأعراف / من الآية ٤٩

(٢) سورة إبراهيم / من الآية ٢٦

(٣) سورة يونس / من الآية ١٦

(٤) سورة يونس / من الآية ٨٩

(٥) من الآية ١١

(٦) من الآية ٩٦

٤ - أوجه في بعض الألفاظ :

(أ) « آذَكَرَيْنِ » وبابه (١) :

يُقرأ بالإبدال مع الإشباع .

(ب) « لَا تَأْمَنَّا » (٢) .

يُقرأ بالإدغام مع الإشباع .

(ج) « كَهَيْعَصَ » (٣) و « عَسَقَ » (٤) :

يُقرأ بإشباع العين .

(د) « فَرَّقِ » في سورة الشعراء (٥) .

يُقرأ بالتفخيم .

(هـ) « ضَعْفَ » (٦) و « ضَعْفَأَ » (٧) :

يُقرأ بفتح الضاد .

(و) « الْمُصَيِّطُونَ » (٨) :

يُقرأ بالصاد .

(ز) « أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ » (٩) :

تُقرأ بالإدغام الكامل .

(ب) رواية شعبة ، من طريق يحيى بن آدم

١ - الفتح والإمالة :

يُقرأ بوجه الفتح في الهمز في نحو : « فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ » (١٠) - « فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ » (١١) .

٢ - أوجه في بعض السور :

(أ) في سورة البقرة : يُقرأ بوجه إسكان العين في : « نِعِمَّا » ، وكذلك في موضعها

- | | |
|---|---------------------------------|
| (١) سورة الأنعام / من الآيتين ١٤٣ و ١٤٤ | (٧) سورة الروم / من الآية ٥٤ |
| (٢) سورة يوسف / من الآية ١١ | (٨) سورة الطور / من الآية ٣٧ |
| (٣) سورة مريم / ١١ | (٩) سورة المرسلات / من الآية ٢٠ |
| (٤) سورة الشورى / ٢ | (١٠) سورة الأنعام / من الآية ٧٧ |
| (٥) من الآية ٦٣ | (١١) سورة الأنعام / من الآية ٧٨ |
| (٦) سورة الروم / من الآية ٥٤ | |

في سورة النساء (١) .

- (ب) في سورة الأعراف : يُقْرَأُ « بَعْدَابٍ يَيْسٍ » (٢) : « بَعْدَابٍ يَيْسٍ » .
 (ج) سورة يوسف : يُقْرَأُ بوجه الإدغام مع الإشمام في : « تَأْمَنَّا » (٣) .
 (د) في سورة الكهف : يُقْرَأُ بوجه الوصل في : « أَتَوْنِي » في موضعها (٤) .
 (هـ) في سورة الرحمن : يُقْرَأُ بكسر الشين في : « الْمُتَشَنَاتُ » (٥) .
 (و) في سورة المجادلة : يُقْرَأُ بكسر الشين في : « أَنْشُرُوا » - « فَاَنْشُرُوا » (٦) .

• • •

٦ - قراءة حمزة

(١) رواية خلف ، من طريق إدريس

١ - السكت على الهمز :

يُقْرَأُ بوجه السَّكْتِ على : « أَل » ، و « شَيْء » ، والمفصول . (من طريق أبي الفتح فارس) .

ويلاحظ التغير في الهمز المتوسط بزائد في الوقف . (من الطريق المذكور) .

٢ - الوقف على الهمز :

يُخْتَارُ في الوقف على الهمز المتوسط والمتطرف بأنواعه المذهب القياسي

ويُقْرَأُ بوجه المد في الهمز المتوسط مع التسهيل في نحو : « جَاءَ كُمْ » (٧) و « جَاءَ وَكُمْ » (٨) و « أَوْلَيْكَ » (٩) .

(١) سورة البقرة / من الآية ٢٧١ ، وسورة النساء / من الآية ٥٨

(٢) من الآية ١٦٥

(٣) من الآية ١١

(٤) من الآية ٦٩ مرتين

(٥) من الآية ٢٤

(٦) الكلمتان من الآية ١١

(٧) وردت في ٢٦ موضعا من القرآن

(٨) سورة النساء / من الآية ٩٠ ، وسورة المائدة / من الآية ٦٦ ، وسورة الأحزاب / من الآية ١٠ .

(٩) وردت في ٢٠٤ مواضع من القرآن

ويُقرأ بوجه القصر مع الإبدال في الهمز المتطرف الذي وقع قبله ألف ، نحو : « جَاءَ »^(١) - « مِنْ السَّمَاءِ »^(٢) « يَشْرُونَ »^(٣) « الْبَلَاؤُا »^(٤) - « الضُّعْفُؤُا »^(٥) - « وَمِنْ أَنَايِ »^(٦) ، وتُنقل حركة الهمز إلى ما قبلها ياءً كان نحو : « شَيْءٌ » ، أو واواً نحو : « سُوءٌ » ، مع السكون المحض .

ويُقرأ بالتسبيل بَيْنَ بَيْنَ حيث يقع الهمز متوسطاً متحركاً وقبله متحرك .

ويُقرأ بوجه ضمّ الهاء وفقاً في « أَتَيْتُهُمْ »^(٧) (وهو مذهب أبي الفتح) .

ويُقرأ بوجه النقل مع السكون المحض في نحو : « دِفْءٌ »^(٨) - « بَيْنَ الْمَرْءِ »^(٩) - « يُخْرِجُ الْخَبَاءَ »^(١٠) .

ويُقرأ بالإبدال ألفاً في نحو : « يَدْرُؤُا »^(١١) ، وياً في نحو : « يَسْتَهْزِئُ »^(١٢) ، وواواً في نحو : « إِنْ أَمْرًا »^(١٣) .

(ب) رواية خلاد ، من طريق ابن شاذان

١ - هاء الضمير :

يُقرأ بكسر الهاء وصلتها في : « يَتَّقِهِ »^(١٤) (من قراءة الداني على أبي الحسن طاهر ابن غلبون) .

-
- (١) وردت في ٦٨ موضعاً من القرآن
 - (٢) وردت بالكسر في ٨٦ موضعاً من القرآن
 - (٣) وردت في ١١٦ موضعاً من القرآن
 - (٤) سورة الصافات / من الآية ١٠٦
 - (٥) سورة التوبة / من الآية ٩١ ، سورة إبراهيم / من الآية ٢١ ، سورة غافر من الآية ٤٧
 - (٦) سورة طه / من الآية ١٣٠
 - (٧) سورة البقرة / من الآية ٣٣
 - (٨) سورة النحل / من الآية ٥
 - (٩) سورة البقرة / من الآية ١٠٢
 - (١٠) سورة النمل / من الآية ٢٥
 - (١١) سورة يونس / من الآيتين ٤ ، ٣٤ ، سورة النمل / من الآية ٦٤ ، سورة الروم / من الآيتين ١١ ، ٢٧
 - (١٢) سورة البقرة / من الآية ١٥
 - (١٣) سورة النساء / من الآية ١٧
 - (١٤) سورة النور / من الآية ٥٢

٢ - السكت على الهمز :

يُقرأ بالسكت على : «أل» و «شيء» ، مع مراعاة التحقيق في المتوسط بزائد من الهمز وقفا .

٣ - الوقف على الهمز :

يُقرأ بنفس الأوجه المختارة آنفا لخلف ، لأن مذهبهما في الوقف على الهمز واحد .
ولكن إذا وقف على : «أَنْبِئْهُمْ»^(١) - «وَبَيِّنْهُمْ»^(٢) ، يُقرأ لخلاّد بوجه كسر الهاء مع الإبدال (وهذا مذهب طاهر بن غلبون) .

٤ - الإدغام الصغير :

يُقرأ بالإظهار في : «بَلْ طَبَعَ» بالنساء^(٣) ، وبالإدغام في : «وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» في سورة الحجرات^(٤) ، وبالإظهار في : «ارْكَبْ مَعَنَا» في سورة هود^(٥) .

٥ - الفتح والإمالة :

يُقرأ بوجه الإمالة في «ضِعْفًا» في سورة النساء^(٦) ، و «ءَاتِيكَ» - معا - في سورة النمل^(٧) .

٦ - أوجه في بعض السور :

- (أ) في سورة البقرة : يُقرأ بالسين في : «وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ»^(٨) .
(ب) في سورة الأعراف : يُقرأ بالسين أيضاً في : «بَصْطَةَ»^(٩) .
(ج) في سورة الطور : يُقرأ بوجه الإشمام في : «المُصَيِّطُونَ»^(١٠) .
(د) في سورة المرسلات : يُقرأ بالإظهار في : «فَالْمَلْقَيْتِ ذِكْرًا»^(١١) .
(هـ) في سورة الغاشية : يُقرأ بوجه الإشمام في : «بِمُصَيِّطٍ»^(١٢) .
(و) في العاديات : يُقرأ بالإظهار في : «فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا»^(١٣) .

* * *

(١) سورة البقرة / من الآية ٣٣

(٢) سورة الحجور / من الآية ٥١ ، وسورة القمر / من الآية ٢٨ .

(٣) من الآية ١٥٥

(٤) من الآية ٦٩

(٥) من الآية ١١

(٦) من الآية ٣٧

(٧) من الآية ٤٢

(٨) من الآية ٥

(٩) من الآية ٩

(١٠) من الآية ٢٢

(١١) من الآيتين ٣٩ ، ٤٠

(١٢) من الآية ٣

(١٣) من الآية ٢٤٥

٧ - قراءة الكسائي

(أ) رواية أبي الحارث ، من طريق محمد بن يحيى

- ١ - هاء التانيث في الوقف :
يُقرأ بالإمالة في الحروف التي يجمعها قولهم : « فَجَعْتُ زَيْنَبَ لِدُودِ شَمْسٍ » وحروف
« أَكْهَرُ » بشرطها .
ويُقرأ بفتح الباقي
- ٢ - وجه في سورة الرحمن :
يُقرأ : « لَمْ يَطْمِئُنْ » في موضعها^(١) بضم الميم في الأولى ، وبكسر الميم في الثانية .

(ب) رواية الدّوري ، من طريق جعفر النّصيبي

- ١ - الفتح والإمالة :
يُقرأ بالفتح في : « يُوْرِي »^(٢) و « فَأُوْرِي »^(٣) .
- ٢ - هاء التانيث في الوقف :
مذهبه هنا كمذهب أبي الحارث ، فيقرأ على النحو المختار آنفا .
- ٣ - وجه في سورة الرحمن :
تُقرأ . « لَمْ يَطْمِئُنْ » في موضعها ، بعكس قراءة أبي الحارث ، أي بكسر الميم في الأولى .
وضمّها في الثانية .

• • •

(١) من الآيتين ٥٦ ، ٧٤

(٢) سورة المائدة / من الآية ٣١

(٣) من الآية السابقة

٨ - قراءة أبي جعفر

(١) رواية ابن وردان ، من طريق الفضل بن شاذان

١ - الهمز المفرد :

يُقرأ بوجه الإبدال في : « مَوْطِئًا »^(١) ، وبالحذف في : « الْمُنْشِئُونَ »^(٢) .

٢ - الهمزتان في كلمة وفي كلمتين :

يُقرأ بالتسهيل في : « أَيْمَةً »^(٣) و « يَشَاءُ إِلَيَّ »^(٤) .

٣ - أوجه في بعض التّور :

(١) في سورة الأعراف : تُقرأ « وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا »^(٥) بالوجه الثاني

لابن وردان ، أي بفتح الياء وضمّ الراء ، أي بالتسمية للمعلوم . (والوجه الأول الذي لم نختره هو ضم الياء وكسر الراء) .

وتُقرأ : « نَكِدًا » بفتح الكاف

(ب) في سورة التوبة : تُقرأ : « سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ »^(٦) : « سُقَاةً » بضم السين ،

وحذف الياء ، و « وَعَمْرَةَ » ، بفتح العين وحذف الألف بعد الميم .

(ج) في سورة الإسراء : تُقرأ : « فَيُفَرِّقُكُمْ »^(٧) بتخفيف الإدغام .(د) في سورة الزُّمَر : تُقرأ : « يَحْسَرَتْنِي »^(٨) بالإسكان مع الإشباع ، أي

« يَا حَسْرَتَايَ »

(١) سورة التوبة / من الآية ١٢٠

(٢) سورة الواقعة / من الآية ٧٢

(٣) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، سورة الانبياء / من الآية ٧٣ ، وسورة القصص / من الآيتين ٥ ١٤

(٤) سورة البقرة / من الآيتين ١٤٢ ، ٢١٣ ، وسورة يونس / من الآية ٢٥ ، وسورة النور / من الآية ٤٦

(٥) من الآية ٥٨

(٦) من الآية ١٩

(٧) من الآية ٦٩

(٨) من الآية ٥٦

(ب) رواية ابن جمّاز ، من طريق أبي أيوب الهاشمي

١ - الهمز المفرد :

يُقرأ بوجه الإبدال في : « مَوْطِئاً »^(١)

٢ - الهمزتان في كلمة وفي كلمتين :

يُقرأ بالتسهيل في : « أُيْمَةٌ »^(٢) و « يَشَاءُ إِلَى »^(٣) .

• • •

٩ - قراءة يعقوب

(ا) رواية رويس ، من طريق التمار

١ - بين السورتين :

يُرَاعَى السَّكْتُ .

٢ - الإشمام :

يُقرأ بإشمام الصّاد زائياً في باب « أَصْدَقُ » ، أي حيث تكون الصّاد ساكنة قبل الدال .

٣ - هاء الضمير :

يُقرأ بكسر الهاء في :

« وَيُلْهِمُ الْأَمْلُ » في سورة الحجر^(٥) - « يُغْنِيهِمُ اللَّهُ » في سورة النور^(٦) - « وَقِيهِمْ

(١) سورة التوبة / من الآية ١٢٠

(٢) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٧٣ ، وسورة القصص / من الآيتين ٥ و ١٤

(٣) سورة البقرة / من الآيتين ١٤٢ و ٢١٣ ، وسورة يونس / من الآية ٢٥ ، وسورة النور / من الآية ٤٦

(٤) يعتمد هذا الإختيار والاختيار التّالي له ، وهو الخاص برواية رُوخ من طريق محمد بن وهب ، على ما روى

عن كتاب المصباح « لأبي الكرم الشهرزوري . . . »

وأذكر - شاكراً - أني أفدت أيضاً في هذين الاختيارين من آراء عالم القراءات الأستاذ الشيخ عامر السيد عثمان .

(وانظر أسماء الرواة الذين تلقى عنهم صاحب (المصباح) هاتين الروايتين في : ابن الجزري : النشر ج ١ ص ١٨١

و ١٨٣) .

(٥) من الآية ٣

(٦) من الآية ٣٢

عَدَابَ « في سورة غافر^(١) - « وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ » في سورة غافر أيضاً^(٢) .

٤ - الإدغام الكبير :

يُقرأ بالإدغام في :

« لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ » في سورة البقرة^(٣) - « وَجَعَلَ لَكُمْ » في ثمانية مواضع بسورة النحل^(٤)

- « لَا قِيلَ لَهُمْ » في سورة النمل^(٥) - « وَأَنَّهُ هُوَ » في أربعة مواضع في سورة النجم^(٦) -

« وَأَنْزَلَ لَكُمْ » في الزمر^(٧) - « مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادًا » في سورة الأعراف^(٨) .

٥ - هاء الكناية :

يُقرأ بصلة الهاء في « يَرَهُ » في سورة البلد^(٩) ، وفي سورة الزلزلة^(١٠) .

٦ - المد والقصر :

يُقرأ بقصر المنفصل ، وإشباع المتصل .

٧ - الهمزتان من كلمة :

يُقرأ بتسهيل الهمزة الثانية في جميع القرآن .

٨ - الهمزتان من كلمتين :

يُقرأ بتسهيل الهمزة الأخيرة من الهمزتين المتفتحتين من كلمتين ، ومن المختلفتين ، نحو :

« نَبِيٌّ إِلَىٰ »^(١١) - « جَاءَ أُمَّةٌ »^(١٢) - « يَشَاءُ إِلَىٰ »^(١٣)

ويُقرأ بإبدال الهمزة الأخيرة وأوًا في نحو : « السُّفْهَاءُ إِلَّا »^(١٤) ، وإبدالها ياء في نحو :

« مِنْ السَّمَاءِ أَوْ أُثْبِتْنَا »^(١٥) .

٩ - الهمز المفرد :

كلمة : « الأُولَىٰ » في قوله تعالى : « وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ »^(١٦) . إذا بدئ بها قرئت

بهمزة مفتوحة وضم اللّام .

(١) من الآية ٧ . (٢) من الآية ٩ . (٣) من الآية ٢٠ .

(٤) من الآيات ٧٢ (مرتين) و ٧٨ و ٨٠ (مرتين) و ٨١ (ثلاث مرات) .

(٥) من الآية ٣٧ . (٦) من الآية ٧ .

(٧) من الآيات ٤٣ و ٤٤ و ٤٨ و ٤٩ . (٨) من الآيتين ٧ و ٨ .

(٩) من الآية ٦ . (١٠) سورة الحجرات / ٩ .

(١١) من الآية ٤١ . (١٢) سورة المؤمنون / ٤٤ .

(١٣) سورة البقرة / ١٤٢ و ٢١٣ ، سورة يونس / ٢٥ ، سورة النور / ٤٦ .

(١٤) سورة البقرة / من الآية ١٣ .

(١٥) سورة الأنفال / من الآية ٣٢ . (١٦) سورة النجم / ٥٠ .

١٠ - الإدغام الصغير :

يُقرأ بالإظهار في باب : « اتَّخَذْتُمْ » و « أَخَذْتُمْ » .

ويُقرأ بإظهار غنة النون الساكنة والتنوين عند اللام في مثل : « مِنْ كُدُّهُ » (١) - « وَهَدَى لِلْمُتَّقِينَ » (٢)

١١ - الوقف على مرسوم الخط :

يُوقف بهاء السكت على :

(أ) جمع المذكر السالم والملاحق به ، مثل : « الْعَلَمِينَ » - « الَّذِينَ »

(ب) ذى النُدبة في : « يَوَيْلَتِي » (٣) - « يَحْسَرَتِي » (٤) - « يَا سَنَى » (٥) مع إشباع المدِّ .

(ح) نون النسوة ، نحو : « عَلَيْنَّ » - « مِنْهِنَّ » - « أَرْجُلِهِنَّ » .

(د) ما « الاستفهامية » التي دخل عليها حرف من حروف الجرِّ ، وهي : « فِيهِ » -

« مِمَّ » - « عَمَّ » - « لِمَ » - « بِمِ » ، فتُقرأ : « فِيْمَهُ » ، و « مِمَّهُ » ، و « عَمَّهُ »

و « لِمَهُ » ، و « بِمَهُ » .

١٢ - باءات الإضافة والزوائد :

يُقرأ بإثبات الباء ساكنة في : « بَعِبَادٍ لَأَخَوْفُ » في سورة الزخرف (٦) - « يَعْْبَادِ فَاتَّقُونِ » في الزُّمَر (٧) .

١٣ - فرش الحروف :

يُقرأ بتشديد « فَتَحْنَا » في الأنعام (٨) والأعراف (٩) ، والقمر (١٠) .

ويُقرأ بقطع همزة « فَاجْمِعُوا » في سورة يونس (١١) .

ويُقرأ بإبدال همزة الفصل مداً في نحو : « الذَّاكِرَيْنِ » (١٢) .

(١) سورة النساء / ٤٠ ، سورة الكهف / ٢

(٢) سورة البقرة / ٢

(٣) سورة المائدة / من الآية ٣١ ، سورة هود / من الآية ٧٢ ، سورة الفرقان / من الآية ٢٨ .

(٤) سورة الزُّمَر / من الآية ٥٦

(٥) سورة يوسف / من الآية ٨٤

(٦) من الآية ٦٨

(٧) من الآية ١٦

(٨) من الآية ٧١

(٩) من الآية ٤٤

(١٠) سورة الأنعام / من الآيتين ١٤٣ ، ١٤٤ .

(١١) من الآية ٩٦

ويُقرأ بفتح الياء في : « لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ » في سورة إبراهيم^(١) - لِيُضِلَّ عَنْ « في الحج^(٢) والزمر^(٣) .

ويُقرأ بضم الياء في « لِيُضِلَّ عَنْ » في سورة لقمان^(٤) .

ويُقرأ بنقل حركة الهمزة في قوله تعالى : « عِيُونَ ادْخُلُوهَا » في سورة الحجر^(٥) إلى تنوين مضموم ، مع كسر الخاء .

ويُقرأ بالغيب في : « عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا » في سورة الإسراء^(٦) .

ويُقرأ بتأنيث « تُسَبِّحُ » في الإسراء أيضاً^(٧) .

ويُقرأ برفع « عَلِمَ الْغَيْبِ » في سورة المؤمنون ابتداء^(٨) .

ويُقرأ « وَلَا يُنْقِصُ » في سورة فاطر^(٩) بفتح الياء ، وضم القاف .

ويُقرأ بياء الغيب في : « وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ » في سورة الشورى^(١٠) .

ويُقرأ بتثنية « وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ » في سورة الحديد^(١١) .

ويُقرأ بتخفيف « سُجِّرَتْ » في سورة التكوير^(١٢) .

ويُركب تنوين « سَلْسِلًا » في سورة الدهر^(١٣) وصلاً ، ويوقف بسكون اللام .

ويُقرأ « النَّفْسَاتِ فِي الْعُقَدِ »^(١٤) : « النَّافِثَاتِ » .

(ب) رواية روح من طريق محمد بن وهب

١ - بين السورتين :

يراعى السكت .

٢ - الإدغام السكت .

يُقرأ كما لأبي عمرو .

(٨) من الآية ٩٢

(٩) من الآية ١١

(١٠) من الآية ٢٥

(١١) من الآية ١٦

(١٢) من الآية ٦

(١٣) من الآية ٤

(١٤) من الآية ٤

(١) من الآية ٣٠

(٢) من الآية ٩

(٣) من الآية ٨

(٤) من الآية ٦

(٥) من الآيتين ٤٥ ، ٤٦

(٦) من الآية ٤٣

(٧) من الآية ٤٤

٣ الإدغام الصغير :

يُقرأ بَعَثَ النون الساكنة ، وبالتنوين عند اللّام والراء .

٤ - الهمز :

يُقرأ بتحقيقه مطلقاً .

٥ - المدّ :

يُقرأ بقصر المنفصل وإشباع المتصل .

٦ - هاء الضمير :

يقرأ بصلة الهاء في « يره » في سورة البلد^(١) ، وفي سورة الزلزلة^(٢) .

٧ - الوقوف على مرسوم الخط :

ترك هاء السكت في :

(أ) جمع المذكر السالم والملحق به .

(ب) باب « على » ، وأمثله : « مُضْرِحِيَّ »^(٣) - « بَيْتِيَّ »^(٤) - « لَدَيَّْ »^(٥) .

ويُقرأ بإثبات هاء السكت في :

(أ) نون النسوة .

(ب) اسم الاستفهام الذي دخل عليه حرف من حروف الجر .

٨ من فرش الحروف :

يقرأ بالغيب في : « كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۖ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۖ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا »^(٦) .

• • •

(١) من الآية ٧

(٢) من الآيتين ٨، ٧

(٣) سورة إبراهيم / من الآية ٢٢

(٤) سورة البقرة / من الآية ١٣٢ ، وسورة يوسف / من الآيتين ٦٧ ، ٨٧ ، وسورة إبراهيم / من الآية ٣٥ .

(٥) سورة النمل / من الآية ١٠ ، وسورة ق / من الآيات ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ .

(٦) سورة الفجر الآيات ١٧ و١٨ و١٩ و٢٠ .

١٠ - قراءة خَلْفَ البزّار

(أ) رواية إسحاق ، من طريق ابن شاذان

(ب) رواية إدريس ، من طريق المطوّعي

لم ينصّ ابن الجزرىّ في « الدّرة المضيّة في القراءات الثلاث » على خلافٍ بين الراويين الأشهرين لهذه القراءة : إسحاق ، وإدريس ، أو بين أصحاب طرقها .
 وخلفٌ صاحب هذه القراءة ، هو - كما ذكرنا قبلاً - أحد الراويين الأشهرين لحمزة ، وقد اخترنا - قبلاً - لروايته ، من طريق الشاطبية ، ما اخترنا .

لهذا ، رأينا أن نختار لقراءته هنا ما خالف روايته تلك ، وقد نهجنا في اختيارنا طريق « الدّرة » و « التّحبير » لابن الجزرىّ ، وأفدنا كثيراً من كتاب « الوجوه المسفرة في القراءات الثلاث » ، لمحمد المتولى شيخ القراء بالديار المصرية سابقاً .

١ - « الصّراط » و « صِرَاط » بمختلف مواقعهما من الإعراب ، و « صِرَاطُكَ » و « صِرَاطِي »^(١) تُقرأ بالصّاد الخالصة .

٢ - « عَلَيْهِمْ » و « إِلَيْهِمْ » و « لَدَيْهِمْ » .
 تُقرأ بالكسر ، إذا وقع بعدها محرّث .

٣ - الإدغام الكبير :

يُقرأ بإظهار النونين في : « أَمِيدُونِ بِمَالٍ »^(٢)

وكذا التاء في : « وَالصَّفَاتِ صَفًا » وَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا » فَالْتَّلِيَتِ ذِكْرًا »^(٣) ، وفي : « وَالذَّرِيَتِ ذَرَوًا »^(٤) ، وفي : « فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا »^(٥) .

وكذا تظهر التاء عند « بَيْتِ طَائِفَةٍ » .

(١) وردت مادة هذه الكلمات في القرآن عملاً وأربعين مرة .

(٢) سورة النمل / من الآية ٣٦

(٣) سورة الصافات / الآيات ١ و ٢ و ٣ .

(٤) سورة الداريات الآية ١ .

(٥) سورة العاديات / الآية ٣

(٦) سورة النساء / من الآية ٨١

٤ - الإدغام الصغير :

- يُقرأ بإظهار التاء عند التاء ، نحو : « كَذَّبَتْ ثَمُودُ ^(١) » ، و « بَعِدَتْ ثَمُودُ ^(٢) » .
ويُقرأ بإظهار لام « هَلْ » و « بَلْ » عند التاء والسين
ويُقرأ بإظهار التاء عند التاء في : « أَوْرَثْتُمُوهَا ^(٣) » ، وكذا في : « كَيْثَ ^(٤) » بتاء
المتكلم وتاء المخاطب .
ويُقرأ بإدغام نون : « يَسَّ وَالْقُرْآنَ » ، وكذا « نَّ وَالْقَلَمَ » .
ويُقرأ بإدغام نون : « طَسَمَ » في الميم (في أول سورة الشعراء ، وأول سورة القصص) ^(٥) .
ويُقرأ بإظهار الباء في : « أَرْكَبَ مَعَنَا ^(٨) » .

٥ - هاء الكناية :

- تُشبع حركة الهاء فيها يأتي :
« يُوَدِّهِ » - معا - بسورة آل عمران ^(٩) .
« نُؤَلِّهِ ^(١٠) » ، - « وَنُصِّلِهِ ^(١١) » في سورة النساء .
« نُؤْتِيهِ » في سورة آل عمران ^(١٢) ، وفي سورة الشورى ^(١٣) .
« أَلْقِيهِ » في سورة النمل ^(١٤) .
« وَبَيِّنْهُ » في سورة النور ^(١٥) .
« يَرِضْهُ » في سورة الزمر ^(١٦) .
« يَأْتِيهِ مُؤْمِنًا » في سورة طه ^(١٧) :

- (١) سورة الشعراء / من الآية ٤٤١ ، وسورة القمر / من الآية ٢٣ ، وسورة الحاقة / من الآية ٤ ، وسورة الشمس / من الآية ١١
(٢) سورة هود / من الآية ٩٥ .
(٣) سورة الأعراف / من الآية ٤٣ ، وسورة الجحيم / من الآية ٧٢
(٤) سورة البقرة / من الآية ٢٥٩ (ثلاث مرات) ، وسورة يونس / من الآية ١٦ ، وسورة طه / من الآية ٤٠ ،
وسورة الشعراء / من الآية ١٨
(٥) سورة يس / الآية ١ ومن الآية ٢
(٦) سورة ن / من الآية ١
(٧) الآية الأولى في كل من السورتين
(٨) سورة هود / من الآية ٤٢
(٩) من الآية ٧٥ (مرتين)
(١٠) من الآية ١١٥
(١١) من الآية ١١٥
(١٢) من الآية ١١٥
(١٣) من الآية ١١٥
(١٤) من الآية ١١٥
(١٥) من الآية ١١٥
(١٦) من الآية ١١٥
(١٧) من الآية ١١٥

« أَرْجَهُ » في سورة الأعراف^(١) ، وسورة الشعراء^(٢) .
وتُقرأ « لِأَهْلِهِ أَمَكُّنُوا »^(٣) بكسر الهاء .

٦ - المَدَانِ المنفصل والمتصل :

يُقرأ بالتوسط معاً .

٧ - الهمزتان من كلمة :

تُقرأ : « أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ »^(٤) بالإجبار .

٨ - الهمز المفرد :

تُقرأ « الذُّبُّ »^(٥) بالإبدال ، فتكون « الذِّبُّ » .

٩ - النقل :

يُقرأ بنقل حركة الهمزة ، وحذفها من فعل الأمر الدَّال على السؤال في « وَسئَلِ »^(٦) -
« فَسئَلِ »^(٧) .

١٠ - الوقف على الهمز :

يُقرأ بتحقيق الهمز وفقاً .

١١ - السكت على الهمز :

يُقرأ بترك السكت على الهمز مطلقاً .

١٢ - النون الساكنة والتنوينية :

تُقرأ بالغنة عند الواو والياء .

١٣ - الفتح والإمالة :

يُقرأ بالفتح في : « الْقَهَّارُ »^(٨) - « الْبَوَّارُ »^(٩) - « ضِعْفًا »^(١٠)

(١) من الآية ١١١

(٢) سورة طه / من الآية ١٠ ، وسورة القصص من الآية ٢٩

(٣) من الآية ٣٦

(٤) سورة القلم / من الآية ١٤

(٥) سورة يوسف / من الآيات ١٣ ، ١٤ ، ١٧

(٦) سورة يوسف / من الآية ٨٢ ، وسورة الزخرف / من الآية ٤٥

(٧) سورة يونس / من الآية ٩٤ ، وسورة الإسراء / من الآية ١٠١ . وسورة المؤمنون / من الآية ١١٣ ، وسورة الفرقان /

من الآية ٥٩

(٨) سورة يوسف / من الآية ٣٩ ، وسورة الرعد / من الآية ١٦ ، وسورة إبراهيم / من الآية ٤٨ ، وسورة ص /

من الآية ٦٥ ، وسورة الزمر / من الآية ٤ ، وسورة غافر / من الآية ١٦

(٩) سورة إبراهيم / من الآية ٢٨

(١٠) سورة النساء / من الآية ٩

ويقرأ بالفتح أيضاً في « خَاب » (١) - « خَاقُوا » (٢) - « طَابَ » (٣) - « ضَاقَ » (٤) « حَاقَ » (٥) - « زَاغُوا » (٦) - « زَادَ » (٧) .

ويقرأ بالإمالة في : « الأبرار » (٨) - إذا كان مجروراً - و « الرُّعْيَا » المحلى باللام .

١٤ - الوقف على المرسوم :

تثبت هاء السكت في : « مَالِيَّةٌ » (١٠) - « سُلْطَنِيَّةٌ » (١١) - « مَاهِيَّةٌ » (١٢) .

١٥ - ياء الإضافة :

يقرأ بفتح ياء الإضافة في :

« عَهْدِي الظَّالِمِينَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

« سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ » في سورة الأعراف (١٤) .

- (١) سورة إبراهيم / من الآية ١٥ ، وسورة طه / من الآيتين ٦١ و ١١١ ، وسورة الشمس / من الآية ١٠ .
 (٢) سورة النساء / من الآية ٩
 (٣) سورة النساء / من الآية ٣
 (٤) سورة هود / من الآية ٧٧ ، وسورة النكوت / من الآية ٣٣
 (٥) سورة الأنعام / من الآية ١٠ ، وسورة هود / من الآية ٨ ، وسورة النحل / من الآية ٣٤ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٤١ ، وسورة الزمر / من الآية ٤٨ ، وسورة غافر من الآيتين ٤٥ و ٨٣ ، وسورة الجاثية / من الآية ٣٣ . وسورة الأحقاف / من الآية ٢٦ .
 (٦) سورة الصف / من الآية ٥
 (٧) زادته : (سورة التوبة / من الآية ١٢٤)
 زَادَهُمْ : (سورة الأنفال / من الآية ٢ ، وسورة التوبة / من الآيتين ١٢٤ و ١٢٥) .
 زادكم (سورة الأعراف / من الآية ٦٩)
 زاده (سورة البقرة / من الآية ٢٤٧)
 زادهم (سورة البقرة / من الآية ١٠ ، وسورة آل عمران / من الآية ١٧٣ ، وسورة الفرقان / من الآية ٦٠ . وسورة الأحزاب من الآية ٢٢ ، وسورة فاطر / من الآية ٤٢ ، وسورة محمد / من الآية ١٧) .
 زادوكم (سورة التوبة / من الآية ٤٧) .
 زادوهم (سورة هود / من الآية ١٠١ ، وسورة الجن / من الآية ٦)
 (٨) سورة آل عمران / من الآيتين ١٩٣ و ١٩٨ ، وسورة المطففين / الآية ١٨
 (٩) سورة الإسراء / من الآية ٦٠ ، وسورة الصافات / من الآية ١٠٥ ، وسورة الفتح / من الآية ٢٧
 (١٠) سورة الحاقة / من الآية ٢٨
 (١١) سورة الحاقة / من الآية ٢٩
 (١٢) سورة الفارعة / من الآية ١٠
 (١٣) من الآية ١٢٤
 (١٤) من الآية ١٤٦

- « قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا » في سورة إبراهيم (١)
 « ءَاتَانِي الْكِتَابَ » في سورة مريم (٢)
 « حَرَّمَ رَنِّي الْقَوَاحِشَ » في سورة الأعراف (٣)
 « رَنِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُيْتُّ » في سورة البقرة (٤)
 « مَسَّنِي الضُّرُّ » في سورة الأنبياء (٥)
 « عِبَادِيَ الصَّالِحِينَ » في سورة الأنبياء (٦)
 « مَسَّنِي الشَّيْطَانُ » في سورة ص (٧)
 « إِنَّ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ » في سورة الزُّمَرِ (٨)
 « مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ » في سورة سبأ (٩)
 « أَهْلَكَنِي اللَّهُ » في سورة الملك (١٠)

١٦ - ياءات الزوائد :

تُحذف الياء في : « دُعَاءُ » في سورة إبراهيم (١١) ، وفي : « أَمِيدُونِي » في سورة النمل (١٢) .

١٧ - الساكن الأول تنويناً كان أو غير تنوين :

يُقرأ بالضم ، نحو : « خَبِيئَةٌ اجْتَنَّتْ » (١٣) - « قُلْ اذْعُوا » (١٤) .

١٨ - فعل « يَحْسَبُ » (١٥) مضارعاً في مختلف صورته :

يُقرأ بكسر السين .

١٩ - لفظ « أَمَّ » :

يقرأ : تُقرأ هذه الكلمة - في الإفراد والجمع - كالاتي :

بضم الهمز وتحريك الميم الحركة المناسبة ك (حفص) ، وذلك في الآيات الآتية :

(١) من الآية ٣١	(٧) من الآية ٤١
(٢) من الآية ٣٠	(٨) من الآية ٣٨
(٣) من الآية ٣٣	(٩) من الآية ١٣
(٤) من الآية ٢٥٨	(١٠) من الآية ٢٨
(٥) من الآية ٨٣	(١١) من الآية ٤٠
(٦) من الآية ١٠٥	(١٢) من الآية ٣٦

(١٣) سورة إبراهيم / من الآية ٢٦

(١٤) سورة الأعراف / من الآية ١٩٥ ، سورة الإسراء / من الآيتين ٥٦ ، ١١٠ سورة سبأ / من الآية ٢٢

(١٥) ورد هنا الفعل ٣٢ مرة في القرآن .

« فَلَأَمِّ الثُّلُثُ » (١) - « فَلَأَمِّ السُّدُسُ » (٢) - « أُمَّهَا » في سورة القصص (٣) - « في أمِّ الْكُتُبِ » (٤) - وبضم الحمز وفتح الميم في : « أُمَّهَتِكُمْ » في سورة النحل (٥) ،
وسورة النور (٦) ، وسورة الزُّمَرُ (٧) ، وسورة النجم (٨)

٢٠ - فاء الكلمة في بعض الألفاظ .

يُقرأ بضم عين « الْعُيُوبِ » (٩) ، وعين « عِيُونَ » (١٠) ، وجم « جُيُوبِينَ » (١١) وشين « شَيْوِخًا » (١٢)

٢١ - « ثَمُودَ » :

تُقرأ بالتثوين في سُورِ : هود (١٣) ، والفرقان (١٤) ، والعنكبوت (١٥) . والنجم (١٦)

٢٢ - لفظ « لَمَّا » :

يُقرأ بالتخفيف في سُورِ : هود (١٧) ، ويس (١٨) ، والزخرف (١٩) والطارق (٢٠)

٢٣ - لفظ « وَلَدًا » :

يُقرأ بالفتح في الواو واللام في : سورة مريم (٢١) ، وسورة « الزخرف » (٢٢)

٢٤ - لفظ « يُبَشِّرُ » مطلقاً :

يُقرأ كحفص

٢٥ لفظ « يَقْنَطُ » :

يُقرأ « يَقْنَطُ » (٢٣) و « يَقْنَطُونَ » (٢٤) و « لَا تَقْنَطُوا » (٢٥) بكسر النون .

(٥) من الآية ٧٨

(٦) من الآية ٦١

(٧) من الآية ٦

(٨) من الآية ٣٢

(١) سورة النساء / من الآية ١١

(٢) سورة النساء / من الآية ١١

(٣) من الآية ٥٩

(٤) سورة الزخرف / من الآية ٤

(٩) سورة المائدة / من الآيتين ١٠٩ و ١١٦ ، وسورة التوبة / من الآية ٧٨ ، وسورة سبأ / من الآية ٤٨

(١٠) سورة الحجر / من الآية ٤٥ ، وسورة الشعراء / من الآيات ٧ و ١٣٤ و ١٤٧ ، سورة يس / من الآية ٣١ ،

وسورة المدخان / من الآيتين ٢٥ و ٥٢ ، وسورة الداريات / من الآية ١٥ ، وسورة المرسلات / من الآية ٤١ ، ويقرأ أيضا بضم

العين في : عبيد (سورة القمر / من الآية ١٢)

(١١) سورة النور / من الآية ٣١

(١٩) من الآية ٣٥

(١٢) سورة غافر / من الآية ٦٧

(٢٠) من الآية ٤

(١٣) من الآية ٦٨

(٢١) من الآيات ٧٧ و ٨٨ و ٩١ و ٩٢

(١٤) من الآية ٣٨

(٢٢) من الآية ٨١

(١٥) من الآية ٣٨

(٢٣) سورة الحجر من الآية ٥٦

(١٦) من الآية ٥١

(٢٤) سورة الروم من الآية ٣٦

(١٧) من الآية ١١١

(٢٥) سورة الزُّمَرُ من الآية ٥٣

(١٨) من الآية ٣٢

٢٦ - أوجه في بعض السور :

سورة البقرة :

تُقرأ « لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ »^(١) بقاء الخطابوتُقرأ بالغيب : « وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » أَوْلَيْكَ^(٢) . . . - وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ »
وَلَيْنَ آتَيْتَ . . . »^(٣)وتُقرأ « أُسْرَى »^(٤) بضم الهمزة وألف بعد السين .ويُقرأ برفع الراء في « لَيْسَ الْبِرُّ »^(٥)ويُقرأ « فِيهِمَا إِيْمٌ كَبِيرٌ »^(٦) بالباء .ويُقرأ « إِلَّا أَنْ يَخَافَا »^(٧) بفتح الياء .ويُقرأ برفع « وَصِيَّةٌ » في : « وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً »^(٨)ويُقرأ بهمزة قطع في : « قَالَ أَعْلَمُ »^(٩)وتُقرأ « فَأَذْنُوبًا بِحَرْبٍ »^(١٠) (كحفص)ويُقرأ بفتح همزة « أَنْ تَضِلَّ »^(١١)ويُقرأ بنصب « فَتَذَكَّرْ »^(١٢)

سورة آل عمران :

يُقرأ « وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ »^(١٣) (كحفص)ويُقرأ « أَنْ اللَّهَ يَبْشُرَكَ »^(١٤) بفتح الهمزةويُقرأ « لَمَّا آتَيْنَكُمُ »^(١٥) بفتح اللامويُقرأ بالغيب في « يَحْسِنَنَّ » المجاورة للكفر واليخل^(١٦)وتُقرأ « سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ »^(١٧) (كحفص)

(١) من الآية ٨٣

(٢) من الآيتين ٨٥ : ٨٦

(٣) من الآيتين ١٤٤ و ١٤٥

(٤) من الآية ٨٥

(٥) من الآية ١٧٧

(٦) من الآية ٢١٩

(٧) من الآية ٢٢٩

(٨) من الآية ٢٤٠

(٩) من الآية ٢٥٩

(١٠) من الآية ٢٧٩

(١١) من الآية ٢٨٢

(١٢) من الآية ٢٨٢

(١٣) من الآية ٢١

(١٤) من الآية ٣٩

(١٥) من الآية ٨١

(١٦) من الآيتين ١٧٨ : ١٨٠

(١٧) من الآية ١٨١

سورة النساء :

يُقرأ : « وَالْأَرْحَامَ »^(١) بالنصبويُقرأ « غَيْرُ أُولِ الضَّرَرِ »^(٢) بنصب « غَيْرُ »وتُقرأ « وَإِنْ تَلَّوْا »^(٣) بواو مضمومة بعدها واو ساكنة (كخصص)

سورة المائدة :

تُقرأ ألفاظ : « قَسِيَّةٌ »^(٤) - « عِبْدَ الطَّغُوتِ »^(٥) - « وَلِيَحْكُمَ »^(٦) (كخصص في

الجميع) .

سورة الأنعام :

تُقرأ « ثُمَّ لَمْ تَكُنْ »^(٧) بباء التانيث .ويُقرأ برفع « وَلَا تُكذِّبْ . . . وَتَكُونُ »^(٨) معاً .وتُقرأ « تَوَفَّئَهُ »^(٩) ، و « اسْتَهْوَتْهُ »^(١٠) هكذا (كخصص)ويُقرأ بكسر الهمزة في : « أَمَّا إِذَا جَاءَتْ »^(١١) .

ويُقرأ بالغيب في : « لَا يُؤْمِنُونَ » .

ويُقرأ « إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً »^(١٢) بتدكير الفعل .وتُقرأ « فَارْقُوا »^(١٣) معاً بالتشديد .

سورة الأعراف :

تُقرأ « حَلِيمٍ »^(١٤) بضم الحاء .وتُقرأ « يُلْجِدُونَ »^(١٥) بضم الياء وكسر الحاء .

سورة الأنفال :

تُقرأ « مَنْ حَيٍّ »^(١٦) بالإظهار هكذا « حَيٍّ » .

- | | |
|-----------------------------|------------------|
| (١٠) من الآية ٧١ | (١) من الآية ١ |
| (١١) من الآية ١٠٩ | (٢) من الآية ٩٥ |
| (١٢) نفس الآية | (٣) من الآية ١٣٥ |
| (١٣) من الآية ١٤٥ | (٤) من الآية ١٣ |
| (١٤) من الآية ١٥٩ (مرتين) | (٥) من الآية ٦٠ |
| (١٥) من الآية ١٤٨ | (٦) من الآية ٤٧ |
| (١٦) من الآية ١٨٠ | (٧) من الآية ٢٣ |
| (١٧) من الآية ٤٢ | (٨) من الآية ٢٧ |
| | (٩) من الآية ٦١ |

وتُقرأ « وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا » (١) بناء الخطاب .
وتُقرأ « مِنْ وَلِيِّهِمْ » (٢) بفتح الواو .

سورة التوبة :

تُقرأ : « وَرَحْمَةُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا » (٣) بالرفع في « رَحْمَةٌ » .
وتُقرأ : « إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ » (٤) بضم التاء .
وتُقرأ : « مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ » (٥) بناء التانيث .
وتُقرأ : « أَوْ لَا يَرَوْنَ » (٦) بياء الغيب .

سورة هود :

يُقرأ بفتح همزة : « إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ » (٧) .
ويُقرأ بتنوين « إِنَّ تَمُودًا » (٨) .
وتُقرأ « قَالَ سَلِّمْ » (٩) (كخص) .

سورة إبراهيم :

تُقرأ « بِمُصْرِحِي » (١٠) بفتح الياء

سورة الكهف :

يُقرأ بالياء في « وَيَوْمَ يَقُولُ » (١١) .
وتُقرأ « ءَاتُونِي » معاً بهمزة قطع محدودة (كخص) .
وتُقرأ « فَمَا أَسْطَمُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ » (١٢) بتخفيف الطاء .

سورة مريم :

تُقرأ « عِيًّا » (١٤) - « وَبِكَيًّا » (١٥) - « صِيلِيًّا » (١٦) - « جِيًّا » (١٧) بالضم في الحرف الأول .
وتُقرأ « خَلَقْتِكَ » (١٨) (كخص)

(١٠) من الآية ٢٢	(١) من الآية ٥٩
(١١) من الآية ٥٢	(٢) من الآية ٧٢
(١٢) من الآية ٩٦ (مرتين)	(٣) من الآية ٦١
(١٣) من الآية ٩٧	(٤) من الآية ١١٠
(١٤) من الآيتين ٦٨ و ٦٩	(٥) من الآية ١١٧
(١٥) من الآية ٥٨	(٦) من الآية ١٢٦
(١٦) من الآية ٧٠	(٧) من الآية ٢٥
(١٧) من الآيتين ٦٨ و ٧٢	(٨) من الآية ٦٨
(١٨) من الآية ٩	(٩) من الآية ٦٩

وتُقرأ « نَسِيًّا » (١) بكسر النون

وتُقرأ « تَسْقِطُ » (٢) بالثشديد ، وبالناء (على التانيث) .

سورة طه :

تُقرأ « وَأَنَا اخْتَرْتُكَ » (٣) (كحخص) .

ويُقرأ بالفعل المضارع في « لَاتَحْخَفْ دَرَكًا » (٤) بالألف والرفع .

سورة الأنبياء :

تُقرأ « وَحَرَّمَ » (٥) بالفتح والألف ، (كحخص) .

سورة المؤمنون :

تُقرأ « أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ » (٦) بفتح همزة أنهم .

وتُقرأ « قُلْ كَمْ لَيْتُمْ » ، و « قُلْ إِنْ لَيْتُمْ » (٧) بصيغة الماضي في « قُلْ »

سورة النور :

تُقرأ « دَرِيٌّ » (٨) (كحخص) .

سورة الفرقان :

تُقرأ « لِمَا تَأْمُرُنَا » (٩) بتاء الخطاب .

سورة النمل :

تُقرأ « يَهْدِي الْعُمَى » (١٠) (كحخص) .

سورة القصص :

تُقرأ « بُصَدَّقْتَنِي » (١١) بالجزم في القاف .

سورة العنكبوت :

تُقرأ « مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ » (١٢) بنصب « مَوَدَّةً » متوناً ، ونصب « بَيْنِكُمْ » .

(٧) من الآيتين ١١٢ - ١١٤

(٨) من الآية ٣٥

(٩) من الآية ٦٠

(١٠) من الآية ٨١

(١١) من الآية ٣٤

(١٢) من الآية ٢٥

(١) من الآية ٦٤

(٢) من الآية ٢٥

(٣) من الآية ١٣

(٤) من الآية ٧٧

(٥) من الآية ٩٥

(٦) من الآية ١١١

سورة الروم :

تُقرأ : « ضَعْفٍ » و « ضَعْفًا »^(١) بضم الضاد .

تُقرأ : « يَهْدِ الْعُمَى »^(٢) . (كحفص) .

سورة لقمان :

تُقرأ « هُدًى وَرَحْمَةً »^(٣) بنصب رحمة .

سورة السجدة :

تُقرأ « لَمَّا صَبْرًا »^(٤) بفتح اللام وتشديد الميم في « لَمَّا » .

سورة الأحزاب :

تُقرأ : « الظُّنُونَا »^(٥) - الرُّسُولَا^(٦) - السَّبِيلَا^(٧) « بالألف ووقفاً .

سورة سبأ :

تُقرأ : « عَلِيمِ الْغَيْبِ »^(٨) بصيغة اسم الفاعل (كحفص) .

وتُقرأ : « فِي مَسْكَنِهِمْ »^(٩) بكسر الكاف .

وتُقرأ : « وَهُمْ فِي الْعُرْفِ »^(١٠) بالجمع هكذا .

سورة فاطر :

تُقرأ « وَمَكَرَ السَّيِّئِ »^(١١) بكسر الهمزة .

سورة يس :

تُقرأ « يَخْضِبُونَ »^(١٢) (كحفص) .

وتُقرأ « نُنَكِّسُهُ »^(١٣) بضم الكاف والتخفيف ، أى « نُنَكِّسُهُ » .

سورة الصافات :

تُقرأ : « بَرِيَّةِ الْكَوَاكِبِ »^(١٤) بحذف تنوين « زِينَةِ » .

وتُقرأ : « يَرْفُونَ »^(١٥) بضم الياء .

(٩) من الآية ١٥

(١٠) من الآية ٣٧

(١١) من الآية ٤٣

(١٢) من الآية ٤٩

(١٣) من الآية ٦٨

(١٤) من الآية ٦

(١٥) من الآية ٩٤

(١) من الآية ٥٤

(٢) من الآية ٥٣

(٣) من الآية ٣

(٤) من الآية ٢٤

(٥) من الآية ١٠

(٦) من الآية ٦٦

(٧) من الآية ٦٧

(٨) من الآية ٣

سورة الزمر :

تُقرأ : « أَمْرٌ هُوَ »^(١) بتشديد الميم

سورة فصلت :

تُقرأ : « يُلْجِدُونَ »^(٢) بضم الياء وكسر الحاء .

سورة الزخرف :

تُقرأ : « سَلَفًا »^(٣) بفتح السين واللام

وتُقرأ : « يَصِدُّونَ »^(٤) بضم الصاد

وتُقرأ : « وَقِيلَهُ يَرْبُّ »^(٥) بنصب اللام

سورة الجاثية :

تُقرأ : « آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ »^(٦) - « آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ »^(٧) برفع « آيات » في

الموضعين (كحفص) .

وتُقرأ : « وَالسَّاعَةُ لَأَرْبَبَ فِيهَا »^(٨) - برفع الساعة .

سورة الطور :

تُقرأ : « الْمُصْبِطُونَ »^(٩) بالصاد .

سورة القمر :

تُقرأ : « سَيَعْلَمُونَ غَدًا »^(١٠) بياء الغيب .

سورة الرحمن :

تُقرأ « الْمُتَشَاتَاتُ »^(١١) بفتح الشين

سورة الواقعة :

تُقرأ « وَجُورٍ عَيْنٌ »^(١٢) برفعهما

ويُقرأ « شَرِبَ الْحَمِيمِ »^(١٣) بفتح الشين

(٨) من الآية ٣٢

(٩) من الآية ٣٧

(١٠) من الآية ٢٦

(١١) من الآية ٢٤

(١٢) الآية ٢٢

(١٣) من الآية ٥٥

(١) من الآية ٩

(٢) من الآية ٤٠

(٣) من الآية ٥٦

(٤) من الآية ٥٧

(٥) من الآية ٨٨

(٦) من الآية ٤

(٧) من الآية ٥

سورة الحديد .

تُقرأ « انظُرُونَا نَقْتِسِبُ »^(١) بهمزة وصل مضمومة ، وضَمَّ الظاء

سورة المجادلة :

تُقرأ « وَيَتَّجِرُونَ »^(٢) (كحفص) .

سورة الملك :

تُقرأ « تَقَوَّتْ »^(٣) بالمدِّ والتخفيف (كحفص) .

سورة الجن :

تُقرأ « قُلْ إِنَّمَا »^(٤) بصيغة الماضي

سورة الإنسان :

تُقرأ « قَوَارِيرًا »^(٥) الأولى بتنوين ، وبالألف وقفاً

وتُقرأ « عَلَيْهِمْ »^(٦) بفتح الياء

سورة النبأ :

تُقرأ « لَيْثِينَ »^(٧) بالمدِّ

سورة الغاشية :

تُقرأ « بِمُصْطَبِرٍ »^(٨) بالصَّاد

سورة القدر :

تُقرأ « مَطَّلَعِ الْقَجْرِ »^(٩) بكسر اللام في « مَطَّلَعِ » .

١٥

وقد كان بعضهم^(١٠) يرى - بالنسبة لبعض القراءات - أنه لا يصح استعمالها وقراءتها ، « حتى إذا صح سندها وحسنت روايتها » ، « فقد مات أهلها ومن ينطقون بها ، وإذا كان أهلها على قيد الحياة ، فليس هذا مكانهم ، وليست هذه البلاد أوطانهم » .

(٦) من الآية ٢١

(٧) من الآية ٢٣

(٨) من الآية ٢٢

(٩) من الآية ٥

(١٠) ابن الخطيب في كتابه « الفرقان » ص ١٠٣

(١) من الآية ١٣

(٢) من الآية ٨

(٣) من الآية ٣

(٤) من الآية ٢٠

(٥) من الآيتين ١٥ ، ١٦

ولا نقف عند هذا القول فهو واضح السطحية ، ولعله اجترأ من صاحبه على ما لم يدرس ، والظن أن فيما ذكرناه آنفا ما يعصف بهذا الرأي عصفاً .

١٦

وكان بعض القراء المشاهير ، إذا دعوتهم إلى الاشتراك في الجمع الصوتي للقرآن يبدون أنهم يُؤثرون التسجيل أولاً برواية حفص عن عاصم .
وكنت وما زلت أرى أن الجمع الصوتي للقرآن يقتضى تسجيل كل الروايات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة ، وأن تكرار تسجيل الرواية الواحدة يجب أن يُؤخر إلى ما بعد تسجيل الروايات كلها . وبالفعل كنت وضعت التخطيطات آنفا لتسجيل هذه الروايات ، ومضيت - بالفعل - في التسجيل ، ولكن العمل ما لبث أن توقف مع الأسف .

“ ”

على أن وزارة الأوقاف المصرية رغبت إلى في أواخر سنة ١٩٦٣^(١) أن أفاوض عدداً من كبار القراء ليسجل كل منهم المصحف برواية حفص ، واحتجت الوزارة بما كان نمي إليها من صدوف بعض هؤلاء القراء عن تسجيل ما عدا هذه الرواية ، واحتجت أيضاً بأن تسجيل باقي الروايات عمل « أكاديمي » مقصود به حفظها من الاندثار ، فهو يحتمل بعض التأخير .

ومع معارضتنا الدائمة لهذا الاتجاه ، وإيثارنا جمع الروايات كلها بأصوات الحاذقين ولو كانوا من غير المشاهير ، فقد وجدنا أن هذا الاتجاه الذي هو خلاف الأولى لا ينحو من نفع للمشروع ، فخططنا لتسجيلات حفص ، بما يكفل عدم خلط الطرق بعضها ببعض : فمثلاً ، كان التسجيل الأول قد التزم - عن تراض منا وتشاور بيننا وبين زملائنا في لجنة التسجيل - طريق أحمد بن محمد بن حميد أبي جعفر البغدادي الملقب بالفيل ، عن عمرو ابن الصباح ، على ما أوضحه أبو إسماعيل موسى بن الحسين بن إسماعيل بن موسى المعدل في كتاب « الروضة » ، فقرأ :

١ - بالقصر : في المدّ المنفصل ، وبالتوسط في : المدّ المتصل ، وبالقصير في : المدّ العارض للسكون .

(١) بسان وكيلها لشؤون الخدمات وقتئذ السيد الأستاذ يوسف عز الدين القرمانى

- ٢- وبالسين في : « وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ »^(١) ، وفي : « وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً »^(٢) وفي : « أَمْ هُمُ الْمُضَيَّرُونَ »^(٣) .
- ٣- وبالصاد في : « لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُضَيَّرٍ »^(٤) .
- ٤- وبالإبدال مع الإشباع في باب : « الذَّكْرَيْنِ »^(٥) .
- ٥- وبالإدغام في : « يَلْهَثَ ذَلِكَ »^(٦) ، وفي : « ارْكَبْ مَعَنَا »^(٧) ، وفي : « أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ »^(٨) .
- ٦- وبالإشباع في : « لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ »^(٩) .
- ٧- وبعدم السكت في : « عِوَجًا »^(١٠) ، وبابه - « مِنْ مَرْقَدِنَا »^(١١) « وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ »^(١٢) - « بَلْ رَانَ »^(١٣) .
- ٨- وبالقصر في عين « كَهَيْعَصَ »^(١٤) و « عَسَقَ »^(١٥) .
- ٩- وبالتضخيم في « فِرْقَوٍ »^(١٦) .
- ١٠- وبالفتح في « مِنْ ضَعْفٍ » و « ضَعْفًا » في الآية : « اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً »^(١٧) .

الترجم التسجيل الأول هذا ، فرأينا أن نختار طريقاً آخر فيما لو سُجِّلَتْ رواية حفص على ما في « الروضة » للمعدل أيضاً ، فيؤخذ من طريق زرعان بن أحمد بن عسى أبي الحسن الطحان الدقاق البغدادي ، فيقرأ المسجَّلُ :

١- بالطرق السابقة في المدِّ

٢- وبالصاد في : « وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ » ، وفي « وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً »^(١٨)

- | | |
|-----------------------------------|------------------------------------|
| (١) سورة البقرة / ٢٤٥ | (١١) سورة يس / من الآية ظه . |
| (٢) سورة الأعراف / ٦٩ | (١٢) سورة القيامة / من الآية ٢٧ . |
| (٣) سورة الطور / ٣٧ | (١٣) سورة المطففين / من الآية ٦٤ . |
| (٤) سورة الفاشية / ٢٢ | (١٤) سورة مريم / ١ . |
| (٥) سورة الأنعام / الآية ١٤٣ . | (١٥) سورة الشورى / ٢ . |
| (٦) سورة الأعراف / من الآية ١٧٦ . | (١٦) سورة الشعراء / من الآية ٦٣ . |
| (٧) سورة هود / من الآية ٤٢ . | (١٧) سورة الروم / ٥٤ . |
| (٨) سورة المرسلات / ٢٠ . | (١٨) سورة البقرة / ٢٤٥ . |
| (٩) سورة يوسف / من الآية ١١ . | (١٩) سورة الأعراف / ٦٩ . |
| (١٠) سورة الكهف / من الآية ١ . | |

- ٣- وبالسين في : « كُنْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ » (١) ، وفي « أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ » (٢) ،
 ٤- وبالضم في « ضَعْفٌ » و « ضَعْفًا » في الآيات : « اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ،
 ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً » (٣) .

• • •

وأخذنا - فيما لو سجّلت نفس رواية حفص تسجيلًا ثالثًا - طريق الهاشمي ، عن
 عبيد بن الصّباح ، على ما في الشاطبية ، فيلترم المسجل :

- ١- التوسّط في المدّتين : المنفصل والمتصل ، والقصر في المدّ العارض للسكون .
 ٢- الإبدال مع الإشباع في باب « آذَكَرَيْنِ » (٤) .
 ٣- الإشمام في « لَا تَأْمَنَّا » (٥) .
 ٤- الإشباع في عين « كَهَمَّصَّ » (٦) و « عَسَّوْ » (٧) .

• • •

وبعد ، فليست هذه الاختيارات - على كثرتها - هي كل ما يجب التخطيط لتسجيله ،
 وإنما هي - كما أسلفت - مجرد نبراس لمن سوف يُتمون - بإذن الله - تسجيل القرآن بكل
 رواياته العشرين .

ولعلّي - بتوفيق من الله - أن أجمع يوماً ، في استقصاء أوسع ، وفي كتاب قائم برأسه ،
 كلّ اختيارياتي في ذلك الشأن ، أصولاً ، وفرشاً ، وطُرُقاً ، وأَوْجُهًا .

١٧

وبرغم ما جَوّزه علماء القراءات من الجمع - أثناء القراءة - بين الروايات بقيود معينة (٨) ،
 رأيت - منذ بدء المشروع ، وعلى نحو ما ذكر شيخ الأزهر في بيانه الصّادر في رمضان سنة
 ١٣٧٨ (أبريل ١٩٥٩) ، والذي أوردنا نصّه قبلاً - وجوبَ الإفراد في قراءة المصاحف

(٥) سورة يوسف / ١١

(٦) سورة مريم / ١

(٧) سورة الثوري / ٢

(١) سورة الفاشية / ٢٢

(٢) سورة الطور / ٣٧

(٣) سورة الروم / ٥٤

(٤) سورة الأنعام / ١٤٣

(٨) انظر : الصفاقسي : غيث النفع ص ١١ و ١٢ .

وعبد الفتاح بن هبدي بن أبي المجد : الأدلة العقلية في حكم جمع القراءات النقلة ص ١٣ وما بعدها .

المرتلة ، بمعنى التزام رواية واحدة في تلاوة كل مصحف من أوله إلى آخره ، ونصت على هذا في كل ما ذكرته عن المشروع كتابةً أو شفاهاً .

وقصدت بهذا منع اختلاط الروايات بعضها ببعض ، ومنع التلفيق بينها ، وهو ما نعاه علماء القرآن على فاعليه وحذروا منه :

يقول ابن حجر العسقلاني : « القارئ متى خلط رواية بأخرى كان كاذباً على القارئ الذي شرع في إقراء روايته ، فمن قرأ رواية لم يحسن أن ينتقل عنها إلى رواية أخرى - كما قال الشيخ محيي الدين - وذلك من الأولوية لا على الحتم . أما المنع على الإطلاق فلا (١) » وقد سئل أبو يحيى زكريا بن محمد الأنصاري المتوفى سنة ٩٢٦ هـ ، عن :

« شخص زعم أن خلط القراءات بعضها ببعض خطأ لا يجوز ، فهل كما زعم أو لا ؟ » .
وقيل في السؤال : « وإذا قلمت بالأول ، فما معنى قول النووي في كتابه المسمى « التبيان » : إذا ابتدأ بقراءة أحد القراء ، فينبغي أن لا يزال على القراءة بها ما دام الكلام مرتبطاً ؟ هل معنى قوله : « فينبغي كذا » أنه يحرم أو لا ؟ » .

فأجاب زكريا الأنصاري :

« إن ما قاله الشخص المذكور من أن ذلك خطأ لا يجوز صحيح ، بشرط أن يكون ما قرأه بالقراءة الثانية مرتبطاً بالأولى .

وقول النووي : « ينبغي » معناه : يحرم ، بدليل قوله ، بعد ما ذكر في « التبيان » : « وإذا انقضى ارتباطه ، فله أن يقرأه بقراءة أخرى » ، فإنه يدل على أنه ما دام الكلام مرتبطاً ، ليس له ذلك ، فيحرم عليه .

وبدل له أيضاً قوله في : « شرح المهذب » : « وإذا قرأ بقراءة من السبع استحب أن يتم القراءة بها ، فلو قرأ بعض الآيات بها ، وبعضها بغيرها من السبع ، جاز ، بشرط أن لا يكون ما قرأه بالثانية مرتبطاً بالأولى .

ودليل التحريم أن القراءة بذلك تستلزم فوات ارتباط إحدى القراءتين بالأخرى ، والإتيان بهيئة لم يقرأ بها أحد . والله أعلم (٢) .

(١) فتح الباري ج ٩ ص ٣١

(٢) الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري ص ٤٢٣ و ٤٢٤ .

وإذا كان العلماء قد كرهوا أن يشمل المصحف المكتوب أكثر من قراءة ، ومنعوا من ذلك ، وعدّوه من « أعظم التخليط وأشدّ التغيير للمرسوم » (١) ، فأول - عندى - في المصحف المرتلة أن يمتنع جمع القراءات في مصحف واحد .

وقد كتب - فيما بعد (٢) - أحد الكتاب الدينين (٣) يشكو من تعمّد القراء الجمع بين الروايات في المجلس الواحد ، ويقول : « إنّ الغاية المتوخّاة من تلاوة آى الذكر الحكيم - وهى العظة البالغة وإدخال الطمأنينة على القلوب - قد تخفى تماماً ، وتحلّ محلّها غاية أو غايات أخرى لا تنسجم معها ولا تمت إليها بصلة ، إذا ما أُديت التلاوة على هذا النحو من تكرار الكلمة الواحدة أو الآية الواحدة بضع مرات ، كلّ واحدة بزيادة حرف أو نقصه ، وبنغم مختلف عن غيره ، وتطريب مغاير لما قبله » .

ودعا الكاتب إلى منع هذا ، وقال متحدثاً عن شيخ الأزهر (٤) : « وإني لأرجو أن يقرن اسمه بهذا الإصلاح ، وما أعتقد أن فضيلته يتقرب إلى الله بعمل أفضل من ذلك » .
ويظهر أن الجمع بين القراءات كان يثير المسؤولين وقتئذ ، إلى حدّ التفكير في حظره ومعاينة فاعله ، فقبل إنه صدر قرار حكومى بهذا (٥) .

ويُذكر في هذا المقام أن الجمع بين القراءات في التلاوة الواحدة لم يكن يظفر بالرضى من بعض علماء المسلمين منذ قديم ، فقد نعى الشعراني المتوفى سنة ١٩٧٣ هـ - ١٥٦٥ م على قراء زمانه أنهم يعمدون إلى هذا الجمع (٦) .

• • •

هذا ، وأستعين الله وحده ، وأبرأ إليه - سبحانه - من كل حَوْل وقوّة .

(١) أبو عمرو الداني : المحكم في نطق المصاحف ص ٢٠

(٢) انظر : جريدة الجمهورية ع ١٦ يونيو سنة ١٩٦٠

(٣) محمد خالد

(٤) وكان هو المرحوم الشيخ محمود شلتوت

(٥) نشرت الأهرام في ٢٩ أغسطس سنة ١٩٦٠ خيراً بعنوان : قراءة واحدة لتلاوة القرآن الكريم في الإقليم الجنوبي .

ونصّه :

« أصدر السيد أحمد عبد الله طعيمة وزير الأوقاف قراراً وزارياً يحظر تلاوة القرآن إلا بتلاوة واحدة . يفد هذا القرار على جميع المقرئين في إقليم الجنوبى ، ابتداء من اليوم ، ويحال كل قارئ مخالف إلى مجلس تأديب .

(٦) انظر : الشعراني : الدرر المنثورة في زيد العلوم المشهورة ص ٨ .

الفصل الثالث

المنع من القراءة بالروايات الشواذ

١

القراءات الشواذ - في مصطلح علماء القرآن - هي التي تُروى آحاداً ، وتخالف خطَّ المصحف العثماني الإمام ، ولا يمنع من وصفها بالشذوذ أن تكون صحيحة السند وموافقة للعربية^(١).

ومن أمثلة هذه القراءات :

(أ) القراءات المنسوبة إلى ابن عباس : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ » (في موسم الحج)^(٢).

(ب) والقراءة المنسوبة إلى أبي : « لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرْبُصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا » (فيهن)^(٣).

(ج) والقراءة المنسوبة إلى عائشة وحفصة : « حَفِظُوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ وَالصَّلَاةَ الوُسْطَى » (صلاة العصر)^(٤).

(د) والقراءة المنسوبة إلى ابن الزبير : « وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » (ويستعينون بالله على ما أصابهم)^(٥).

(هـ) والقراءة المنسوبة إلى سعد بن أبي وقاص : « وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ » « من أم »^(٦).

(١) انظر : محمد بخيت المطيعي : الكلمات الحسان ص ٢٠

(٢) قراءة المصحف العثماني الإمام بحذف « موسم الحج » - سورة البقرة / ١٩٨

(٣) قراءة المصحف العثماني الإمام بحذف « فيهن » - سورة البقرة / ٢٢٦

(٤) قراءة المصحف العثماني الإمام بحذف « صلاة العصر » - سورة البقرة / ٢٣٨

(٥) قراءة المصحف العثماني الإمام بحذف « ويستعينون بالله على ما أصابهم » - سورة آل عمران / ١٠٤

(٦) قراءة المصحف العثماني الإمام بحذف « من أم » - سورة النساء / من الآية ١٢

- (و) والقراءة المنسوبة إلى أبي : « فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا » (كالمسجونة) (١) .
 (ز) والقراءة المنسوبة إلى ابن مسعود : « فَأَقْطَعُوا » (أيأمانهما) (٢) .
 (ح) والقراءة المنسوبة إلى ابن عباس : « وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةً غَضَبًا ، وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ » (كافرًا) (٣) .
 (ط) والقراءة المنسوبة إلى الحسن : « وَإِنْ مَنُكُمُ إِلَّا وَارِدُهَا » (الورد الدخول) (٤) .
 (ي) والقراءة المنسوبة إلى جابر : « فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ لِحَنٍ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (٥) .
 (ك) والقراءة المنسوبة إلى عبد الله بن مسعود : « إِنْ كَانَتْ إِلَّا زَقِيَةً وَاحِدَةً » (٦) .
 (ل) والقراءة المنسوبة إلى ابن عباس : « (وَأَيُّضًا) أَنَّهُ الْفِرَاقُ » (٧) .
 (م) والقراءة المنسوبة إلى ابن مسعود وأبي الدرداء : « وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (والذكر والأنتى) (٨) » .

وتردُّ في بعض كتب التفسير ، والحديث ، والنحو ، والأدب ، والتاريخ إشارات إلى القراءات الشاذة . ولعلَّ من أشهر المفسرين الذين عُنُوا بإيراد هذه القراءات : الزمخشري في (كشف) ٤ ، وأبو حيان في تفسيره : « البحر المحيط » ، والشوكاني في تفسيره : « فتح القدير » ، ومن النحاة : سيبويه ، وابن جني ، وابن الأنباري (٩) .

٢

وقد اختلف في حكم القراءات الشواذ الخارجة عن رسم المصحف العثماني : هل تجوز القراءة بها ؟

- (١) قراءة المصحف العثماني « كالمُتَلَقَّة » - سورة النساء / ١٢٩
- (٢) نصُّها في المصحف العثماني الإمام : « فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا » - سورة المائدة / ٣٨
- (٣) قراءة المصحف العثماني الإمام : « وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضَبًا ، وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ » سورة الكهف / ٧٩ ، ٨٠
- (٤) قراءة المصحف العثماني الإمام : بحذف « الورد الدخول » - سورة مريم / من الآية ٧١
- (٥) قراءة المصحف العثماني الإمام بدون « لحن » - سورة النور / ٣٣
- (٦) في المصحف الإمام : « إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَبِيحَةً وَاحِدَةً » - سورة يس / ٥٣
- (٧) قراءة المصحف الإمام : « وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ » - سورة القيامة / ٢٨
- (٨) في المصحف الإمام : « وَمَا خَلَقَ الذَّكْرَ وَالْأُنثَى » - سورة الليل / ١ ، ٢ ، ٣
- (٩) نظر : آرثر جفرى : مقدمة لكتاب « القراءات الشاذة لابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ هـ ، والذي عُيِّن بشعره وتصحيحه ج . برجنتراسر ص ٤

١ - نقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشَّوَادِ ولا يُصَلَّى خَلْفَ من يصلي بها^(١) .

٢ - وعند ابن الصلاح شيخ الشافعية في الثَّام : « أن ما خلا القراءات العشر المتواترة والمستفيضة يقيناً وقطعاً - على ما تقرر وتمهد في الأصول - ممنوع - على العالم ، وغير العالم - القراءة به مَنَعَ تحريم لا منع كراهة ، في الصلاة وخارج الصلاة ، وواجبٌ على من قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يقوم بواجب ذلك . ويجب منع القارئ بالشَّوَادِ وتأثيمه بعد تعريفه ، وإن لم يمتنع عَزْرٌ^(٢) . »

٣ - وعلى هذا الرأي أصحاب الشافعي ، لأنهم يرون القراءات الشاذة ليست قرآناً ، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، والقراءة الشاذة ليست متواترة . وعندهم أن مَنْ قال غير هذا غَالِطٌ أو جاهِلٌ ، ويجب الإنكار على القارئ بالشَّوَادِ في الصلاة ، وغيرها^(٣) .

٤ - وفقهاء بغداد متفقون على اعتبار القراءة بالشَّوَادِ إثمًا يستتاب منه^(٤) .

٥ - وفي مدونة مالك : « أن مَنْ صَلَّى خَلْفَ من يقرأ بالشَّوَادِ فليخرج ، وليترك الإمام ، وأنه إن صَلَّى خلفه وَجَبَ عليه أن يعيد أبدأ^(٥) »

وعند ابن الحاجب شيخ المالكية أن القراءة بالشَّوَادِ لا تجوز في صلاة ولا غيرها ، فإذا كان القارئ جاهلاً بالتحريم عُرِفَ به وأمر بتركها ، وإذا كان عالماً أدب ، فإن أصرَّ حبس حتى يَزْتَدَعَ^(٦) .

وعنده أيضاً أن مَنْ يقرأ بالشَّوَادِ في الصلاة يعيد أبدأ^(٧) .

ويقول ابن شاس : « ومن قرأ بالقراءات الشاذة (يعني في الصلاة) لم نُجِزْه : ومن ائتمَّ به أعاد أبدأ^(٨) . »

(١) انظر : الزركشي : البرهان ج ١ ص ٣٣٢ ، ٣٣٣

والسيوطي : الإبتان ج ١ ص ١٠٩

ومحمد راغب : سفينة الراغب ودفينة الطالب ص ٦٦ و ٦٧

(٢) انظر : الزركشي : المرجع السابق

(٣) نفس المرجع

(٤) نفس المرجع

(٥) انظر مثلا : الصفاقسي : غيث النفع ص ٧

(٦) انظر : الزركشي : المرجع السابق

(٧) الصفاقسي : غيث النفع ص ٨

(٨) نفس المرجع ص ٧ ، ٨

٦ - وعن أحمد بن حنبل روايتان :

إحداهما : تجيز القراءة بهذه القراءات .

والثانية : لا تجيزه ، ويقول ابن تيمية في شأن هذه الرواية الثانية : « وهو قول العلماء لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وإن ثبتت فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة^(١) .

٧ - وذهب مكّي بن أبي طالب ، وابن الجزرى - وهما من كبار علماء القراءات - إلى قول هذه القراءات ، وصحة القراءة بها ، بشرط اشتهاؤها واستفاضتها ، أما إذا لم تبلغ حدّ الاشتهاار فيمنع من القراءة بها .

وابن الجزرى - في تحييده القراءة بالشواذّ بذلك الشرط - ينقل أن بعض أئمتة كان يقول : « وعلى قول من حرّم القراءة بالشاذّ يكون عالم من الصحابة وأتباعهم قد ارتكبوا محرّماً بقراءتهم الشواذّ ، فيسقط الاحتجاج بخبر من يرتكب المحرّم دائماً ، وهم نقلة الشريعة الإسلامية ، فيسقط ما نقلوه ، فيفسد - على قول هؤلاء - نظام الإسلام ، والعياذ بالله : ويلزم أيضاً أن الذين قرأوا بالشواذّ لم يصلوا قط ، لأن تلك القراءة محرّمة ، والموجب لا يتأق يفعل المحرم^(٢) » .

٨ - ورأى بعضهم أن القارئ بالشواذّ يكتبني فيه بأن لا يصلى وراءه^(٣) .

٩ - وروى ابن الجزرى أنه ورد في أحد القولين لأصحاب الشافعي وأبي حنيفة . وفي إحدى الروايتين عن مالك وأحمد جواز القراءة بها في الصلاة^(٤) .

وذكر النووي في « الروضة » - تبعاً للإمام الراقعي - : « وتستوى القراءة بالسبع ، وكذا القراءة الشاذة إن لم يكن فيها تغيير معنى ولا زيادة حرف ولا نقصانه »^(٥) .

ونقل صاحب « المهمات » عن بعض الفقهاء أنه يجوز القراءة بالشواذّ إلا في الفاتحة للمصلّي^(٦) .

(١) ابن تيمية : في قول النبي صل الله عليه وسلم : نزل القرآن على سبعة أحرف ، وما المراد بهذه الأحرف سبعة ؟

ص ٥٠ .

(٢) النشر ج ١ ص ١٥

(٣) الزركشى : البرهان ج ١ ص ٢٢٢

(٤) النشر ج ١ ص ١٤

(٥) انظر : محمد راعب : سفينة الراغب ودفينة المطالب ص ٦٦ ، ٦٧

(٦) نفس المرجع .

والذو نراه أولى ، وأرجى ، وأوفق ، وأوثق هو رأى ابن الصلاح آنفاً ، وما أطبق عليه جمهور العلماء سلفاً وخلفاً ، وهو أن القراءة الشاذة ليست بقرآن قطعاً ، فلا محل لتجويز الصلوة بها ، والخير هو في إغلاق كل أبوابها .

٣

هذه القراءات الشاذة التي انتهت جمهرة العلماء - في شأنها - إلى اعتبارها مجرد وسيلة من وسائل تفسير القرآن ، وتبيين معانيه ويستنبط منها صحة التأويل ، ولا تُذكر - كما يقول موفق الدين الكواشي - إلا « لتكون دليلاً على حسب المدلول عليه أو مرجحاً » . . . « هذه القراءات التي أدخل الكثير منها لمجرد الإيضاح والبيان ، وكان مُدخلوها محققين لما تلقوه عن النبي (ص) قرآناً ، فكانوا آمنين من الالتباس » . . .

هذه القراءات التي خالفت ما أجمعت عليه الأمة ^(٣) ، والتي نُقلت إلينا نقلاً لا يثبت بمثله القرآن ، والتي إن ثبت بالفعل فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة . . . هذه القراءات التي أحدثت - على عهد عثمان - ما أحدثت من اختلاف وبلبلة وفتنة ، ودعت المسلمين وقتلت فيها وراء الجزيرة مهد الإسلام إلى أن يكفر بعضهم بعضاً على نحو ما فصلناه قبلاً . . .

هذه القراءات دافعت عنها قلة من العلماء ، كما أسلفنا ، وتمسك بها بعض القراء تمسكاً لم يَهَيِّئْهُ مِنْهُمْ عَوْقِبُوا وَأَهْيِنُوا ، وتوسّع في القراءة بها ناسٌ بحسن نية أو بسوء نية .

• • •

ولا شكّ عندنا أنّ بقاء هذه القراءات مسموعةً مقرّوةً ، مع تجاوز ما سمح به جمهور الفقهاء من تدوين أوجهها لغةً وإعراباً ومعنى ، والاستعانة بها على التفسير ، قد يؤدي إلى فتح بابٍ ذى ضررٍ وبيلٍ تدخل منه المطاعن إلى التواتر القرآني ، وينفذ منه المتهمجون على الكتاب الذي تشهد الاستقرارات المنصفة أنه - كما أوضحنا قبلاً - ظفرٌ بحافظة لم يظفر بمثلها أيّ كتاب سماويّ أو غير سماويّ منذ كانت البشرية .

(١) انظر : الزركشي : البرهان ج ١ ص ٣٣١ و ٣٣٦ و ٣٣٨ .

والقاسمي : محاسن التأويل ج ١ ص ٣٨

(٢) السيوطي : الإقتان ج ١ ص ٧٧

(٣) أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط ج ٢ ص ٩٤

وقد فطن السلف إلى هذا ، فكان ما كان من جَمْع الناس على مصحف واحد . مع استبعاد كلِّ ما لا تثبت قرآنيته ، وفقاً لمناهج متحرّزة أسلفنا ذكرها .

ومن قبل هذا الجمع ، وفي صدر الإسلام ، دعا عمر بن الخطاب إلى إقفال باب يفضى إلى سبب من أسباب الشذوذ في القراءة ، فقد كان ابن مسعود يقرئ الناس بلغة هُدَيْل ، فكتب إليه عمر : إن القرآن نزل بلسان قريش ، فأقرئ الناس بلغة قريش لا بلغة هُدَيْل (١) .

• • •

والرأى أن علينا - نحن الخلف - أن نقوى ما فعل الأولين ، وأن نجعل - كما جمعوا - سدوداً بين القرآن وبين أسباب التشكك فيه . وقد تمثلنا واحداً من هذه السدود في جمع القرآن جمعاً صوتياً بكلِّ الروايات المقطوع بقرآنيتها وورودها عن النبي نفسه (ص) ، فيأكدُ لدى البشر أن ما عدا هذه التسجيلات الصوتية الجامعة ليس من القرآن المأمور بتلاوته والصلاة به

٤

ويؤيدُ وجوب العناية بهذا الأمر أنه يظهر ، بين حين وحين ، من يقرأ بالشواذ ، ويُقرئُ بها ، ويصّرُ عليها (٢) .

١ - في القرن الثاني الهجري ، كان لابن محيصة المتوفى بحكة سنة ١١٣ هـ اختيار في القراءة خرج به عن إجماع أهل بلده ، وقد رغب الناس عن قراءته ، وقيل إن فيها ما يُنكر ، وسندها غريب (٣) . وكان يُظن به الميل إلى المعتزلة (٤) .

ولكن الروايات تحكي - مع هذا - أن ابن محيصة كان أعلم بالعربية وأقوى عليها من زميله إمامي القراءة : عبد الله بن كثير ، وحמיד بن قيس (٥) ، وأن مسلم بن الحجاج صاحب (الجامع الصحيح) ، والترمذي ، والنسائي ، رَوَوْا عنه (٦) .

(١) أخرجه أبو داود ، وانظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٩ ص ٧ (ط . البيهقي) .
(٢) انظر أسماء كثير من أهل الشواذ في عديد من الأمصار في : ابن النديم : الفهرست ص ٣٠ - ٣٣ (ط . ليزج ١٨٧٢)

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ج ٣ ص ٢٣٣ (ط . دمشق ١٩٥٣)

(٤) ابن الجزري : غابة النهاية ج ٣ ص ١٦٧

(٥) نفس المرجع

(٦) انظر : الصفدي : الوافي بالوفيات ج ٣ ص ٧٢٣

ومثل هذه الأقوال قد تحلوا ببعض الناس إلى الأخذ بروايته في القرآن وعدم الإنكار عليه .

• • •

٢- وفي البصرة ، ظهر من القراء عيسى الثقفى النحوى البصرى المتوفى سنة ١٤٩ هـ ، وكان له اختيار في القراءة - على مذاهب العربية - يفارق قراءة الجماعة ، ويستكره الناس^(١) ، ولكنه كان صاحب كتابين في النحو هما : « الجامع » و « الإكمال » مما يحتمل معه أن يكون لرأيه - عند بعض الناس - وزن كبير .

• • •

٣- وفي القرن الرابع الهجرى ، كان المقرئ ابن شنبوذ ، أو ابن شنبوذ (بنون مشددة ، وباء مضمومة ودال ، كما ضبطها ابن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة^(٢)) ، قد « تحبّر لنفسه حروفاً من شواذ القراءات ، فصنّف أبو بكر الأنبارى وغيره كتباً في الردّ عليها »^(٣) وكان ابن شنبوذ يقرئ الناس ، ويقرأ في المحراب بهذه الحروف التى كان يتتبعها ، والتى تخالف المصحف ، والتى تُروى عن عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب وغيرهما ، مما كان يُقرأ به من قبل المصحف الذى جمعه عثمان^(٤) حتى عظم أمره وقبحش ، وأنكره الناس^(٥) . وكان مما خالف فيه ابن شنبوذ قراءات الجمهور ، واعترف به في التحقيق الذى أجرى معه^(٦) :

- (أ) « إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ (فامضوا) إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ » .
 (ب) « وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيهَةٍ (صالحة) عَصَبًا »^(٨)
 (ج) « كَ (الصَّوْفِ) الْمَنْفُوشِ »^(٩)

(١) ابن الجزرى : غاية النهاية ج ١ ص ٦١٣

(٢) ج ٣ ص ٢٤٨

(٣) انظر : ياقوت الحموى : معجم الأدياء ج ١٧ ص ١٦٧ (ط . فريد رفاعى) .

(٤) نفس المرجع ، وانظر : الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٨٠

(٥) انظر : ابن تيمية : فى قول النبى - صلى الله عليه وسلم - أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وما المراد بهذه السبعة

هامش ٤٨ ، ٤٩

(٦) الذهبى : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ج ١ ص ٢٢٣ و ٢٢٤ .

وياقوت : معجم الأدياء ج ١٧ ص ١٦٨ و ١٦٩ .

(٧) وهى فى المصحف العثمانى الإمام : « فَاسْتَعْرَا » (سورة الجمعة / ٩)

(٨) وفى المصحف العثمانى الإمام بحذف « صالحة » (سورة الكهف / ٧٩)

(٩) وهى فى المصحف العثمانى الإمام : « كَالْبُهْنِ الْمَنْفُوشِ » (سورة الفارعة / ٥)

- (د) « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ (قد) تَبَّ »^(١)
- (هـ) « فَأَلْيَوْمَ تُنْجِيكَ (بيدك) لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً »^(٢)
- (و) « وَتَجْعَلُونَ (شكركم) أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ »^(٣)
- (ز) « وَاللَّيْلُ إِذَا يَعْشَى ، وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى (والد ذكر والأنثى) »^(٤)
- (ح) « (فقد كذب الكافرون) فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا »^(٥)
- (ط) « إِلَّا تَعْمَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ (عريض) »^(٦)
- (ي) « فَلَمَّا خَرَّ (تيقنت الإنس أن الجن) لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا (حولاً) فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ »^(٧)

(ك) وقد قال القاضي أبو يوسف : كنت قد سمعت من مشايخنا بالرّى ، ثم ببغداد ، أن سبب الإنكار على ابن شنبوذ أنه قرأ أو قرئ عليه - في آخر سورة المائدة عند حكاية قول عيسى^(٨) - : « وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ (العفور الرحيم) ، بدلا من (العزير الحكيم) »^(٩) .

وقد قبض على ابن شنبوذ ، في أول شهر ربيع الآخر سنة ٣٢٣ هـ ، واعتقل أياماً ، فلما كان يوم الأحد ٧ من ذلك الشهر ، عقد الوزير أبو على محمد بن مقلة مجلساً لمساءلة ابن شنبوذ ، حضره القضاة والفقهاء والقراء^(١٠) ، وكان فيهم المفتى أبو بكر الأبهري^(١١) .

- (١) وهي في المصحف العثماني الإمام : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ » (سورة المد / ١)
- (٢) وقراءة المصحف العثماني الإمام : « يَبْدِيكَ » (سورة يونس / ٩٢)
- (٣) وهي في المصحف العثماني الإمام : « وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ » (سورة الواقعة / ٨٢)
- (٤) وهي في المصحف العثماني الإمام : « وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى » (سورة الليل / ٣)
- (٥) في المصحف العثماني الإمام : « فَقَدْ كَذَّبْتُمْ . . . » (سورة الفرقان / ٧٧)
- (٦) وهي في المصحف العثماني الإمام : « إِلَّا تَعْمَلُوهُ . . . وَفَسَادٌ كَبِيرٌ » (سورة الأنفال / ٧٣)
- (٧) وهي في المصحف العثماني الإمام : فلما خَرَّ تَيَقَّنَتِ الْإِنْسُ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ » (سورة سبأ / ١٤)

وانظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٤٩

(٨) الآية ١١٨

(٩) معجم ياقوت ج ١٧ ص ١٧٣

(١٠) انظر : الذهبي : معرفة القراء الكبار ج ١ ص ٢٢٤ و ٢٢٥ .

وابن خلكان : وفيات الأعيان (ط . محي الدين عبد الحميد) ج ٣ ص ٢٢٦ .

(١١) انظر : عياض : الشفا بالتعريف بحق المصطفى ج ٢ ص ٢٦٥ .

وعمر بن محمد بن يوسف القاضي ، وابن مجاهد^(١) ، ولكن ابن شنبوذ ظل على رأيه ، وأغلظ الخطاب لمناظره ، ونسبهم إلى قلة المعرفة ، وعيَّهم بأنهم ما سافروا في طلب العلم كما سافر^(٢) . واستصحب أحدهم ، وهو القاضي عمر بن محمد بن يوسف .
ولم يدعن ابن شنبوذ بالرجوع والتوبة إلا بعد أن جرد من ثيابه ، وضرب بالدرة على قفاه ضرباً شديداً .

وفي نسخة المحضر « المعمول على ابن شنبوذ بخط ابن ميمون »^(٣) .

« يقول محمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ :

« . . . وقد كنت أقرأ حروفاً تخالف ما في مصحف عثمان بن عفان - رضى الله عنه -

المجمع عليه ، والذي اتفق أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم ، ورضى عنهم - على تلاوته ، ثم بان لى أن ذلك خطأ ، فأنا منه تائب ، وعنه مُقلع ، وإلى الله - عز وجل - برىء ، إذ كان مصحف عثمان هو الحق الذي لا يجوز خلافه ، ولا أن يُقرأ بغير ما فيه^(٤) »

أما نسخة خط ابن شنبوذ في هذا المحضر فهي :

« يقول محمد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ :

ما في هذه الرقعة صحيح ، وهو قول واعتمادى ، وأشهد الله - عز وجل - وسائر من

حضر على نفسى بذلك^(٥) .

وكتب بخطه :

« فمتى خالفتُ ذلك أو بان عنى غيره ، فأمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - في حِلِّ وَسَعَةِ

من دمي ، وذلك في يوم الأحد لتسع خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ،

في مجلس الوزير أبي علي محمد بن علي - أدام الله توفيقه - وحسبي الله وحده ، وصلاته على

سيدنا محمد وآله^(٦) .

= وعلى القارى : شرح الشفا ج ٢ ص ٥٥٤

والأنهرى نسبة إلى بلد بين قزوين وزنجان ، وبلدة بنواحي أصفهان ، وجبل بالحجاز .

(١) الذهبي : المرجع السابق

(٢) المراجع السابقة

(٣) مجمع ياقوت ج ١٧ ص ١٧١

(٤) نفس المرجع

(٥) نفس المرجع ص ١٧٢

(٦) انظر : نفس المرجع

وابن خلكان : وفیات الأعيان - ٣ ص ٤٠٧ (ط . محي الدين عبد الحميد) .

وجاء في كتاب الأوراق ، أو أخبار الراضى بالله والمتى بالله ، لأبي بكر الصولى ص ٦٣ (ط هيارات) : أن تاريخ

هذه الكتابة هو سبع خلون من شهر ربيع الآخر .

وكتب ابن مجاهد (١) وغيره من علماء القرآن الذين حضروا المحاكمة أن ابن شنوبذ اعترف بما في المحضر ، وشهدوا بذلك .

وتذكر الرواية أن الوزير ابن مقله أطلق ابن شنوبذ ، وأنفذه إلى داره ، مع أعوانه بالليل ، خشية أن يقتله العامة ، ثم وجَّهه إلى المدائن سراً ، مدة شهرين ، ثم أعيد إلى بغداد ، فدخل بيته ، وهو مستخفٍ من العامة (٢)

• • •

والقصة - إلى هنا - قد لا تحمل مساساً بالجمع العثماني ، ولكن ثمة خبراً يُوشك أن يلبس الحق بالباطل ، ويجعل ابن شنوبذ مظلوماً يدعو على الوزير ابن مقله الذي رأس المحاكمة ، والذي ضربه حين الاستتابة . . يدعو عليه بقطع اليد ، فلا تُردَّ الدعوة ، وتُقطع يد الوزير من قريب .

يقول ابن تيمية : « وقرأت في تاريخ هرون بن المأمون ، قال : وفي أيام الراضي ، ضُربَ ابنُ مُقله ابنُ شنوبذ سبعَ دَرر ، لأجل قراءات أنكرت عليه ، ودعا عليه بقطع اليد وشتَّ الشمل ، فُقطعت يده ولسانه » (٣) .

ثم يقول : « وعُزل ابن مقله ، ونُكب في سنة ٢٤ ، بعد نكبه (يقصد ابن شنوبذ) ستة واحدة ، فجرى عليه من الإهانة بالضرب والتعليق والمصادرة أمر عظيم ، ثم آل أمره إلى قطع يده ولسانه ، نسأل الله العافية » (٤) .

(١) من كبار علماء القراءات ، وهو أول من اقتصر على أئمة القراءات السبع ، وقد تابعه الناس ، وكان بينه وبين ابن شنوبذ خصومة .

(٢) انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان - ٣ ص ٤٢٧ (ط . محيى الدين عبد الحميد)

(٣) في قول النبي صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف هامش ٤٧ ، ٤٩

(٤) نفس المرجع

وقد أورد أبو الفدا صاحب حماة ما خلاصته أن ابن مقله سعى في القبض على ابن رائق وإقامة آخر موضعه اسمه بحكيم ، وكان بين الخليفة الراضي وابن رائق صلة ، فحبس من أجله ابن مقله ، ثم - بعد حين - قطع يده . ويعولج ابن مقله ، فبرئ ، وعاد يسمى في الوزارة ، وكان يشد القلم على يده المقطوعة ، ويكتب ، ثم - بعد حين - أمر بقطع لسانه فقطع ، ثم سُجن ، ولحقه مرض مرهق ، ولم يكن ثمة من يخدمه ، فقامى شدّة إلى أن مات سجيناً ، في شوال سنة ٣٢٨ (ملخصاً من كتاب : المختصر في أخبار البشر - ٢ ص ٨٥) .

وذكر المؤرخون أنه - في أخريات أيامه - كان يستقي الماء لنفسه من البئر ، فيجذب يده اليسرى جذباً ، وبفمه أخرى (ابن خلكان : وفيات الأعيان - ٤ ص ١٩٨ - ٢٠٣) .

وابن مقله صاحب شأن كبير في الخطوط العربية ، وينقل الثعالبي عن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرّة أنه سمع ابن مقله ينوح على نفسه ، ويبيكى على يده لما قطعت ويقول ، يدُ خدمتُ بها الخلافة ثلاث دفعات ، وكتبت بها القرآن دفعتين تقطع كما تقطع أيدي اللصوص (ثمار القلوب في المصاف والمنسوب ص ٢١١) .

ويقول ابن الجزرى : « وقد استجيب دعاؤه (يعنى ابن شنبوذ) على الوزير فقُطعت يده ،
 وخرّبت داره ، وذاق الدلّ ، ولبث في الحبس مدّةً على شرّ حال » (١) .
 وتقول الرواية أيضاً إن ابن مجاهد الذى دعا إلى هذه المحاكمة ، وشهدها ، كان خصماً
 لابن شنبوذ ، حتى كان هذا الأخير لا يقرئ من يقرأ على ابن مجاهد ، وكان يقول : هذا
 العطشى - يعنى : ابن مجاهد - لم تغبّر قدماءه في هذا العلم (٢) ، وكان - فيما ذكر الرواة -
 يناوىء ابن مجاهد ، ولا يعشره (أى يراه لا يساوى منه واحداً من عشرة) (٣) .

ولا يبعد أن تعطى هذه الرواية لابن شنبوذ صورة صاحب الرأى السلم الذى يقع عليه
 الانتقام والتحدى من حاسديه ، كما لا يبعد أن تُصوّر المحاكمة نفسها كأنما كانت ظالمة
 وبغير حق .

ومع أنّ بعض معاصرى ابن شنبوذ قالوا إنه كان « فيه سلامة وحمق » ، وقالوا إنه
 « كان كثير اللحن قليل العلم » (٤) . فقد تضمنت أوصاف الواصفين له أنه كان « ديناً » ،
 وكان من « المتسكين » ، و « يرجع إلى ورع » ، وأنه « كان أستاذاً كبيراً ، مع الثقة ،
 والخير ، والصلاح ، والعلم » (٥) . وقد عدّ له ابن الجزرى ثمانى طرق في رواية قالون عن

= ويقول الثعالبي إنّ خطّ ابن مقلة يضرب به المثل في الحسن ، « لأنه أحسن خطوط الدنيا ، وما رأى الراؤون ، بل ما روى
 الراؤون مثله في ارتفاعه عن الوصف وجزبه مجرى السحر . . . إلى أن يقول : « ومن نكد الدنيا أن مثل تلك اليد النقيصة
 تقطع ! » (المرجع السابق ص ٢١١) .

(١) غاية النهاية ج ٢ ص ٥٢ - ٥٦

(٢) انظر : نفس المرجع ج ١ ص ١٣٩ و ج ٢ ص ٥٢ - ٥٦

والصولى : أخبار الراضى والمتقى بالله ص ٦٢ و ٦٣

والعطشى نسبة إلى سوق العطش من بغداد ، حيث وُلد ابن مجاهد (انظر : الذهبي : معرفة القراء الكبار ج ١ ص ٢١٦)

(٣) معجم باقوت ج ١٧ ص ١٦٩

(٤) انظر : ابن التديم : الفهرست ص ٣١ (ط . خياط بيروت)

(٥) قال ابن التديم : قال لى الشيخ أبو محمد يوسف بن الحسن السيرافى أيده الله ، عن أبيه : إنه - يريد ابن
 شنبوذ - كان كثير اللحن قليل العلم . (نفس المرجع) .

(٦) نفس المرجع ص ١٦٧

(٧) نفس المرجع ص ١٧١

(٨) انظر : ابن الجزرى : غاية النهاية ج ٢ ص ٥٢ - ٥٦

ونحن لا نقرّ بهذه الصفات لمن خرج على إجماع المسلمين ، وخالف مصحفهم الإمام .

نافع^(١) ، وأربع عشرة طريقاً في رواية قُتُبِلَ عن ابن كثير^(٢) .
وكذلك ذكروا أن له كتاباً مصنفاً في القراءات^(٣) ، منها :

كتاب : « ما خالف فيه ابن كثير أبا عمرو » .

وكتاب : « قراءة علىّ عليه السلام » .

وكتاب : « اختلاف القراء » .

وكتاب : « شواذ القراءات » .

وكتاب : « الانفرادات » .

وذكر ابن الجزرى أنه لم يعد أحدٌ محاكمةً ابن شنبوذ « قادحاً في روايته ولا وصمة في

عدالته »^(٤) .

ولا يخفى أن هذا كله أيضاً قد يُكسب مسلك ابن شنبوذ تأييداً ممن يأخذون الأمور أخذاً
سطحياً ، وقد يعطى لقراءته وقراءة غيره بما يخالف مصحف عثمان شيئاً من الإقرار .

وعندى أن لا علاقة بين عزل ابن مقله وما جرى عليه من النكبات وبين دعوات ابن شنبوذ
الخارج على الإجماع ، والذي كان يمكن أن يُحدث فتنة في كتاب الإسلام ؛ وقد حضر
محاكمة ابن شنبوذ قراء وفقهاء شهدوا ضربه ، وربما كانوا هم الذين أوحوا به ؛ ومع ذلك لم
يُكسبهم سوء .

ولعل ابن مقله - في تصرفه الحازم - أن يكون قد عمل في حفظ القرآن ما كانت توجه
عليه ولايته الأمر . وابن مقله كان رجل سياسة ، والسياسة - وخاصة في ذلك العهد - تتداول
أهلها - غالباً - بالرفع والخفض ، وتجدد بهم حيناً وتهزل حيناً ، وتريشهم تارة ، وتهيضهم تارة
أخرى . وآية ذلك أن ابن مقله نفسه كان قد تقلد الوزارة للخليفة « المقتدر » ، في سنة ٣١٦ هـ^(٥) ،
أى قبل محاكمة ابن شنبوذ بسبع سنين ، وفُوضت إليه أمور الخليفة ، فما لبث ابن مقله أن عُزل
وحُبس في داره بعد شهرين اثنين^(٦) ، ثم أصابته مصيبة مالية كبيرة في سنة ٣١٨ هـ ، حيث

(١) النشر ج ١ ص ١٠٣ (٢) معجم ياقوت ج ١٧ ص ١٦٩

(٢) نفس المرجع ص ١٠٢ (٤) النشر ج ١ ص ١٢٣

(٥) كان ذلك في يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول (عرب بن سعد القرطبي : صلة تاريخ الطبرى

ج ١٢ ص ٦٩)

(٦) وذلك في يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى (المرجع السابق) وتنص رواية ابن خلكان على أن

القبض على ابن شنبوذ كان سنة ٣١٨ هـ (وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٢٨)

حرقته داره التي كان بناها بالزاهر ، على شاطئ دجلة ، وكان أنفق فيها مائتي ألف دينار ، واحترقت معها دور قديمة كان يسكنها قبل الوزارة ، وانتهب الناس ما بقي من الخشب والحديد والرصاص (١) .

وقد سجّل ابن مقلة نفسه تجربة من هذا القبيل ، في شعرٍ سيّار أوماً فيه إلى تقلّب الزمان بمن كان يتّصل بالسلطان ، فقد غضب عليه الخليفة مرّة ، وكان من النتائج أن أعرض عن ابن مقلة مَنْ كانوا قبلاً ينشدون وصله ، ولم تطل هذه المحنة ، فقد عاد الخليفة - من قريب - فأداناه ، فهناك قال ابن مقلة :

تحالف الناس والزمان فحيث كان الزمان كانوا
عاداني الدهر نصف يوم فانكشف الناس لي وبانوا
بأيها المعرضون عتي عودوا فقد عاد لي الزمان

وربما ظاهر ما أدعيه من أنّ نكبات ابن مقلة ليست استجابة لدعوات ابن شنبوذ ، وإنما هي غالباً قدر السياسيين في ذلك العهد ، ولا سيّما أمثال ابن مقلة الطامع الجريء الحرّيص على الوزارة ، والذي يبادل منافسيه العداوة والبغضاء والتآمر : أن استقرأ النصوص والأخبار في زمن العباسيين يكشف بوضوح أنّ « الوزارة كانت سبيلاً يوصل إلى السجن ، في غالب الأحيان ، وتندر من مجامع الوزراء ولم يسجن ، وربما قتل ولم يُحبس ، وربما أصابه الأمان معاً » (٢) . على أنّ ابن شنبوذ عاد فنقض توبته ، ولم يوفّ بعهده ، فقد صادفنا في كتاب « الأوراق » للصولي (٣) ، في أخبار رمضان سنة ٣٢٤ هـ ، أي بعد ستة عشر شهراً من التوبة الأولى ، وكان ابن مقلة قد أُقيل من الحكم ، أن « الحنبلية » ضجّوا من أمر ابن شنبوذ ، فحمل إلى دار السلطان ، وتُوَظِر ، والسلطان من وراء حجاب . . . وعاد ابن شنبوذ إلى التوبة ، ولكن الحكومة عادت إلى معاقبته بالحبس .

• • •

٤ - ومن قرأوا بالشواذ : ابن مقسم العطار المتوفى سنة ٣٥٤ هـ أو ٣٦٢ هـ ، فقد كان يقرأ بحروف تخالف الإجماع ، واستخرج لها وجوهاً من اللغة والمعنى ، مثل ما ذكر في كتاب

(١) عريب بن سعد القرطبي : المرجع السابق ص ٧٩ .

(٢) انظر : صلاح الدين النجّاد : سجون بغداد زمن العباسيين (بحث في مجلة الرسالة ع ٦٤٠ ، ٨ أكتوبر ١٩٤٥

ص ١٠٨٩ وما بعدها)

(٣) ص ٨٥

(الاحتجاج للقراء) في قوله تعالى : « فَلَمَّا اسْتَيْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا (أَجْبَاء) » (١) مع كونه يخالف الإجماع ، ويبعد عن المعنى ، إذ لا وجه للنجاة عند بأسهم من أخيهم ، إنما اجتمعوا يتناجون (٢) .

ويقول مصطفي صادق الرافعي في هذا القارئ : « . . . وكان من أعرف الناس بالقراءات ، وإنما أفسد عليه أمره أنه من أئمة نحاة الكوفيين ، فخالف الإجماع ، وصنع في ذلك صنْعاً كوفياً . . . فاستخرج لقراءته وجوهاً من اللغة والمعنى ، ومن ذلك : قراءته في قوله تعالى : « فَلَمَّا اسْتَيْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا » ، فإن هذا الأحمق قرأها « نَجْباً » فأزالها - بذلك - عن أحسن وجوه البيان العربي ، ولم يبال ما صنع إذا هو قد انفرد بها على عادة الكوفيين في الرواية . . . » (٣)

ولا بن مقسم العطار كثير من هذا الجنس ، من تصحيف الكلمة ، واستخراج وجه بعيد لها ، مع كونها لم يقرأ بها أحد (٤) . وكان يقرأ بالقراءات الشاذة في الصلاة وغيرها ، وكان يتخير القراءات من جهة البحث والاستخراج والآراء دون الاعتصام والتمسك بالأثر (٥) . وكان يرى أن كل من صح عنده وجه في العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها . فابتدع - كما يقول أبو طاهر بن أبي هاشم - « بدعة أضلّ بها عن قصد السبيل » (٦) .

وقد شاع ذلك عن ابن مقسم ، عند أهل العلم ، فأنكروه ، وارتفع الأمر إلى السلطان ، فأحضره ، وعقد له مجلساً ، وسئل البرهان على صحة ما ذهب إليه ، « فلم يأت ببطئ ، ولم تكن له حجة قوية ولا ضعيفة » (٧) ، وأوقف للضرب ، فأذعن بالتوبة في حضرة القراء والفقهاء ، وكتب بتوبته محضراً شهد عليه الحاضرون (٨) .

وقد قيل إن ابن مقسم لم ينزع عن تلك القراءات الشاذة التي استتبع من أجلها ، وأنه كان يقرأ بها إلى حين وفاته (٩) .

• • •

(١) والمجمع عليه « نَجِيًّا » (سورة يوسف / ٨٠)

(٢) أنظر : معجم ياقوت ج ٨ ص ١٥٠

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٤٧ (ط ١٩٢٦) .

(٤) معجم الأدباء ياقوت ج ٨ ص ١٥٠

(٥) معجم الأدباء ياقوت ج ٨ ص ١٥٤

(٦) نفس المرجع ص ١٥١

(٧) نفس المرجع ص ١٧

(٨) نفس المرجع ص ١٧

(٩) نفس المرجع ص ١٧

ولعله مما يشير إلى استهوال الناس بدعة ابن مقسم الضالة وخروجه على إجماع القراء والرواة ، وحكم الناس عليه بأنه ترك الحق . ووكى وجهه شطر الباطل ما روى من أن بعض الصالحين رأى في المنام ، وكأنه في المسجد يصلّى مع الناس إلى القبلة ، وكان ابن مقسم يصلّى مستديراً أيّاهاً^(١) .

وتصرّف ابن مقسم منكر ظاهر وخطأ كبير ، ولكنه كان معروفاً بأنه من أحفظ أهل زمانه لنحو الكوفيين ، وأعرفهم بالقراءات : مشهورها وغريبها وشاذّها ، وقد عدّله ابن الجزرى سبعة وثلاثين طريقاً في رواية خلّاد عن حمزة^(٢) . وكان لابن مقسم كتّيبٌ ذكر منها ابن النديم عدداً غير قليل^(٣) ، وذكر منها ياقوت ثلاثة عشر كتاباً أغلبها في علوم القرآن ، ومنها كتاب في التفسير ، وآخر في الردّ على المعتزلة^(٤) ، ووصفه الدّاني بأنه « مشهور بالضبط والإتقان ، عالم بالعربية ، حافظ للغة ، حسن التصنيف في علوم القرآن »^(٥) . وواضح أن قارئاً له مثل هذه المتزلة ، ولا يدع رأيه إلا ليعود إليه . . . قد يظفر عمله الخاطيُ بعطف غير المتعمقين ، ومن لا يملكون اليقظة والفهم .

° ° °

٥ - ومن أكثروا من الروايات في القراءات إكثاراً جعلهم موضع الاتهام : ابن هرمز الأهوازي الذي قدّم إلى دمشق سنة ٣٩١ هـ ، وقد كشف معاصروه أنه نسب - بالباطل - بعض رواياته إلى مشايخ لم يقرأ عليهم ، أو قرأ عليهم القليل ، وقد نعتوه صراحة بالكذب ، ولكن المترجمين له يذكرون أنه صنّف الكثير في القراءات ، وكان حسن التصنيف^(٦) . وهذا الشاء قد يكسب الفعّلات المنكرة المنسوبة إلى الأهوازي لونهاً كلون الأعمال المشروعة .

° ° °

٦ - والزرّكشيّ - شأنه شأن بعض علماء القرآن الذين أوّلوا القراءات الشاذّة التقدير - يرى هذه القراءات « أكثر من التفسير وأقوى »^(٧) ، ويرى أنها « من العلم الذي لا يعرف

(١) انظر : ابن الجزرى : غاية النهاية ج ٢ ص ١٢٥

(٢) النشر ج ١ ص ١٦٠

(٣) الفهرست ص ٢٣ (بتحقيق J. Flugel - ط . بيروت ١٩١٤)

(٤) انظر : معجم ياقوت ج ٨ ص ١٥٤

(٥) انظر : ابن الجزرى النشر ج ١ ص ١٦٧

(٦) معجم الأدباء لياقوت ج ٩ ص ٣٤ - ٣٩

(٧) البرهان ج ١ ص ٢٣٦ - ٢٣٨

العامة فضله ، إنما يعرف ذلك العلماء ، ولذلك يُعْتَبَرُ بها وجهُ القرآن « (١) .
ومع أنه لم يدعُ صراحةً إلى التلاوة بهذه القراءات ، فرجماً استُفيد من قوله - على نحو ما -
أنَّ الشذوذ يجحد من يجنده ، ويجحد القراءة به ، أو على الأقل من لا يجحد داعياً لا طراحه .

• • •

٧ - وقد حفلت بعض كتب الشواذ بقول ضعيفة الإسناد أورد لها ابن الجزرى هذه
الأمثلة :

- (أ) قراءة ابن السميع ، وأبي السمال ، وغيرها ، فى : « تُنَجِّكَ يَدْنِكَ » (٢)
ننجيك ، (بالحاء المهملة) ، و (لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً » (٣) بفتح سكون اللام .
(ب) القراءة المنسوبة بالباطل إلى أبي حنيفة ، ومنها : « إِنَّمَا يَحْتَشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ
الْعُلَمَاءُ » (٤) برفع الهاء فى لفظ الجلالة وفتح همزة فى (الْعُلَمَاءُ) ، وقد أشرنا فى موضع آخر
من هذا البحث إلى هذه القراءة .
(ج) قراءة (معاش) (٥) بالهمز ، وهى رواية خارجة منسوبة إلى نافع .
(د) فتح ياء « أُدْرِى أَقْرِبُ » (٦) مع إثبات همزة ، (وهى رواية زيد وأبي حاتم
عن يعقوب) .

- (هـ) تشديد الظاء فى « سِحْرَانِ تَظَاهَرَا » (٧)
(و) قراءة (أسمايهم) و (أوليك) بياء خالصة ، كما ذكره بعض المتأخرين من
شراح الشاطبية فى وقف حمزة ، وقراءة (شركاؤهم) و (أحباؤه) بواو خالصة (٨) .

• • •

على أن ابن الجزرى نفسه يقول - فى معرض التفرقة بين السبعة الأحرف التى أنزل عليها
القرآن وبين السبع القراءات التى اختارها المتأخرون اختصاراً واختياراً : « إن من قرأ
بـ « الكامل » للهذلى ، أو « سوق العروس » للطبرى ، أو « إقناع الأهوازى » ، أو « كفاية
أبي العز » ، أو « مبهج سبط الخياط » أو « روضة المالكى » ، ونحو ذلك ، على ما فيه

(٣) من نفس الآية

(٤) سورة فاطر / ٢٨

(٥) سورة الأعراف / من الآية ١٠ ، سورة الحجر / من الآية ٢٠

(٦) سورة الأنبياء / من الآية ١٠٩

(٧) سورة القصص / من الآية ٤٨

(٨) النشر ج ١ ص ١٦ ، ١٧

(١) نفس المرجع

(٢) سورة يونس / من الآية ٩٢

من ضعيف وشاذ عن السبعة والعشرة وغيرهم ، فلا نعلم أحداً أنكر ذلك ، ولا نزعم أنه مخالف لشيء من الأحرف السبعة ، بل ما زال علماء الأمة وقضاة المسلمين يكتبون خطوطهم ويشتون شهادتهم في إجازاتنا بمثل هذه الكتب والقراءات (١) .

ونحن - في أمر القرآن - أُغْبِرَ وَأُخْوِفَ من أن نَدَعَّ قراءاته ، وهي من السماء ، عُرْضَةٌ للضعيف والشاذَّ اللذين أشار إليهما ابنُ الجزريِّ ، والمخالفيين لما اختار المسلمون وأجمعوا على قرآنيته من قراءات . ولهذا ننكر - بضمير علمي - على (علماء) ابن الجزريِّ ، و (قضاة) مسلكتهم المترخِّصَ وغير الشرعيِّ ، ولا نقيم - لما كتبوا من (خطوط) ، وما أثبتوا من (شهادات) في (إجازات) ابن الجزريِّ - وزناً ، ونرى الاحتياطَ أوَّلِيَّ بل أوجب . وسبيلنا إلى هذا الاحتياط : هو الاقتصار في الجمع الصَوِّقِ على المتواتر والمشهور وغير الضعيف أو الشاذِّ .

• • •

٨ - وما برحت القراءة بالشواذِّ محلَّ ولع بعض القراء والمقرئين ، وإن كانوا قلةً نادرةً جداً ، وقد لا تكون لهؤلاء بواعث غير التعالم مع الجهل ، وحبِّ الظهور ، وعدم تقدير التبعات ، أو الافتتان بأقوال الآحاد الذين أجازوا القراءة بالشواذِّ بقيد أو بغير قيد .

٩ - والخوف من تسلُّل الشاذِّ إلى القرآن شيء له ما يبرره :

فقد كذَّب الزنادقة على بعض الصحابة ، ونسبوا إليهم قراءات شاذة كثيرة ، كما سنرى في فصل آخر ، ولئن كنا نقول إن هذا كذب على الصحابة إن قولنا لا ينفي وقوع الروايات الكاذبة نفسها .

وابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ يشير إلى أن رجال الجدل المسيحيين رأوا - في اختلاف القراءة المنسوبة إلى ابن مسعود عن القراءات المجمع عليها - ثغرة حاولوا أن ينفذوا منها إلى الطعن في صحة هذه القراءات (٢) .

(١) النشر ج ١ ص ٣٥ ، ٣٦

(٢) اتهم شيخان صحيحا الإسلام وحسنا النية من مدرسي معهد القراءات التابع للأزهر ، في سنة ١٩٥٨ ، بالقول بجواز القراءة بالروايات الشاذة ، فاستتبها ، وعوقبا بالنقل خارج القاهرة سنة دراسية كاملة ، ولم تقبل فيهما مشيخة الأزهر شفاعة .

(٣) الفصل ١ الملل والنحل ج ٢ ص ٧٥

ولئن كان ابن حزم ردّ هذا الطعن ، إنَّ فتح الثغرات - بغير حق - شرٌّ ليس مما يستهان به .

وقد تهادى أناس فرأوا قراءة القرآن بالمعنى ، بدعوى أن ابن مسعود كان يميز هذا ، وهو كذب على ابن مسعود ، فهو إنما قال : « نَظَرْتُ القراءات فوجدتهم متقاربين ، فقرأوا كما علمتم » (١) . وقد كانت هذه الدعوة الخطيرة لتُدخِل في القرآن ما ليس منه ، ولتُبَدِّلَه تبديلاً لولا إخفاؤها منذ كانت .

فلعلَّ دَرَّةَ هذا التسلُّل المخوف أن يقتضينا الحرص على ما ثبتت قرآنيته بإجماع ، بأن نسجِّله صوتياً كما سجَّله الأسلاف كتابةً .

٥

وبعد ، فربما كان من أهول النتائج التي أفضت إليها القراءات الشاذة ، والتي نضيفها إلى ما ذكره ابن حزم آنفاً : أن بعض من لا طاقة لهم بالتفكير السليم ، ومن يتقبلون الروايات من غير فحص ولا تمحيص ومن تفتنهم دراسات المستشرقين ولو كانت ساقطة علمياً يرون مثل ما رأى كارل قولرس K. Vollers (٢) أن نصَّ القرآن قد اعتراه تغيير (٣) .
وإذن فلا بدّ - في رأينا - للمسلمين من إجراء إيجابي حاسم يمنع من أن يتوهّم أحد بأى شكل وعلى أية صورة أن هناك ما يخالف النص الذي استقرَّ عليه المسلمون .

والحق - في رأينا - أنه لو لم يكن للجمع الصوتي للروايات المتواترة والمشهورة غير التحديد الواضح للروايات والطرق التي تجوز القراءة بها ، والتي يجب - في أحزم حزم - منع القراءة بما عداها مما يسمى شاذاً ، لكان هذا حسبنا في الشعور الحادّ بالحاجة الشديدة إلى الجمع الصوتي الدقيق ، ولكان هذا حسبنا أيضاً في اعتبار الدعوة إلى هذا الجمع وإلى التخطيط له رسالةً تستأهل الجهاد ، ويهون فيها العناء .

(١) انظر : ابن الجزرى : النشر ج ١ ص ٣٢ .

(٢) مستشرق نمسوى ، وُلِدَ سنة ١٨٥٧ م وتوفى سنة ١٩٠٩ م ، وعيّن مديراً لدار الكتب الخديوية سنة ١٨٨٦ م (انظر : نجيب العفيفي : المستشرقون - ٢ ص ٦٣٣)

(٣) انظر : جواد على : لهجة القرآن الكريم - بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٢ من الجزء ٢

البَابُ الثَّانِي

التعليم

- وضع النماذج الصوتية للترتيل الشرعي الذي تستطيعه الكافة
- تيسير القرآن للحفظ والتعلم
- علاج مشكلة اختلاف الرسم القرآني عن الرسم الإملائي

الفصل الأول

وضع النماذج الصوتية للترنيل الشرعي الذي تستطيعه الكافة

١

قلنا إنه وقع في قراءة القرآن - حتى من بعض المسلمين من جزاء الجهل أو التساهل - ابتداء ما ليس في قوانين الأداء القرآني .

ولعل من أشهر المبتدعات الصوتية في قراءة القرآن طريقة الغناء ابتغاء جذب الناس إلى السماع ، ولو أدت هذه الطريقة إلى إخراج التلاوة عن أوضاعها التي نزلت بها . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حذر من ذلك ، فقال : « اقرأوا القرآن بلحون العرب ، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر ، فإنه سيحيى أقوام من بعدى يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والتَّوْح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم » (١) . وفي اللغة (٢) :

لَحَنَ في كلامه : إذا مال به عن الإعراب إلى الخطأ ، أو صرفه عن موضوعه إلى الإلغاز . . .

وعرفت ذلك في لحن كلامه : في فحواه ، وفيما صرفه إليه من غير إفصاح به . وليس هذا من لحن ولا من لحن قومي : أي من نحوي ومذهبي الذي أميل إليه وأتكلم

(١) انظر : مالك بن أنس : الموطأ - كتاب ١٥ حديث ١٠ .

والسخاوي : جمال القراء ص ٦٨ - مخطوطة رقم ٩ بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

وعلى بن سلطان القاري : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج ٢ ص ٦١٨ .

والسيوطي : الإتقان ج ١ ص ١٠١ و ١٠٢ .

والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٧ .

(٢) انظر : الرمخشري : أساس البلاغة - مادة (ل ح ن) .

وانظر : أبو علي القالي : الأمالي - مطلب الكلام على مادة (لحن) ج ١ ص ١٤٢ و ١٤٣ ، فتمة معلومات

طبية عن هذه المادة .

به ، يعنى لغته ولسنّه ، ومنه : « تعلموا الفرائض والسنة واللحن كما تعلمون القرآن » .
وهذا لحن معبّد وألحانه وملاحنه : لما مال إليه من الأغاني واختاره .
ولحن في قراءته تلحيناً : طرب فيها .

• • •

وعلى ذكر النعي على مرجعي القرآن ترجيح الغناء ، نبادر فنفرّق بين الغناء الذي يُخرج القراءة عما يجب فيها ولها من الخشوع والوقار ، وبين حسن الصوت بالترتيل ، فإنّ هذا الحسن يُعين - غالباً - على أمر منشود هو التأثير بالسماح .
ويبدو من السنة أن القراءة الواجبة هي القراءة المتدبّرة التي تستغرق النفس كلّها ، ومن ثم هي القراءة المعبّرة ، فقد عاب النبي صلى الله عليه وسلم - كما رأينا في الحديث آنفاً - على قوم أنهم « يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم » ، وفي حديث آخر ، كان من وصفه لقوم « يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة » أنهم « يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم » (١) .

٢

وقد أكّدت السنة الصحيحة استحباب تحسين الصوت بالقرآن :
١ - قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يمجهر به » (٢) .

(١) رواه أبو يعلى في مسنده عن أنس .

وانظر : المناوي : فيض القدير ج ٤ ص ١٢٧ .

وابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ٢٣٩ ، وفيه : « وهم شر الخلق والخلقة ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم »

(٢) رواه البخاري ، في باب قول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن ... » .

وانظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ١٣ ص ٤٤٤ و ٤٤٥ .

وفي رواية مسلم : « ما أذن الله ... إلخ » (ج ٢ ص ١٩٢) .

وانظر : الحاكم النيسابوري : المستدرک ج ١ ص ٥٧٠ .

وسنن أبي داود ، كتاب ٨ باب ٢٠ .

وسنن الترمذي ، كتاب ١١ باب ٨٣ .

وسنن الدارمي ، كتاب ٢ باب ١٧١ ، وكتاب ٢٣ باب ٣٣ .

ومعنى قوله « يأذن » : يستمع له . أذنت للشئ أذن أذنا : إذا سمعت له . قال الشاعر :

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنتوا

وقال « لَّهَّ أَشَدُّ أَدْنَاً إِلَى الرَّجْلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ » (١) .
 وقال - في أبي موسى الأشعري - : « لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْمَعُ قِرَاءَتَكَ الْبَارِحَةَ لَقَدْ أُوتِيتَ
 مِزْمَاراً مِنْ مِزَامِيرِ دَاوُدَ » ، وردَّ أبو موسى : « لَوْ عَلِمْتَ أَنَّكَ تَسْمَعُ لِقِرَاءَتِي لِحَبْرَتِهِ لَكَ
 تَحْيِيراً » (٢) .

وقال : « زَيْنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ » (٣) .

وقال : « لِكُلِّ شَيْءٍ حَلِيَّةٌ ، وَإِنْ حَلِيَّةَ الْقُرْآنِ الصَّوْتِ الْحَسَنُ » (٤) .

وقال : « لَيْسَ مَنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ » (٥) .

وقال عدى بن زيد العبادي :

أبها القلب : تعلل بدذن إن همي في سماع وأذن

والأذن : هو السماع . (انظر : الشريف المرتضى على ابن الحسين في : أمالي المرتضى أو غرر الفوائد ودرر القلائد -
 القسم الأول ص ٣١ - ٣٥ ، وانظر : ابن منظور ، لسان العرب (أذن) و (ددن)
 (١) قال الحاكم النيسابوري : حديث صحيح على شرط الشيخين (المستدرك ج ١ ص ٥٧١)
 (٢) رواه البخاري ، ومسلم ، والنسائي ، وأحمد .
 وانظر : حواشي الجامع الصحيح لمسلم ج ٢ ص ١٩٢ و ١٩٣ ط . (إستامبول) .
 (٣) رواه أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجه ، والدارمي ، ورواه النسائي ، وابن حبان ، والحاكم ، وزاد : « فإن
 الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا » .

انظر : علي القاري : مرقاة المفاتيح ج ٢ ص ٦١٤

والحاكم : المستدرك ج ١ ص ٥٧١

والطيالسي : مستند الطيالسي - حديث ٧٣٨

وقال الحروري : « معناه : المحجوا بقراءة القرآن ، وتزينوا به ، وليس معناه على تطريب الصوت والتخزين ، إذ ليس
 ذلك في وسع كل أحد » . (تقلاً عن : ابن مفلح الحنطلي : الآداب الشرعية والمنع المرعية ج ٢ ص ٢٢٤) .
 وقال فيه البخري : « إنه من المقلوب ، كقولهم : خرق التراب المسمار ، قال تعالى : « مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُؤُّ بِالْمُصْبِحِ »
 (سورة القصص / ٧٦) ، أي تنفض .

ورواه البخري من طريق آخر : « زَيْنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ » - (تقلاً عن المرجع السابق) .

(٤) عن أنس .

وانظر : ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ج ١ ص ٤١ (بتحقيق حامد الفقي ، سنة ١٩٥٣) .

(٥) رواه البخاري عن أبي هريرة .

ورواه أحمد في مسنده ، وأبو داود ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في « المستدرك » ، عن سعد بن أبي وقاص .
 وكان سفيان بن عيينة يقول في تفسير الحديث : « أي من لم يستغنى بالقرآن . » ، قال الشافعي : « ليس هو
 هكذا ، لو كان هكذا لقال : يتغانا ، إنما هو يتحزن ويترنم به ، ويقرؤه حذراً وتحزناً » (انظر : المبكي : طبقات
 الشافعية الكبرى ج ٢ ص ١٣٠ ، بتحقيق الطناحي والحلو) .

وكان أبو عبيد القاسم بن سلام اللغوي المحدث ، والذي أشرنا إليه عند الحديث عن جمعوا القراءات ، كان يرى
 مثل رأى سفيان بن عيينة ، وكان يحتج بيت الأعمش :

وكنتم أمراً زفنأ بالعراق عفيف المناخ طويل التنفي

٢- وعن عائشة ، قالت : استبطناني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات ليلة ، فقال : ما حبسك ؟ قلت : إن في المسجد لأحسن من سمعت صوتاً بالقرآن ، فأخذ رداءه ، وخرج يسمعه ، فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة . فقال : الحمد لله الذي جعل في أمي مثلك (١) .

٣- ورؤي النبي صلى الله عليه وسلم ، يوم الفتح ، على ناقه له ، يقرأ سورة الفتح - أو من سورة الفتح - فرجع فيها ، وكانت صفة ترجيعه : آ ... آ ... آ ... ثلاث مرات (٢) .

ويقول البراء : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في العشاء : « وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونَ » (٣) فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه (٤) .

وفي (الصحيحين) ، عن جبير بن مطعم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بـ (الطور) ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه .

وفي بعض ألفاظه : فلما سمعته قرأ : « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ » (٥) ،

(ديوان الأعشى ص ٢٢)

وكأذ يحتج بقول عبيد الله بن معاوية ضمن أبيات :

كلانا غيُّ عن أخيه حياته ونحن إذ متنا أشد تغايبا

(الكامل للمبرِّد بشرح الرصني ج ٣ ص ١٤) .

وكذلك احتج بأقوال أخرى منسوبة إلى ابن مسعود ، وإلى النبي - صلى الله عليه وسلم -

وقال أبو عبيد : « ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك ، إذ كان من لم يرجع القرآن فليس منه عليه السلام . »

(انظر : الشريف المرتضى : أمالي المرتضى ، أو غرر الفرائد ودرر القلائد ص ٣١ و ٣٢) .

وقد ناقش المرتضى - في أماليه - ما قيل في تفسير ذلك الحديث ، وانتهى إلى أن التفتي هنا ليس التحين والترجيع ،

وإنما هو على هذا الوجه : من لم يقر على القرآن ، فلا يتجاوز به غيره ، ولا يتعداه إلى سواه ، ويتخذ مفضي ومترلاً ومقاماً

فليس منا (ص ٣١ - ٣٥) .

ويقول أبو سعيد الأعرابي - في تفسير ذلك الحديث - قولاً نستحسنه . يقول : كانت العرب تُؤلِّب بالفناء والنشيد

في أكثر أفعالها ، فلما نزل القرآن أحبوا أن يكون القرآن هجيراًهم مكان الفناء ، فقال : « ليس منا مَنْ لم يتنَّ بالقرآن ،

(انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١١) .

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٢٢ . وانظر : ابن قدامة في المغني ج ٩ ص ١٧٩ (ط . المنار ،

سنة ١٣٦٧ هـ) ، وابن كثير الدمشقي : فضائل القرآن ص ٥٨ .

(٢) البخاري : باب ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - وروايته عن ربه .

وانظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ١٣ ص ٤٤١ و ٤٤٢ .

وظاهر أن هذا الترجيع كان اختياراً لا اضطراراً ، لهُزِّ الناقه له ، وكما يقول ابن قيم الجوزية : كان النبي يرجع في

قراءته ، فُسب الترجيع إلى فعله ، ولو كان من هزِّ الراحلة لم يكن منه فعل يسمى ترجيعاً (زاد المعاد ج ١ ص ١٣٤) .

(٣) يقصد سورة التين .

(٤) البخاري : باب قول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن ... »

وانظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ١٣ ص ٤٤٥ .

(٥) سورة الطور / ٣٥ .

خِلْتُ أَنْ فَوَادَى قَدْ انْصَدَعَ ؛ وَفِي رَوَايَةٍ : كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ^(١) .
وعن جابر بن عبد الله ، يقول : كَانَ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَرْتِيلٌ
وَتَرْسِيلٌ^(٢) .

وعن قتادة : مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا بَعَثَهُ حَسْنَ الْوَجْهِ ، حَسْنَ الصَّوْتِ ، حَتَّى يَبْعَثَ
نَبِيِّكُمْ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَسْنَ الْوَجْهِ حَسْنَ الصَّوْتِ . . . الخ^(٣) .

° ° °

وسار الصحابة والتابعون وتابعوهم نفس السيرة^(٤) .

(١) كَانَ عُمَرُ يَقُولُ لِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ : ذَكَرْنَا رَبَّنَا ، فَيَقْرَأُ أَبُو مُوسَى «وَيْتْلَاحُنَّ»^(٥)
وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَغَنَّيَ بِالْقُرْآنِ غَنَاءَ أَبِي مُوسَى فَلْيَفْعَلْ^(٦) .

ونقل الذهبي ، عن ابن الهندي ، في ترجمة أبي موسى الأشعري : « مَا سَمِعْتُ ظَنِبُورًا
وَلَا صَنْجَبًا وَلَا مَزْمَارًا أَحْسَنَ مِنْ صَوْتِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، كَانَ يَصَلِّي بِنَا ، فَتَوَدُّ أَنْهُ قَرَأَ
الْبَقْرَةَ^(٧) .

(ب) وَكَانَ أَسِيدُ بَنِ الْحَضِيرِ أَحَدُ النُّقَبَاءِ الْإِثْنَيْ عَشَرَ ، لَيْلَةَ الْعُقْبَةِ ، مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ
صَوْتًا بِالْقُرْآنِ^(٨) .

(ج) وَكَانَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ ، قَالَ لَهُ عُمَرُ : اعْرَضْ
عَلَى سُورَةِ كَذَا ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ ، فَبَكَى عُمَرُ ، وَقَالَ : مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهَا تَزَلَّتْ^(٩) .

(د) وَذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ سُلْطَانَ الْقَارِي فِي : « مِرْقَاةِ الْمِفَاتِيحِ شَرْحَ مَشْكَائَةِ الْمَصَابِيحِ »

(١) انظر : ابن كثير الدمشقي المفسر : فضائل القرآن ص ٥٨ ؛ وهو يقول بعد هذا :

« وَكَانَ حَبِيرٌ لَمَّا سَمِعَ هَذَا بَعْدَ مُشْرَكَةٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ قَدِيمًا فِي فِدَاءِ الْأَسَارِيِّ بَعْدَ بَدْرٍ . وَنَاهِيكَ بِنِ تَوَثَّرَ
قِرَاءَتِهِ فِي الْمَشْرُكِ الْمَصْرَعِ عَلَى الْكُفْرِ ، فَكَانَ هَذَا سَبَبَ هِدَايَتِهِ . »

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٩٧ (ط . ليدن سنة ١٣٢١ هـ) .

(٣) نفس المرجع ج ١ ص ٩٨ .

(٤) انظر : بيان المعروفين من الصحابة بحسن الصوت في : الكنتاني : الترتيب الإدارية ج ٢ ص ٤٢٥ و ٤٢٦

(ط . الرباط سنة ١٣٣٦ هـ) .

(٥) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ج ١ ص ١٣٤ .

(٦) نفس المرجع ص ١٣٥ .

(٧) تذكرة الحفاظ ص ٢٢ - ٢٤ . ومعروف أن سورة البقرة أطول سور القرآن .

(٨) الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٨ .

(٩) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ج ١ ص ١٣٥ .

والنورى : تهذيب الأسماء واللغات - ٤١٤ .

أن الشيخ عبد القادر الجيلاني روى عن عبد الله بن مسعود ما يستفاد منه أنه كان يحب حُسْنَ الصوت بالقرآن (١) .

(هـ) وكان علقمة أبو شبل النخعي الفقيه الكبير من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وكان إذا سمعه ابن مسعود يقول : « لو رَأَى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لَسُرَّ بِكَ » .

(و) وكان عمر بن عبد العزيز حسن الصوت بالقرآن ، فخرج ليلة يقرأ ، وجهراً بصوته ، فاستمع له الناس ، فقال سعيد بن المسيب : فتنَّتْ الناس ! فدخل (٢) .

(ز) والشافعي صاحب المذهب كان من أحسن الناس قراءة . قال أحد معاصريه : كنا إذا أردنا أن نبكي قال بعضنا لبعض : قوموا بنا إلى هذا الفتي المطلبي يقرأ القرآن . فإذا أتيناها استفتح القرآن حتى يتساقط الناس ، ويكثر عجبهم بالبكاء ، من حسن صوته ،

(١) > ٢ ص ٦١٥ ، والنص :

« وقد ذكر سيدنا وسندا مولانا القطب الرباني والعرث الصمداني : الشيخ عبد القادر الجيلاني - رَوَّحَ اللهُ روحه ، ورزقنا فتوحه - في كتابه : « العُنةُ الذي للمساكين فيه النُية » أنه روى عن عبد الله بن مسعود : أنه مرَّ ذات يوم في موضع من نواحي الكوفة ، ووجد الفسَّاق قد اجتمعوا ، في دار رجل منهم ، يشربون الخمر ، ومغزًى ، يقال له : زاذان ، كان يضرب بالعود ، ويغني بصوت حسن . فلما سمع ذلك عبد الله بن مسعود ، قال : ما أحسن هذا الصوت ! لو كان بقرأة كتاب الله تعالى كان أحسن !

وجعل رداءه على رأسه ، فمضى .

فسمع ذلك الصوت زاذان ، فقال : من هذا ؟

قالوا : كان عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

قال : وإيش قال ؟

قالوا : قال : ما أحسن هذا الصوت ! لو كان بقرأة كتاب الله كان أحسن .

فدخلت الهيبة في قلبه .

فقام ، وضرب بالعود على الأرض ، فكسره ، ثم أدركه ، وجعل المتدليل على عتق نفسه ، وجعل يبكي بين يدي

عبد الله .

فاعتقه عبد الله ، وجعل يبكي كلُّ واحد منهما ، ثم قال عبد الله : كيف لا أحب من أحب الله ؟

فتاب من ضربه بالعود ، وظلَّ ملازماً عبد الله حتى تعلم القرآن . . . إلخ .

(٢) ابن الجزري : غاية النهاية > ١ ص ٥١٦ .

(٣) نفس المرجع ص ٥٩٣ .

والنص في تفسير القرطبي > ١ ص ١٠ كالآتي :

رَوَى عن سعيد بن المسيَّب أنه سمع عمر بن عبد العزيز يؤمُّ الناس ، فطرب في قراءته ، فأرسل إليه سعيد يقول :

أصلحك الله ! إن الأئمة لا تقرأ هكذا .

فترك عمر التطريبَ بعدُ .

فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة^(١) .

(ح) وقيل إن وَرِثًا - أحدَ الراويين الأشهرين لنافع - كان . إذا قرأ على نافع .
أغشى على كثير من الجلساء ، لحسن صوته ، وجودة قراءته^(٢) .

(ط) وكان عبد الرحمن بن الأسود بن أبي يزيد يتبَّع الصوت الحسن في المساجد
في شهر رمضان^(٣) .

(ي) ومن أخبار المجتمع الإسلامي ، في شأن حسن الصوت بالقرآن :
كان أبو بكر الأدمي القارئ المتوفى سنة ٣٤٨ هـ من أحسن الناس صوتاً بالقرآن . وكان
يسمى (صاحب الألحان) ، وقد حجّ مرّة مع بعض العلماء ، فلما كانوا في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجدوا رجلاً ضريباً أمامه حلقة من الناس كبيرة ، وقعد هو يقصّ ، ويروي
الكذب من الأحاديث الموضوعة والأخبار المفتعلة ، وكان النكير عليه لا يؤثر مع ذلك الجمع
الكبير ، فأشار أحدهم على أبي بكر أن يستعيد ويقرأ ، فما هو إلا أن ابتداء حتى انفضّ
الناس جميعاً من حول الضريب ، وأحاطوا بأبي بكر يستمعون قراءته ، وقد سُمع الضريب
يقول لقائده : خذْ يدي ، هكذا تزول النعم^(٤) .

وفي سنة ٣٩٤ هـ ، خرج الأصيفر المنتفيقي على الحاجّ ، وحصرهم ، وعزم على أخذهم .
وكان فيهم أبو الحسن الرفاء وأبو عبد الله الدجاجي ، وكانا يقرآن القرآن بأصوات لم يُسمع
مثلها ، فحضرا عند الأصيفر ، وقرأ ، فترك الحاجّ ، وعاد ، وقال لهما : قد تركت لكما
ألف ألف دينار^(٥) .

وفي نفس السنة ، عزم أمير الحجّ العراقي على أن لا يسير إلى المدينة المنورة خوفاً من
الأعراب ، فشقّ ذلك على الناس ، فوقف هذان القارئان على جادة الطريق المؤدية إلى
المدينة ، وقرأ : « ما كان لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ . . . »^(٦) (الآيات) ، فضجّ الناس بالبكاء ، وأمالت النوق

(١) ابن شاکر الکتابي : عيون التواريخ - الجزء الخاص بالمدة من سنة ٢٠٤ إلى سنة ٢٥٠ هـ ص ٥ .

والنوري : تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٦٦ .

(٢) انظر : القسطلاني : لطائف الإشارات ، الورقة ٢٢ من المخطوطة ٤٩ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية
بالقاهرة .

(٣) زاد المعاد ج ١ ص ١٣٥ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ٦ ، حوادث سنة ٣٤٨ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٢٢٤ (ط . منير الدمشقي) .

(٦) سورة التوبة / ١٢٠ .

أعناقها نحو القارئين ، فمال الناس بأجمعهم والأمير إلى المدينة النبوية . فراروا وعادوا سالمين إلى بلادهم^(١) .

ولما رجع هذان القارئان ، رتبهما وليّ الأمر ، مع أبي بكر بن البهلول . وكان مقرئاً مجيداً أيضاً . ليصلوا بالناس التراويح في رمضان ، فكثرت الجمع وراءهم ، لحسن تلاوتهم . وكانوا يطيلون الصلاة جداً ، فلا ينصرف الناس إلا في النصف الأول من الليل أو قريب النصف منه^(٢) .

وكانت حلاوة الصوت بالقراءة وقوة التأثير بها دليل « السيرة الحسنة والتقى » . ذكروا في ترجمة أحد القراء الأندلسيين ، وهو عبد الله بن محمد بن سليمان ، المعروف بابن الحاج أنه كان مجوداً للقرآن ، « مع حلاوة صوته وطبعه ، وكان - إذا أحيأ في الجامع - لا يتالك كل من سمعه من البكاء ، وما ذاك إلا لسيرة حسنة وتقى كان بينه وبين خالقه »^(٣) .
(ك) وفي الآثار المتداولة عند المسلمين ما يؤيد احتفالهم بالصوت الحسن ، بصرف النظر عن مدى صحة هذه الآثار .

قال مالك بن دينار أحد معلمى الغناء بالمدينة :

« بلغنا ، في الخبر ، أن الله - تبارك وتعالى - يقيم داود - عليه السلام - يوم القيامة ، عند ساق العرش ، فيقول : يا داود ! مجدنى اليوم بذلك الصوت الرحيم » .
وجاء في الخبر : أن داود كان يخرج . إلى صحراء بيت المقدس ، يوماً في الأسبوع ويجتمع الخلق ، فيقرأ الزبور بالقراءة الرخيمة ، وكانت له جاريتان موصوفتان بالقوة ، فكانتا تضبطان جسده خيفة أن تنخلع أوصاله ، مما كان ينتحب ، وكانت الوحوش والطيور تجتمع لاستماع قراءته^(٤) .

وعن ابن عائشة ، قال : كان لداود - عليه السلام - صوت يطرب المحموم ، ويسلى الثكلى ، وتصغى له الوحش ، حتى يؤخذ بأعناقها وما تشعر^(٥) .
وفي الخبر أيضاً - في معرض المدح لداود - : « أنه كان حسن الصوت في التباحة على

(١) ابن الأثير : المرجع السابق ص ٢٢٥ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) انظر : ابن بشكوال : الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلماهم ومحدثيهم وفقهاهم وأدباهم ج ١ ص ٢٥٦ .

(٤) انظر : أحمد تيمور : الموسيقى والغناء عند العرب ص ١٤ .

والأبشيبي : المستطرف من كل فن مستظرف ج ٢ ص ١٧٧ (ط . المطبعة الحية بالقاهرة سنة ١٣٠٠هـ) .

(٥) مجالس نعلب ج ١ ص ١٨ .

نفسه ، وفي تلاوة الزبور ، حتى كان يجتمع الإنس ، والجن ، والوحش ، والطير ،
لسماع صوته ، وكان يحمل من مجلسه أربعمائة جنازة ، وما يقرب من ذلك في الأوقات «(١)» .
(ل) ومن الروايات ذات الدلالة ما يزعمه بعضهم من أن الأطباء النافرة كانت تأتي
لاستماع ألحان صوت مخارق المعنى ، فإذا سَكَتْ عادت لنفارها ، وشردت (٢) .

• • •

وفي التراث العربي الإسلامي : أن صاحب (الفلاحات) كان يقول :
إِنَّ النَّحْلَ أَطْرِبُ الْحَيَّوَانَ كُلَّهُ عَلَى الْغَنَاءِ . قال الشاعر :

وَالطَّيْرُ قَدْ يَسُوقُهُ لِلْمَوْتِ إِصْغَاؤُهُ إِلَى حَيْنِ الصَّوْتِ (٣)
وزعموا أن في البحر دواباً ربما زمرت أصواتاً مطربة ، ولحنوا مُسْتَلَدَّةً يأخذ السامعين
الغشي من حلاوتها ، فاعتنى بها وضعت الألحان بأن شبهوا بها أغانيهم ، فلم يبلغوا (٤) .

(١) انظر : التويرى : نهاية الأرب ج ٤ ص ١٦٣ .

والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ١٧ .

(٢) انظر : نهاية الأرب ج ٤ ص ٣١٨ ،

وأبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ج ٢١ ص ١٥٢ (ط . سامي) ، وص ٢٣٧ (ط . بولاق) .

ونص الرواية .

خرج مخارق - مع بعض إخوانه - إلى بعض المنتزهات ، فنظر إلى قوس مُدْمِية مع بعض من خرج معه ، فسأله
إياها . وكان المسؤول ضن بها .

وسنحت ظباء بالقرب منه .

فقال لصاحب القوس :

أرأيت إن تغنيتُ صوتاً ، فعتقتُ علىَّ به خدود هذه الظباء ، أتدفع إلى القوس ؟

قال : نعم !

فاندفع يفتي :

ماذا تقول الظباء ماذا تقول الظباء أم لقاء ؟

أم عهدها بليمي ؟ وفي اليان شفاء

مرت بنا مانحات وقد دنا الإماء

فما أحارت جواباً وطال فيها العناء

قال : فعتقتُ الظباء راجعةً إليه ، حتى وقفت بالقرب منه مصغية إلى صوته . فعجب من حصر من رجوعها ووقوفها .
ونارله الرجل القوس ، فأخذها ، وقطع العناء ، فعادت الظباء نفارها ، ومضت راجعة على سنتها .

(٣) الأبيشي : المستطرف في كل فن مستطرف ص ١٧٧ .

(٤) نفس المرجع .

٣

ومعلوم أن للقرآن أغراضاً منها : الإعلام ، والتنبيه ، والأمر ، والنهي ، والوعد ، والوعيد ،
 ووصف الجنة والنار ، والاحتجاج على المخالفين ، والردّ على الملحدّين ، والبيان عن الرغبة
 والرغبة ، والخير والشرّ ، والحسن والقبيح ، ومدح الأبرار ، وذمّ الفجار . . . الخ .
 وليس طبيعياً ولا سديداً أن نقرأ موضوعات هذه الأغراض كلّها بأسلوب واحد .
 وإذا كان الترتّم الباكي مقبولاً مثلاً في آيات التوبة والاستغفار والاسترحام ، فهل هو
 مقبول في آيات التحريض على القتال ؟ إن المقبول طبيعياً هو الترتّم الذي يوائم المعنى ويظهره ،
 والذي لا يعجزه الأخذ بناصية الفهم ، والذي يجعل للمقروء مستقراً في ذهن السامع وقلبه ،
 فضلاً عن أن يحمله إلى هذا المستقرّ حملاً .
 واللين غير الشدة ، والأمر والنهي غير الدعاء والالتماس ، والخبر غير الاستفهام ،
 والإقرار غير التعجب ، والوعد غير الوعيد ، وهكذا . . .

° ° °

وتلحين القرآن - بمعنى قراءته قراءة معبّرة ، وأحياناً بمعنى قراءته على بعض أساليب الغناء -
 أمر قديم .

وقد تقدم كلام عن مادة (لحن) في اللغة العربية .

وروي أن النبي (ص) قال : « إن أحسن الناس قراءةً سنّ إذا قرأ القرآن يتحزّن فيه » (١) .
 قال الزمخشري ، في « أساس البلاغة » : « ومن المجاز : صوت حزّين : رخيم » .
 وكان الصحابي أبو هريرة يقرأ : « إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ » (٢) ، « بحزّنها شبه الرثاء » (٣) .
 ومما يعرف به « الترتيل » - عند المسلمين - : أنه « خفض الصوت والتحزين بالقراءة » (٤)
 وكأنما يقرر هذا التعريف ضمناً أن تحلية الصوت بالقرآن هي شرط أساسي في قراءته القراءة
 المأمور بها .

° ° °

(١) رواه الطبراني في « الكبير » عن ابن عباس . وانظر : المناري : فيض القدير ج ١ ص ١٩١ .

(٢) يعني سورة التكوير .

(٣) ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراءة ج ١ ص ٣٧٠ .

(٤) عل الجرجاني : التعريفات ص ٥٧ .

ولعل وجه التحزين - في قراءة القرآن - أن يكون كما قال الغزالي : « أن يتأمل القارئ ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره ، فيحزنه لا محالة ، ويبكي » (١) .

والمسلمون يستحبون البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن . وفي دينهم أن الأنبياء كانوا يبكون إذا تلى عليهم آيات الله « أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا » (٢) .

وهم يروون أن النبي قال : « أتلوا القرآن ، وابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا » (٣) .

وفي (صحيح البخاري) ، عن عبد الله بن مسعود قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ عليّ

قال : قلت : اقرأ عليك وعليك أنزل ؟

قال : إني أشتي أن أسمعه من غيري

قال فقرأت (النساء) ، حتى إذا بلغتُ : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا

بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا » قال : كفت ، أو أمسكت ، فرأيت عينيه تدرقان .

قال ابن بطال : إنما بكى صلى الله عليه وسلم ، عند تلاوته هذه الآية ، لأنه مثل لنفسه

أحوال القيامة وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأُمَّته بالتصديق ، وسؤاله الشفاعة لأهل

الموقف ، وهو أمرٌ يحق له طول البكاء (٤) .

ويقول ابن حجر العسقلاني : والذي يظهر أنه بكى رحمة لأُمَّته ، لأنه علم أنه لا بد أن

يشهد عليهم بعملهم ، وعملهم قد لا يكون مستقيماً ، فقد يفضى إلى تعذيبهم . والله أعلم (٥)

وفي (صحيح البخاري) أيضاً عن أبي موسى ، قال :

(١) إحياء علوم الدين ج ١ ص ٢١٩ .

(٢) سورة مريم / ٥٨ .

(٣) الجمل - سليمان بن عمر العجيلي : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ج ٣ ص ٦٧ -

ط . مصطفی الحلبي سنة ١٩٥٩ .

(٤) الآية ٤١ .

(٥) باب البكاء عند قراءة القرآن - كتاب فضائل القرآن .

(٦) انظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ١ ص ٩٩ (ط . محب الدين الخطيب) .

(٧) نفس المرجع .

مرض النبي صلى الله عليه وسلم ، فاشتد مرضه ، فقال ، مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فقالت عائشة : إنه رجل رقيق القلب ، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصل بالناس . . . إلخ (١) وفي رواية ، عن عائشة نفسها ، أنها قالت : . . . إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يُسمع الناس من البكاء ، فمر عمر فليصل للناس . . . إلخ (٢) .

وفي رواية أخرى ، أن عائشة قالت : إن أبا بكر رجل رقيق ، إذا قرأ غلبه البكاء (٣) . ومن المأثورات الإسلامية : أن ابن عباس قال : إذا قرأتم سجدة فليصل (٤) فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا ، فإن لم تبك عين أحدكم فليك قلبه (٥) ، وأن قارئاً صالحاً ، هو صالح المزني ، قال : قرأت القرآن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المنام ، فقال لي : يا صالح ! هذه القراءة ، فأين البكاء (٦) ؟

على أن فيض دموع المسلمين واهتزاز قلوبهم عند سماع القرآن ليس أمراً عجباً : فقد أثبت ربنا سبحانه لكاتبه خصيصة ليست لغيره من الكتب : « اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي تَقْشِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ . . . » (٧) .

وفي عهد التابعين ، كان يحدث لبعضهم عند سماع القرآن الصَّعْقُ والغشي ونحوهما . ويقول ابن مفلح في هذا الباب : « وأما الصَّعْقُ والغشي ونحو ذلك فَحَدَّثَ فِي التَّابِعِينَ لِقَوَّةِ الْوَارِدِ وَضَعْفِ الْمُرُودِ عَلَيْهِ . وَالصَّحَابَةُ - لِقَوَّتِهِمْ وَكَمَالِهِمْ - لَمْ يَحْدِثْ فِيهِمْ (٨) » .

ويسوق ابن مفلح هنا أخبار ثلاثة من أعيان التابعين ؛ (أولهم) الإمام الرباني الربيع بن خيثم ، وقد سمع عبد الله بن مسعود يقرأ : « إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا » (٩) ، فصعق ، وكان قبل الظهور فلم يفتق إلى الليل .

(١) كتاب الأذان - باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة ، وانظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٢ ص ١٦٤ وما بعدها (ط - محب الدين الخطيب) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) سورة الإسراء / من الآية ١٠٨ .

(٤) الجمل : المرجع السابق .

(٥) نفس المرجع .

(٦) سورة الزمر / ٢٣ .

(٨) الآداب الشرعية والمنع المرعية ج ٢ ص ٢٣٠ .

(٩) سورة الفرقان / ١٢ .

(وثانيهم) الإمام القاضي التابعي المتوسط زرارة ، قرأ في الصلاة ، فلما بلغ : « فإذا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ »^(١) شهِقَ فَمَاتَ .

(وثالثهم) الإمام علماً وعملاً شيخ الإمام أحمد يحيى بن القطان . كان هذا الحال يحصل له كثيراً ، فلا يقدر أن يدفعه^(٢)

* * *

ويقول ابن قتيبة^(٣) :

« أول من قرأ بالألحان : عبيد الله بن أبي بكر^(٤) ، وكانت قراءته حَزْناً - أى فيها رقة صوت - ليست على شيء من ألحان الغناء ولا الحُذَاء .

فورث ذلك عنه ابن ابنه : عبيد الله بن عمر بن عبيد الله .

وأخذ ذلك عنه الإباضي .

وأخذ سعيد العلاف وأخوه عن الإباضي قراءة ابن عمر .

وكان هرون الرشيد مُعْجَباً بقراءة سعيد العلاف ، وكان يُحْظِيهِ ويعطيه ، ويعرف بقارئ

أمير المؤمنين .

وكان القراء كلهم : الهيثم ، وأبان ، وابن أعين ، وغيرهم يُدْخِلُونَ فِي الْقِرَاءَةِ مِنَ الْأَلْحَانِ

الغناء والحدا والرهبانية :

فمنهم من كان يدس الشيء من ذلك دساً رقيقاً .

ومنهم من كان يجهر بذلك ، فمن ذلك قراءة الهيثم : « أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ

يَحْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ »^(٥) ، سَلَّحَهُ مِنْ صَوْتِ الْغِنَاءِ كَهَيْئَةِ :

أَمَّا الْقِطَاةُ فَإِنِّي سَوَّفُ أَنْعَتَهَا نَعْتًا يُوَافِقُ نَعْتِي بَعْضُ مَا فِيهَا^(٦)

(١) سورة المدثر / ٨ .

(٢) ابن مفلح : المرجع السابق .

(٣) المعارف ص ٥٣٣ .

(٤) جاء في (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى) ، في وفيات سنة ٨٨٠ هـ :

« عبيد الله بن أبي بكر ، وكنيته أبو حاتم ، من الطبقة الثالثة من التابعين ، من أهل البصرة ، وامه هَوَلَةُ بنت فُلَيْظٍ من بني عجل ، وهو أول من قرأ القرآن بالألحان ، ووُلِّيَ قضاء البصرة ، وأوفده الحجاج على الخليفة عبد الملك ، فسأله أن يبذل الحجاج خراسان وسجستان ، (ج ١ ص ٢٠٢) .

(٥) سورة الكهف / ٨٠ .

(٦) هذا مطلع قصيدة تُنسب لمُكَلِّلِ بْنِ الْحَجَّاجِ الْحَجِيمِيِّ . وانظر القصيدة في (ذيل الأملئ والتزادر لأبي على

القالى ص ٢٠٩) .

وكان ابن أعين يُدخل الشيء ويخفيه ، حتى كان الترمذى محمد بن سعد ، فقرأ على الأغاني المولدة المحدثه ، سلخها في القراءة بأعيانها (١) .

* * *

ويقول الهيثم العلاف (٢) : قرأت عند المنصور ، فقال : ما لكم - أهل البصرة - أقرأ البلاد ؟

فقلت :

إن أهل الحجاز قرأوا على النَّصَب (٣) ؛
وأهل الشام قرأوا على قراءة الرهبان ؛
وأهل الكوفة قرأوا على قراءة النَّبْط ؛
وأهل البصرة قرأوا على الخسرواني (٤) : غناء فارس !

* * *

وإخوان الصِّفاء يتكلمون عن أسباب استخراج الحكماء صناعة الموسيقى ، فيشيرون إلى أنَّ الناس كانوا يستدفعون المناحس والبلاء بالدعاء والبكاء ، وكانوا يستعملون - عند الضراعة والقراءة - « ألعاناً من الموسيقى تسمى : (المخزن) ، وهي التي ترقق القلوب إذا سُمعت ، وتبكي العيون ، وتكسب النفوس الندامة على سالف الذنوب ، وإخلاص السرائر ، وإصلاح الضمائر » (٥) .

ويقول إخوان الصفاء : « فأما استعمال أصحاب النواميس الإلهية لها ، (أى للموسيقى) في الهياكل ، وبيوت العبادات ، وعند القراءة في الصلوات ، وعند القرابين والدعاء ، والتضرع والبكاء ، كما كان يفعل داود النبي - عليه السلام - عند قراءة مزاميره . وكما يفعل النصراني في كنائسهم ، والمسلمون في مساجدهم ، من طيب النعمة ، ولحن القراءة ، فإنَّ كلَّ ذلك لركة القلوب ، ولمخضوع النفوس ، ولخشوعها ، والانقياد لأوامر الله - تعالى -

(١) المعارف ص ٥٢٣ .

(٢) انظر : محمود عرنوس - مقال بمجلة لواء الإسلام ع . رمضان ١٣٦٨ (يونية ١٩٤٨) .

(٣) تقول : نَصَبَ نَصْباً : غنَّى غناءً أرق من الحداء ، وفي الحديث : « لو نصبت لنا نَصْبَ العرب » (الزمخشري : أساس البلاغة ، مادة : ن ص ب) .

(٤) منسوب إلى خسرو : شاه من الأكاسرة .

(٥) رسائل إخوان الصفا - المجلد الأول ص ١٨٦ و ١٨٧ .

ونواهيه ، والتوبة إليه من الذنوب ، والرجوع إلى الله - سبحانه وتعالى - باستعمال التواضع
كما رسمت^(١) .

والرَّحالة ابن جبير يروى في رحلته^(٢) أنه رأى القراءة « بين أيدي الوعاظ ، يأتون بالحنان
تكسب الجهاد طرباً وأريحية ، كأنها المزامير الداودية » .

والقسطلاني يقول : « فإذا جليت آيات القرآن العزيز بالآيات الطيبة ، مع مراعاة
الترتيل ، على الأسماع ، تلقتها القلوب ، وأقبلت عليها النفوس ، وإنما أثمر ذلك تدبّر
آياته ، والتفكير في غوامضه ، والتبحر في مقاصده ، ليحصل له - حينئذ - الامتثال لأوامره ،
والانتهاء عن مناهيه ، والرغبة في وعده ، والرغبة من وعيده ، والطمع في ترغيبه »^(٣) .

وقد بكى الطيب البصرى ما سرجويه - وهو يهودى - من قراءة أبي الخوخ ، فقيل له :
كيف بكيت من كتاب الله ، ولا تصدق به ؟ قال : إنما أبكاني الشجي^(٤) .

٤

وللقرآن موسيقاه الخاصّة التي لا يفوت إدراكها أحداً من قرائه . ومن أنواع بدائعه ما
يمكن أن نرى فيه - ضمناً - دلائل موسيقية نابعة منه ، وليست مُستجلبّة إليه .
ومن هذه الأنواع^(٥) :

١ - الانسجام :

وهو كما يعبر ابن أبي الإصبع - « أن يأتي الكلام متحدراً كتحدر الماء المنسجم ،
بسهولة سبك ، وعذوبة ألفاظ ، وسلامة تأليف ، حتى يكون للجملّة من المنشور ، وليت

(١) المرجع السابق ج ١ ص ١٨٦ .

(٢) ص ١٤٠ .

(٣) لطائف الإشارات ، الورقتان ٥٤ و ٥٥ - المخطوطة رقم ٤٩ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) انظر : الجاحظ : الحيوان ج ٤ ص ١٩٢ .

(٥) كلها اخترناها من :

(١) كتاب « الإيقان » للسيوطي : النوع الثامن والخمسون ، في بدائع القرآن ج ٢ ص ٨٣ - ٩٦ ، والنوع

التاسع والخمسون ، في فواصل الآي ج ٢ ص ٩٦ - ١٠٥ .

(ب) كتاب « بديع القرآن » لابن أبي الأصعب المصري ص ٢٧ و ٢٨ و ٣١ و ٣٦ و ٧٣ و ٩٠ و ٩١ و ٩٦ و ٩٩

و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٦٤ و ١٦٦ و ١٦٧ .

من الموزون وقع في النفوس وتأثير في القلوب . « ، ويكاد - كما يقول السيوطي - « لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة » .

ويقول السيوطي أيضاً :

« وإذا قوى الانسجام في النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد . . . ومن ذلك ما وقع في

القرآن موزوناً :

فمنه : في بحر الطويل : « فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ » (١)

ومن المديد : « وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا » (٢)

ومن البسيط : « فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ » (٣)

ومن الوافر : « وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ » (٤)

ومن الكامل : « وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (٥)

ومن الخرج : « فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا » (٦)

ومن الرجز : « وَذَانِبَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلْمُهَا وَذَلَّلَتْ فَطُورُهَا تَذْلِيلًا » (٧)

ومن الرمل : « وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ » (٨)

ومن السريع : « أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ » (٩)

ومن المنسرح : « إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَطْفَةٍ » (١٠)

ومن الخفيف : « لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا » (١١)

ومن المضارع : « يَوْمَ التَّنَادِ هَ يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ » (١٢)

ومن المقتضب : « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » (١٣)

ومن المجث : « نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِي أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ » (١٤)

ومن المتقارب : « وَأُمَلِي لَهُمْ إِن كَيْدِي مَتِينٌ » (١٥)

- | | |
|-------------------------|---------------------------|
| (١) سورة الكهف / ٢٩ . | (٩) سورة البقرة / ٥٦ . |
| (٢) سورة هود / ٣٧ . | (١٠) سورة الإنسان / ٢ . |
| (٣) سورة الأحقاف / ٢٥ . | (١١) سورة النساء / ٧٨ . |
| (٤) سورة التوبة / ١٤ . | (١٢) سورة غافر / ٣٢ و٣٣ . |
| (٥) سورة النور / ٤٦ . | (١٣) سورة البقرة / ١٠ . |
| (٦) سورة يوسف / ٩٣ . | (١٤) سورة الحجر / ٤٩ . |
| (٧) سورة الإنسان / ١٤ . | (١٥) سورة الأعراف / ١٨٣ . |
| (٨) سورة ميثا / ١٣ . | |

ولعلّه من الواضح جداً أنّ وقوع بعض الآيات القرآنية موزونة نتيجة قوة الانسجام فيها لا يعنى أنّ القرآن يتضمّن شعراً ، كما ادّعى بعض أعداء الإسلام منذ قديم : « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ » لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَجْعَلَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ^(١) .

٢- ائتلاف اللفظ مع اللفظ :

فَيُقْرَنُ الْغَرِيبُ بِمِثْلِهِ ، وَالْمُتَدَاوِلُ بِمِثْلِهِ ، رِعَايَةً لِحَسَنِ الْجَوَارِ وَالْمُنَاسَبَةِ .

٣- ائتلاف اللفظ مع المعنى :

أى أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد ، فإن كان فخماً كانت ألفاظه مفضحة ، أو جزلاً فجزلة ، أو غريباً فغريبة ، أو متداولاً فمتداولة ، أو متوسطاً بين الغرابة والاستعمال فكذلك .

٤- الإبدال :

وهو إقامة بعض الحروف مقام بعض . ومن أمثله : (انْقَلَقَ) ، كانت (انْفَرَقَ) ، ولهذا قال : « فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ . . . » ^(٢) ، فالراء واللام متتابعان . ومن الأمثلة أيضاً : « إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ » ^(٣) ، أى الخيل .

٥- التثوية :

وهو إتيان المتكلم بمعان شتى من المدح ، والوصف ، وغير ذلك من الفنون ، كل جملة منفصلة عن أختها ، مع تساوى الجمل فى الزنة ، ومن أمثله : « الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ » وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ه وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ه وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ » ^(٤) .

٦- التعديد :

وهو إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد ، كقوله : « هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ » ^(٥) .

وقوله : « مُسْلِمَتٌ مُؤْمِنَةٌ قَيِّمَةٌ تَتَّبِعُ عَبْدَتٌ سَفِيحَةٌ نَيْسَةٌ وَأَبْكَرَةٌ » ^(٦) .

وقوله : « النَّبِيُّونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّيِّحُونَ الرَّكْعُونَ السَّجِدُونَ » ^(٧) .

(٥) سورة الحشر / ٢٣ .

(١) سورة يس / ٦٩ . ٧٠ .

(٦) سورة التحريم / ٢٤ .

(٢) سورة الشعراء / ٦٣ .

(٧) سورة التوبة / ١١٢ .

(٣) سورة ص / ٢٢ .

(٤) سورة الشعراء / ٧٨ و٧٩ و٨٠ و٨١ .

٧- المضارع :

وهو أن يختلف اللفظان بحرف مقارب في المخرج ، سواء كان في الأول ، أو الوسط ، أو الآخر ، كقوله : « وَهُمْ يَهْتَوُونَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ » (١)

٨- حُسْنُ النَّسْقِ :

وهو أن يأتي المتكلم بكلمات متاليات معطوفات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً ، ولو أن كل جملة منه قائمة بنفسها . ومنه قوله : « وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ، وَيَسَاءَ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ، وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » (٢) .

٩- المشاكلة :

وهي ذكر الشيء بلفظ غيره ، لوقوعه في صحته تحقيقاً أو تقديراً ، فالأول كقوله : « تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ » (٣) ، « وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهِ » (٤) ، « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا » (٥) . « فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ » (٦) . « وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا » (٧) . « فَيَسْحَرُونَ مِنْهُمْ سِحْرَ اللَّهِ مِنْهُمْ » (٨) . « إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ بِاللَّهِ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » (٩) .

١٠- التجنيس :

سواء كان جناس مزاجية . أو جناس مناسبة ، وسواء كان لفظياً ، أو معنوياً .

١١- الطباق : بنوعيه : الحقيقي والمجازي .

١٢- ردّ الأعجاز على الصدور

١٣- التسجيع وصحة المقابلات

١٤- التوشيح :

وهو أن يكون في أول الكلام معنى إذا عَلِمَ عَلِمَتْ منه القافية إن كان شعراً ، أو السجع

إن كان نثراً .

(٦) سورة البقرة / ١٩٤

(٧) سورة الجنانية / ٣٤

(٨) سورة التوبة / ٧٩

(٩) سورة البقرة / ١٤ و ١٥

(١٠) ابن أبي الأصبغ المصري : تدبیر القرآن ص ٩٠ و ٩١

(١) سورة الأنعام / ٢٦

(٢) سورة هود / ٤٤

(٣) سورة المائدة / ١١٦

(٤) سورة آل عمران / ٥٤

(٥) سورة الشورى / ٤٠

١٥ - الترديد :

وهو أن يعلق المتكلم لفظه من الكلام بمعنى ، ثم يردّها بعينها ، ويلقها بمعنى آخر (١) .
كقوله : « حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ، اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ . . . » (٢) .

١٦ - التعطف :

وهو كالترديد في إعادة اللفظة بعينها في الجملة من الكلام ، أو البيت من الشعر .
والفرق بينهما قرب الكلمتين من الترديد ، وكونهما في أحد طرفي الجملة . أو في كليهما ،
وهما - في التعطف - مفترقتان . كل لفظه منهما في طرف من الكلام (٣) ، ومنه قوله تعالى :
« قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ
عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ » (٤) .

١٧ - التسميط :

وهو جعل مقاطع أجزاء جملة النثر مسجعة على رويّ يخالف رويّ قرينته . واشتقاقه من
السمط الذي هو حيط العقْد . لتزليل سجعات الأجزاء بمنزلة حبّ العقْد . وقافية البيت ،
أو سجعة النثر ، أو فاصلة الآية بمنزلة السمط الذي يجمع حبّ العقْد ويربطه .

١٨ - المائلة :

أي تماثل ألفاظ الكلام كلها أو بعضها في الرّبة دون التقفية . كقوله : « وَالسَّمَاءِ
وَالطَّارِقِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۚ النَّجْمُ النَّاقِبُ ۚ إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۚ . . . »

• • •

ومما يوفّر للقرآن موسيقاه الذاتية أنه هو نفسه يوفّر الانسجام بين ألفاظه وأصواته ، من
طرق كثيرة أخرى . منها :

(١) نفس المرجع ص ٩٦ .

(٢) سورة الأنعام / ١٢٤ .

(٣) ابن أبي الإصبع المصري : بديع القرآن ص ٩٧ .

(٤) سورة التوبة / ٥٢ .

(٥) ابن أبي الإصبع المصري ص ١٠١ و ١٠٢ .

(٦) نفس المرجع ص ١٠٧ .

(٧) سورة الطارق / ١ و ٢ و ٣ و ٤ .

- (ا) حذف ياء المنقوص المعرف ، نحو : « الْكَبِيرُ الْمَعَالِ »^(١) ، « يَوْمَ التَّنَادِ »^(٢) .
- (ب) حذف ياء الفعل غير المجزوم ، نحو : « وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ »^(٣) .
- (ج) حذف ياء الإضافة ، نحو : « فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٌ »^(٤) ، « فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ »^(٥) .
- (د) زيادة حرف المد ، نحو : « الظُّنُونَا - الرَّسُولَا - السَّبِيلَا »^(٦) .
- (هـ) إبقاؤه مع الجازم ، نحو : « لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى »^(٧) ، « سَنُقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَى »^(٨) ، على القول بأنه نسي .
- (و) صرف مالا ينصرف ، نحو : « قَوَارِيرًا هـ قَوَارِيرًا »^(٩) .
- (ز) اختيار أغرب اللفظين ، نحو : « قِسْمَةٌ ضِيزَى »^(١٠) ، ولم يقل : جائرة ، ونحو : « لَيْبَبَذَنُّ فِي الْحَطْمَةِ »^(١١) ، ولم يقل : « جهنم » أو « النار » . وفي سورة المدثر : « سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ »^(١٢) ، وفي المعارج : « إِنَّهَا لَطَّى »^(١٣) وفي سورة القارعة : « فَأَمَّهُ هَابُوبَةٌ »^(١٤) ، وذلك لمراعاة فواصل كل سورة .
- (ح) الاستغناء بالإفراء عن التثنية ، نحو : « فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى »^(١٥) .
- (ط) إظهار بعض أوصاف المبالغة على بعض ، نحو : « إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ »^(١٦) ، أوثر على « عجيب » مراعاة للفاصلة .
- (ي) العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة الاستقبال ، نحو : « فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمُوهَا وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ »^(١٧) ، والأصل : قتلتم .
- (ك) تغيير بنية الكلمة ، نحو : « طُورٍ سِينِينَ »^(١٨) ، والأصل : سينا .

* * *

(١) سورة الرعد / ٩ .	(١٠) سورة النجم / ٢٢ .
(٢) سورة غافر / ٣٢ .	(١١) سورة الهنزة / ٤ .
(٣) سورة الفجر / ٤ .	(١٢) الآية ٢٦ .
(٤) سورة القمر / ٣٠ .	(١٣) الآية ١٥ .
(٥) سورة غافر / ٥ .	(١٤) الآية ٩ .
(٦) سورة الأحزاب / ١٠ و ٦٦ و ٦٧ .	(١٥) سورة طه / ١١٧ .
(٧) سورة طه / ٧٧ .	(١٦) سورة ص / ٥ .
(٨) سورة الأعلى / ٦ .	(١٧) سورة البقرة / ٨٧ .
(٩) سورة الإنسان / ١٥ و ١٦ .	(١٨) سورة التين / ٢٧ .

وقد كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المدّ واللين وإلحاق النون . يقول السيوطي :
 « وحكمته : وجود التمكن من التطريب بذلك ، كما قال سيويه : إنهم إذا ترنموا ، يلجفون
 الألف والياء والنون ، لأنهم أرادوا مدّ الصوت ، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا . وجاء القرآن على
 أسهل موقف ، وأعذب مقطع » .

• • •

والموسيقى - في عبارات القرآن - نساير المعاني . فهو - بإطلاق - في التفرّيع ، والإعذار ،
 والإنذار ، والتحذير ، والتخويف . . . ذو ألفاظ شديدة قابضة مزعجة ، فإذا بشر ، ووعد ،
 وحمد ، فألفاظه - بإطلاق أيضاً - بأسطة بهيجة مشوّقة .

وقد قيل إن هذه الموسيقى ، في الأصوات القرآنية « تلعب - في تكييف عقل السامع ،
 وتهيئته لتلقّي الدعوة - دوراً هو فوق التعريف ، وإن الجمال الفني في القرآن هو رأس ما
 جذب العرب إلى الإسلام » .

وعندنا أن الموسيقى في القرآن - وتلك كلّها من أدلّتها - أوضح من أن يجحد . وعندنا
 أيضاً أنه ليس يمسّ قداسة القرآن وعظمته أن نقول إنه تحرّى الموسيقى ، فذلك - في الواقع -
 من دلائل إعجازه ، سيما أن موسيقاه غير الموسيقى فيما يكتب البشر من نثر فني قد يعمد إليه
 بعضهم ، فيضحّي من أجله - قليلاً أو كثيراً - بدقّة المعنى المراد .

٥

وقد اختلف الحكم على القراءة بالألحان المقتبسة من الغناء . وهذا بعض ما رُوي
 ضدها :

(١) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال - وقد أوردنا هذا الحديث قبلاً - :
 « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق ، ولحون أهل الكتابين .
 وسيجيء بعدى أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح . . . » إلى آخر الحديث .

(١) لإتقان - ٢ ص ١٠٥ . وانظر : الخفاسي : مرّ الفصاحة ص ١٦٥ و١٦٦ . وانظر - في ختم مقاطع
 الفواصل بحروف المدّ واللين ، في معنى الفواصل على الوقف - : الزركشي : البرهان في علوم القرآن - ١ ص ٦٨ و٦٩
 و٧٠ .

(٢) Gibb (H. A. R.) : Modern Trends in Islam, P. P. 4 A. 5.

(س) وأنكر التطريب أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء قارئ ، فقرأ وطرب ، وكان رفيع الصوت ، فكشف أنس عن وجهه ، وكان على وجهه خرقة سوداء ، فقال له : يا هذا ! ما هكذا كانوا يفعلون . وكان - إذا رأى شيئاً ينكره - كشف الخرقة عن وجهه^(١) .

(ج) وفي سنن الدارمي : أنهم كانوا يرون هذه الألحان في القراءة محدثة^(٢) .

(د) وتَمَنَّى الصحابي أبو هريرة الموت مخافة أن تدركه سِنَّةٌ عَدَّ منها أن يتخذ الناس القرآن مزامير^(٣) .

(هـ) ومن كره القراءة بالألحان من التابعين : سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والقاسم بن محمد ، والحسن البصرى ، وابن سيرين ، وإبراهيم النخعي^(٤) .

(و) ومن كرهها من تابعي التابعين : سفيان بن عيينة ، ومالك بن أنس^(٥) . وروى الربيع الجيزي عن الشافعي أن قراءة القرآن بالألحان مكروهة^(٦) . وذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه سأل أباه عن القرآن بالحن ، فكرهها ، وقال : لا ، إلا أن يكون طبع الرجل ، مثل قراءة أبي موسى حَدْراً^(٧) .

لكن أحمد سُئِلَ : أيُهجر من سمع قراءة الألحان ؟ فأجاب : لا^(٨) .

(١) انظر : ابن الحاج : المدخل - ج ١ ص ٧٤ و٧٥ .

(٢) سنن الدارمي - ج ٢ ص ٤٧٤ .

(٣) طبقات ابن سعد ، القسم الثاني ص ٦١ (ط . ليدن ١٣٢٥ هـ) .

(٤) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد - ج ١ ص ١٣٤ .

وابن الحاج : المدخل - ج ١ ص ٧٤ و٧٥ .

وذكر القرطبي في تفسيره - ج ١ ص ١٠ : أنه روى عن القاسم بن محمد أن رجلاً قرأ في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، فطرب ، فأنكر ذلك القاسم ، وقال : يقول الله عز وجل : «وَأَنَّهُ لَكَتَّابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» (سورة فصلت / ٤١ و٤٢) .

(٥) انظر : ابن قيم الجوزية : المرجع السابق ص ١٣٧ .

وابن خلدون : المقدمة - ج ٣ ص ٩٦٨ و٩٦٨ .

(٦) السبكي : طبقات الشافعية - ج ٢ ص ١٣٢ (ط . الطناحي والحلو) .

(٧) كتاب العلال ومعرفة الرجال ، لأحمد بن حنبل - ج ١ ص ٣٧٣ .

(٨) انظر : ابن مفلح : الآداب الشرعية والمنح المرعية - ج ٢ ص ٣٢٦ .

وقد اختتم الماوردي كتابه : (أدب الوزير المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك) بتحذير بناه على حديث نبويّ هو - كما يقول الماوردي - « أوعظ نذير ، وأبلغ تخويف وتحذير »^(١) ، وهو حديث رواه عبد الله بن عبيد ، عن عمير الليثي ، عن حذيفة بن اليان ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وفيه تحديد لأشراط السّاعة ، وإنذار بتوقّع نزول البلاء بالأمة ، إذا وقع الناس في منكرات كبيرة ، كإماتة الصّلاة ، وإضاعة الأمانة ، والاستخفاف بالدماء ، وجاء بين هذه الأشراط أن يتخذ الناس القرآن مزامير^(٢) .

وابن بطة العكبري المتوفى بالعراق سنة ٣٨٧ هـ يرى أن « من البدع قراءة القرآن والأذان بالألحان ، وتشبيها بالغناء »^(٣) .

وابن الكيال الدمشقي المتوفى سنة ٩٢٩ هـ له كتاب « الأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق والكبائر »^(٤) .

(ز) وحتى ابن خلدون المؤرخ الاجتماعي يرى « أن صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه ، ومن ثم لا يمكن اجتماع التلحين والأداء المعتبر في القرآن »^(٥) ويرى « الأخذ بالتلحين البسيط الذي يهتدى إليه صاحب المضمار ، فيردّد أصواته ترديداً ، على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره »^(٦) ، ويرى أن « القرآن محل خشوع ، يذكّر الموت وما بعده ، وليس مقام التذاذ بإدراك الحسن من الأصوات »^(٧) .

(ح) ونذكر هنا رواية تاريخية لافتة هي أن الحارث بن مسكين الذي تولى قضاء قضاة مصر ، في سنة ٢٣٧ هـ ، كان يضرب الذين يقرءون بالألحان^(٨)

(١) ص ٥٨ (ط ١٩٢٩ ، بفقّة مكتبة الخانجي) .

(٢) نفس المرجع .

(٣) انظر : كتابه : الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص ٨٩ .

(٤) انظر : إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم : من إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسماء

الكتب والفنون ص ١٣٦ .

(٥) المقدمة - فصل في صناعة الغناء = ٣ ص ٩٦٨ (ط . على عبد الواحد وافي) .

(٦) نفس المرجع .

(٧) نفس المرجع .

(٨) انظر : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٨٨ و ٢٨٩ .

وقد قال القرطبي المفسر عن القراءة المسرفة في المخالفة إلى الحد الذي تضيع عنده معاني القرآن إنها حرام باتفاق ، وحمل في شدة على مرتكبيها بالديار المصرية « الذين يقرءون أمام الملوك والجنائز ، ويأخذون على ذلك الأجور والجوائز . ضلّ سعيهم ! وخاب عمدتهم ! فيستحلّون بذلك تغيير كتاب الله ، ويهتنون على أنفسهم الاجترار على الله عزّ وجلّ بأن يزيدوا في تنزيهه ما ليس فيه ، جهلاً بدينهم ، ومروقاً عن سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ورفضاً لسير الصالحين فيه من سلفهم ، ونزوعاً إلى ما يزين لهم الشيطان من أعمالهم . وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . . . الخ » (١)

ويبدو أنّ هذه القراءة ظلت - بعد أيام القرطبي - حيناً على حالها ، فقد ضرب ابن الحاج المتوفى بعد القرطبي بستّ وستين سنة مثلاً للقراءة المحرّمة الكثيرة ترديد الأصوات والترجيحات ، والتي تنبهم معها معاني القرآن « ما يفعله القراء بالديار المصرية الذين يقرءون أمام الملوك والجنائز ويأخذون عليها الأجور والجوائز » (٢) .

(ط) ومن الملاحظات التي نظّمها ذات مغزى في هذا الباب أنّ بعض الفقهاء - مع إجازتهم قراءة القرآن بالتلحين بشرط عدم الإفراط في التمطيط والمدّ وإشباع الحركات - يمتارون كتاب الشهادات موضعاً للتحديث عن أصحاب القراءات التلحينية ، وذلك عند الكلام عمّن تُردّ شهادتهم من ساقطى المروءة وأهل اللعب والملاهي ، فكأنّ هؤلاء الفقهاء يجعلون تلحين القرآن بغير شروطه مُسقطاً للعدالة ، وفيه سخف ودناءة ، فمن فعله أو رضيّه لا تحصل الثقة بأقواله ، ومن ثمّ فهو مردود الشهادة ، حكمه حكم لاعب الميسر والتّرد ، والمتمسخر ، والرقاص ، واللاعب بالحمام يطيرها ، ومن يدخل الحمام بغير مئزر ، ومن يخاطب أهل بيته - بحضرة الناس - الخطاب الفاحش ، والشاعر المسرف الكذّاب ، والظفيليّ الذي يأتي طعام الناس من غير دعوة . . . ونحو هؤلاء (٣) .

• • •

فأما الذين أجازوا الألحان في القرآن ، فقد عضدوا رأيهم :

(١) بما سبق أن ذكرناه من أن عمر بن الخطاب كان يقول لأبي موسى الأشعري :

(١) أنظر: القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٦ و ١٧ ، والنور: التذكار في أفضل الأذكار ص ١٢٠ .

(٢) المدخل - ١ ص ٥٠ و ٥١ .

(٣) أنظر مثلاً : موفق الدين بن قدامة : المغني على مختصر الخرق - ١٢ ص ٤٦ - ٤٩ .

ومن قدامة المقدسي : الشرح الكبير المسمّى بالشافعي شرح القنع لموفق الدين بن قدامة

(مطبوع مع المغني) - ١٢ ص ٥٥ - ٥٧ .

ذَكَرْنَا رَبَّنَا ، فَيَقْرَأُ أَبُو مُوسَى ، وَ (يَتَلَا حَن) ، وَأَنْ عَمْرُ كَانَ يَقُولُ : مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَغَنَى بِالْقُرْآنِ غَنَاءَ أَبِي مُوسَى فَلْيَفْعَلْ ^(١) .

(ب) وَرَوَوْا أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَابْنَ مَسْعُودٍ أَجَازَا هَذِهِ الْقِرَاءَةَ ^(٢) .

(ج) وَرَوَوْا أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ وَأَصْحَابَهُ كَانُوا يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ بِالْأَلْحَانِ .

كَمَا رَوَوْا أَنَّ الشَّافِعِيَّ رَأَى ، مَعَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ بِالْأَلْحَانِ . وَقَالُوا إِنَّ هَذَا أَيْضاً هُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ ^(٣) .

(د) وَرَوَى عَنِ ابْنِ جَرِيرٍ أَنَّهُ قَالَ : سَأَلْتُ « عَطَاءً » عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَى الْأَحْوَانِ

الغناء والحدا ، قَالَ : وَمَا بِأَسْ ذَلِكَ يَا بْنَ أَخِي ؟ ^(٤)

(هـ) وَقَالُوا - فِي الرَّدِّ عَلَى مُحَرَّمِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ : - « إِنَّ الْحَرَّمَ لَا يَدَّ أَنْ يَشْتَمَلَ عَلَى

مُفْسَدَةٍ رَاجِحَةٍ أَوْ خَالِصَةٍ ، وَقِرَاءَةُ التَّطْرِيبِ وَالْأَلْحَانِ لَا تَتَضَمَّنُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّهَا لَا تَخْرُجُ مِنَ الْكَلَامِ عَنْ وَضْعِهِ ، وَلَا تَحُولُ بَيْنَ السَّمْعِ وَبَيْنَ فَهْمِهِ » ^(٥) .

* * *

وَقَدْ انْتَهَى صَاحِبُ « زَادِ الْمَعَادِ » - فِي أَمْرِ التَّطْرِيبِ وَالتَّغْنَى بِالْقُرْآنِ - بِحُكْمٍ نُقِرَ

عَلَيْهِ ، هُوَ تَحْسِينُهُمَا إِذَا اقْتَضَتْهُمَا الطَّبِيعَةُ ، وَسَمَحَتْ بِهِمَا ، مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ وَلَا تَمْرِينٍ وَتَعْلِيمٍ ، وَأَنَّ النَّفْسَ تَقْبَلُ هَذَا ، وَتَسْتَحْلِيهِ ، وَأَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ السَّلَفُ يَفْعَلُونَهُ وَيَسْتَمْعُونَهُ ، وَهُوَ الَّذِي يَتَأَثَّرُ بِهِ السَّمْعُ وَالتَّالِي .

أَمَّا مَا كَانَ - مِنْ ذَلِكَ - يَعْلَمُ بِأَنْوَاعِ الْأَلْحَانِ البَسِيطَةِ وَالمُرَكَّبَةِ ، عَلَى إِيقَاعَاتٍ مَخْصُوصَةٍ وَأَوْزَانٍ مَخْتَرَةٍ ، وَلَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّكْلُفِ ، فَهَذِهِ هِيَ الَّتِي كَرِهَهَا السَّلَفُ ، وَأَنْكَرُوا عَلَى مَنْ قَرَأَ بِهَا ^(٦) .

* * *

وَسَمِعَ النِّسَاءَ لِلرِّجَالِ ، إِذْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ ، بِصَوْتٍ حَلَوٍ نَاعِمٍ مَشَوِّقٍ ، لَا حَرَجَ مِنْهُ غَالِباً فِي الْإِسْلَامِ ، فَمَنْ أُنْسَ أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ قَامَ لَيْلَةَ يَصَلِّي ، فَسَمِعَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَانَ حَلَوِ الصَّوْتِ ، فَتَمَنَّيَ يَسْمَعُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ، قِيلَ لَهُ : إِنَّ النِّسَاءَ كُنَّ يَسْمَعْنَ ! فَقَالَ : لَوْ عَلِمْتُ لِحَبْرَتِكُنَّ تَحْيِيراً ، وَلَشَوْقَتِكُنَّ تَشْوِيقاً ! ^(٧)

(١) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ج ١ ص ١٣٥ . (٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٦ ص ٩ .

(٢) نفس المرجع . (٥) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ج ١ ص ١٣٦ .

(٣) نفس المرجع . (٦) نفس المرجع ص ١٣٧ و ١٣٨ .

(٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، المجلد ٢ ص ٣٤٤ و ٣٤٥ (ط . بيروت) .

وقد سئل المرحوم عباس العقاد رأيه في أثر القراءة بالألحان فيمن قد يثير الصوت الجميل نزواتهم ، فقال ، بعد أن حَسَنَ قراءة الترتيل والتفصيل : « . . . ولكن ، ينبغي أن نذكر أن القارئ غير مسؤول عن عوج الطباع واختلال الأمزجة ، فإذا بلغ من سامعة - مثلاً - أنها لا تصغي إلى صوت جميل إلا اقترن عندها بنزوات النفس ، وبلغ من سامع مثل ذلك ، كلما استمع إلى قارئة محسنة ، فالوزر - في ذلك - على الطبع الأعوج ، لا على الصوت الجميل . ومنع المعوج أولى من منع القراءة التي لا ذنب لها إلا أنها مقرونة بالجمال . . . والحلال بين ، والحرام بين ، والدين يُسر ، وليس بعسر ، قبل كل شيء ، وبعد كل شيء » (١) .

• • •

وقد أحب الناس للمصحف المكتوب أن يكون جميل الخط ، وبذلت البلاد الإسلامية في هذا - على مدى القرون - جهوداً باهرة ضخمة . وهذا الجمال هو من بواعث القراءة وميسراتها (٢) .

ولا شك أن الحاجة إلى تجميل القراءة ليست أدنى من الحاجة إلى تجميل الكتابة ، ولا شك أيضاً أن التجميلين يتوافقان على غاية واحدة .

٦

بيد أنه تردّد أن بعض الناس - وخاصّة الموسيقيين - يرغبون في تلحين القرآن تلميحاً تصحبه الموسيقى :

(١) حريدة الأخبار في ٨ يونيو ١٩٥٩ .

(٢) قال أبو الفتح كشاحم ، يصف أجزاء من القرآن ، أبياتاً جميلة منها :

من يتب خشية العقاب فإني	تبت أنأ بهذه الأجزاء
حين جاءت تروقني باعتدال	من قلدو وصبغة واستواء
(سبعة) أشبه لي السبعة الأنجم ذات الأنوار والأضواء
.....
وهي مشكولة بعدة أشكا	لن ومفروءة على أنحاء
فإذا شئت كان (حمزة) فيها	وإذا شئت كان فيها (الكسائي)
.....
.....
فحقق على أن أقرأ الـ	قرآن فيهنّ مُصححي وسائلي

(انظر : الحصري القيرواني : زهر الآداب وثمر الألباب ج ١ ص ١٠١ تحقيق على محمد الجبوري) .

١ - نشرت إحدى المجلات^(١) ، بعنوان : « القرآن والفنون »^(٢) ، مقالا قالت ، في تقديمه ، إن فيه من اللامحات الفنية ما أوجب عليها أن تضعه بين يدي مثنى قرائها . وتضمن المقال :

(أ) أن حقّ تلحين القرآن مقطوع به ، وأنه « يستمدّ شرعية وجوده من هذه القراءات السبع » ، وأنها « في حاجة فقط إلى فنان عربيّ عظيم مثل باخ^(٣) ، وهندل^(٤) ، وهايدن^(٥) في أعمالهم الدينية الرائعة والمعروفة بـ : "Oratorio"^(٦) » .

(ب) وأن خير موسيقى لتلحين القرآن هي موسيقى الكنيسة المصرية التي نجدها في القُدّاس القبطي القديم ، وأن الأذان الإسلامي (الحالي) فيه جزء واضح من هذا القُدّاس القبطي .

(ج) وأنه كثيراً ما يختلط الأمر على كاتب المقال ، فلا يميز « بين صوت مقرئ (عجوز) (كذا) وصوت قسيس قبطي (عجوز) من كنانس الصعيد » (كذا أيضاً) .

(د) وأنه يقترح لتلحين القرآن « آلات موسيقية أساسية هي - بصفة مبدئية - : الناي ، والمثلث ، والأرغن ؛ ولكنه - في خشيته على ما يظهر من أن ترمى فكرته بشيء من الإسراف ، أو في إمعانه ، على ما يظهر أيضاً ، في الاستهتار بالقرآن - استدرك ، أو مضى ، فقال : « وأنا لا أميل إلى إدخال الطبلّة » .

(هـ) وأن القرآن « سيمفونية ضخمة من حركات كثيرة . . . وأقرب السيمفونيات إلى هذه السيمفونية الإلهية : السيمفونية التاسعة التي تنهى إلى تشييد الفرحة برزدد كل الناس » .

(١) مجلة « الأدب » التي كان يصدرها المرحوم الأستاذ أمين الخول - ع . مايو ١٩٥٦ .

(٢) لم تذكر المجلة اسم الكاتب ، واكتفت بأن رمزت له بحرفي : ح . ج . وقد عرفتُ أن اسمه (توفيق حنا) .

(٣) Bach موسيقي ألماني (١٦٨٥ - ١٨٥٠) ، والقليل من أعماله للبيانو ، والكثير والجيد للأرغن .

(٤) انظر : Histoire de La Musique : Bernard Champigneulle ترجمه للعربية ثروت كججك ص ٨٦ - ٩٢ .

(٥) Haendel موسيقي ألماني أيضاً (١٦٨٥ - ١٧٥٩) ، مات في لندن ، وكان قد أصابه العمى ، وله أعمال

كثيرة للأرغن والآلات الأخرى ، مثل الكمان والفلوت والقيثار ، والقليل منها للبيانو .

(انظر : الكتاب السابق ص ٨٣ - ٨٦) .

(٦) Haydn الألماني (١٧٣٢ - ١٨٠٩) ، كتب كثيراً من الألحان الآلية ، واستخدم البيانو كأداة رئيسية في كثير

منها ، وقل من استخدام الأرغن ، فكتب أكثر من ٦٠ سوناتا Sonata للبيانو .

(انظر الكتاب السابق ص ١١٠ - ١١٣) .

(٦) سبق أن ادعى آدم منس Adam Mez - على عادته وعادة بعض المستشرقين في إرجاع أغلب المظاهر والشعائر

الإسلامية إلى أصول مسيحية - أن قراءة القرآن بالتلحين « ربما كانت تقليداً لما جرى عليه النصارى في كنائسهم » (الحضارة

الإسلامية في القرن الرابع الهجري - ج ٢ ص ٩١ (ط . ١٩٤٨ م) .

ومع أنى هنا بسبيل السرد المجرد للأمر التي دعنتى إلى التذكير في جمع القرآن جمعاً صوتياً يحقق - ضمن ما يحقق - وجود التماذج الشرعية للقراءة ، ولست بسبيل مناقشة مثل ذلك الكلام ، فإنه لا مندوحة لى - في غير إخلال بالموضوعية - عن التعقيب ، في إجاز ، على أقوال ذلك الكاتب :

(١) إن الذين عرفوا شيئاً - ولو يسيراً جداً - عن القراءات يدركون بعد ما بين القراءات السبع وبين ما أسماه ذلك الكاتب « شرعية » التلحين الموسيقى للقرآن .

(ب) واختيار الكاتب للموسيقى الكنسية المستعملة في القداس القبطى لتكون مصدراً لتلحين القرآن موسيقياً ، وادعائه بأن الأذان الإسلامى مأخوذ من هذا القداس بشكل واضح ، والادعاء بأن تلاوة القرآن وقراءة القداس سواء . . . هذا كله ترويج لدعاوى بعض المستشرقين المسيحيين الذين يعزون - في تكلف وتعصب - كل المظاهر والشعائر الإسلامية إلى أصول مسيحية ، والذين لا يفتأون يرددون ، في كل مناسبة ، دعواهم الباطلة . يقول جون تاكلى Gohn Takle عن المسلمين - في حقد عليهم ، وعلى قرآنتهم - وهذا مجرد مثل لدعاوى أولئك المستشرقين البعيدة جداً عن العدل والرشد - يقول تاكلى : « يجب أن نستخدم كتبهم - يعنى القرآن - وهو أمضى سلاح في الإسلام ، ضد الإسلام نفسه ، لقضى عليه تماماً ، ويجب أن نرى هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً ، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً » (١) . ويقول أحد دعاة النصرانية واسمه W.S. Nelson ، في حقد مماثل : « إن الإسلام مقلد ، وإن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية ، وسائر ما فيه أخذ من الوثنية كما هو ، أو مع شيء من التبديل » (٢) .

وقد حاول جولد تسيير - استناداً إلى الروايات الضعيفة ، وإلى أخبار بعض المطعون في دينهم وخلقهم ، لدى علماء الجرح والتعديل - حاول أن يثبت أن اليهودية شاركت في تأسيس الفكر الإسلامى (٣) .

وكذلك قال هذا المستشرق - في مجافاة للحقائق الناصعة - إن « تبشير النبي العربى

(١) نقل عن :

Islam and Missions, by : E.M. Wherry, S.M. Zwemer and C.G. Mylrea, N.Y. 1911.

(٢) وانظر : مصطفى خالدى ، وعمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٤٠ .

(٣) نقل عن المرجع السابق .

(٤) انظر : مذاهب التفسير الإسلامى ، (ترجمة عبد الحلیم النجار) ، فهذه المحاولة فيه واضحة .

ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية ، عرفها إذ استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثراً عميقاً^(١) .

على أننا أشرنا قبلاً غير مرة إلى الحديث النبوي الذي ينهى - ضمناً - عن قراءة القرآن بلحون أهل الكتابين ، وهذا - وحده - كاف لدحض الادعاء بوجود صلة بين الألحان القبطية وألحان القرآن ، وكاف لإسقاط القول بأن تكون موسيقى القداوس القبطى مصدراً لتلحين كتاب الإسلام والعربية .

(ح) ووصف القرآن بأنه سيمفونية لها أشباه في سيمفونيات الغرب ، واقتراح استعمال الناي والمثلث والأرغن - بصفة مبدئية - في قراءة القرآن ، ومحاولة تغطية الشطط في هذا ، بقناع ممزق ، هو القول بعدم الميل إلى إدخال الطبله . . . كل هذا يناقض خصائص القرآن ، ولا ينفعه ، وإنما يسىء إليه ، كما سنشرح ، بعد قليل ، وهو - بعد - يصدم شعور أتباع القرآن ، ويؤذيهم في أعظم مقدساتهم .

• • •

٢ - ونشرت الأهرام^(٢) بعنوان : « خمس سور من القرآن تم تلحينها » ما نصه :
« أرسل وكيل وزارة التربية والتعليم إلى صالح أمين مفتش الموسيقى بالوزارة الذى بدأ في تلحين القرآن خطاباً يقول فيه :

إن الوزارة تبارك المشروع ، وإنها مستعدة لدفع تكاليف تكوين فرقة موسيقية ، لتسجيل السور التي تم تلحينها ، وعرضها على هيئة كبار العلماء ، ثم تقديمها للإذاعة .
وقد أبدى عبد الوهاب حمودة عضو لجنة الاستماع بالإذاعة إعجاباه بالسور الملحنة ، بعد أن غناها له على « العود » صالح أمين .

وقد أتم صالح أمين تلحين ٥ سور ، هي : المدثر ، والإنسان ، والنور ، والفرقان ، والأنفال ؛ ويقوم الآن بكتابة « نوتها » الموسيقية .

وسيسبق كل سورة مقدمة موسيقية تصور المناسبة التي نزلت فيها السورة .

ومع أن وزارة التربية والتعليم نفت عاجلاً في بلاغ رسمي^(٣) مباركتها للمشروع ،

(١) انظر : العقيدة والشريعة ، (ترجمة : محمد يوسف موسى ، وعلى حسن عبد القادر ، وعبد العزيز عبد الحق) ص ١١ - ٢٠ .

(٢) في ٧ أغسطس ١٩٥٨ .

(٣) انظر : الأهرام ع ١٣ من أغسطس ١٩٥٨ .

وإسهامها فيه ، وحرصها على « أن يكون للدين مكانة ، وللقرآن المجيد قداسة » ، فإنّ فيها وقفاً - طبعاً - عند ما يخصّها هي ، ولم يتجاوزها إلى الأمور الخطيرة الأخرى التي تضمّنها الخبر .

• • •

٣- ونُشر ، بعد ذلك^(١) ، أن الموسيقار زكريا أحمد سيقوم بمحاولة فنية جديدة « لتلحين القرآن » ، و « أن فكرته هي : تصوير المعاني وضبط الأنغام في الترتيل »^(٢) .

• • •

٤- وذكر العالم السورى مصطفى الزرقا أنه تلقى من أحد الموسيقيين الأجانب الحديثي الإسلام سؤالاً يقول فيه إنه « يريد أن يصوغ بعض سور القرآن في مقطوعات من الموسيقى المجردة الصامتة على طريقة السمفونيات ، بحيث تكون القطعة الموسيقية الواحدة معبرة بألحانها عن السورة الفلانية وتخلدها في لحن فني » . ويسأل السائل : « هل هذا العمل مستحسن من الناحية الإسلامية ؟ »^(٣)

وعندى أن قراءة القرآن - على الآلات الموسيقية - تمسّ قداسته ، وتخلط بصوته القدسي

(١) انظر الأخبار ع ١٢ من أكتوبر ١٩٥٩ .

(٢) تقتضي الأمانة أن أذكر أن المرحوم زكريا أحمد زارني في بيتي ، بصحبة الصديق المرحوم علي أحمد باكثير ، ورجاني الإذن له في الاشتراك - بأي قدر - في تسجيل أحد المصاحف المرتلة بصوته .

وتلا - ليها - آيات من سورة الزمّل ، كنموذج للتلاوة التي يُؤثّر بها . وكان - في تلاوته - يلتزم قواعد التجميد ، ولكنها كانت أقرب إلى الإلقاء التمثيلي .

ولا أريدت ملاحظاتي على أسلوبه في التلاوة تلقاها بالرضى ، وقال في امتثال : علموني ، وعلى أن أنقل ، وقال : كل قصدي أن تكون تلاوتي معبرة عن المعاني .

وذكر - وهو يضحك - أنه سمع قارئاً - يتلو بغير فهم - قوله تعالى : « سَأَصْلِيهِ سَقَرًا ، وما أدراك ما سَقَرًا لا تبق ولا تنثر » (المدثر / ٢٦ و ٢٧ و ٢٨) ، وكانت القراءة بهيجة إلى درجة جعلتها أقرب إلى تصوير شيء جميل منها إلى تصوير انثار ، وأهوالها المخوفة ، فصاح زكريا : يا ناس ! ما دامت سَقَرًا بالشكل الجميل دا وباللغة دى : خلوني فيها !

ولقي زكريا ربه ، بعد أسابيع قليلة من الزيارة التي ذكر فيها أن الاشتراك في تسجيل المصحف المرتل هو من أغلى أمنياته . جزاه الله صالحاً على نيته .

ورحم الله « علي أحمد باكثير » الذي وافته المنون بعد سنوات من ظهور الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، والذي كان

يقدر فكرة (الجمع الصلوي الأول للقرآن) حتّى قدرها .

هذا ، والقراءة التي أسَمَّها (المعترّة) هي التي توأم المعنى وتظهره ، على نحو ما ذكرتُ قبلاً ، في نفس هذا الفصل ، وبشرط أساسي هو أن تناسب جلال القرآن وقديسه ووقاره ، وتستوفي كلّ أحكام التلاوة الشرعية .

(٣) انظر : العبادة في الإسلام لا يجوز أن تصحبها الموسيقى - بحث في مجلة الأزهر ع . المحرم ١٣٨٠ ص ٩٠ . وقد أفتى الزرقا بأن العمل موضوع السؤال لا يجوز شرعاً ، وسفّصل القول في هذا الآن بإذن الله .

أصوات المعازف ، وقد تُصَرِّف السامع عن تدبّر المعاني والتأثر بها إلى الاستمتاع بالموسيقى ، وأنغامها ، وإيقاعاتها ، وقد تقحم - في القرآن - حركات ، وتترع منه حركات ، فمثلاً ، قد تمدّ المقصور ، وقد تقصر الممدود ، بل قد تحدث مالا أصل له . وهذا يُفَضِّي غالباً إلى تغيير المعاني ، أو - على الأقل - وقوع اللبس فيها . ومثل هذا حقيق - من الناحية الدينية - أن يفسق صانعه ، ويؤثّم سامعه .

ثم ما جدوى قراءة القرآن على المعازف ، وهو - كما أشرنا آنفاً - له موسيقاه الخاصة ، وليس كالكتب الدينية الأخرى التي تستعين الموسيقى من الخارج ، لتظهر معانيها وتكمل نقصها ؟

والله تعالى يقول مؤنباً قريشاً في جاهليتها ومتوعداً إياها : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّةً فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون »^(١) .

أي ما كانت تلك العبادة - عندهم - إلا عملاً يأخذ شكلاً موسيقياً خاصاً :

فالمكاء هو الصفير على لحن طائر في ضرب القنبرة يقال له المكاء (بالضم والتشديد) ، سُمِّي بذلك لأنه يجمع يديه ، ثم يصفرّ فيهما صفيراً حسناً^(٢) .

وقيل : المكاء هو أن يجمع بين أصابع يديه ثم يدخلها في فيه ، ثم يصفرّ بها^(٣) .

وقيل : هو الضرب بالأيدى . قاله قتادة^(٤) .

والتصديّة : هي الصفير . قاله مجاهد ، والسدّي ، وابن عمر^(٥) .

وقيل : التصديّة : الصياح . قاله قتادة^(٦) .

ويقول ابن عباس : كانت قريش في جاهليتها تطوف بالبيت عراة يصفقون ويصفرون ، فكان ذلك عبادة في ظنهم^(٧) .

والآية الكريمة - كما هو واضح - تفيد أن الله تعالى سيعاقب هؤلاء الكفار بما اقترفوا من أعمال منكرة ذكرها قبل هذه الآية ، وبما أعطوا عبادتهم من لون موسيقى غير مشروع .

(١) سورة الأنفال / ٣٥ .

(٢) انظر : لسان العرب - (مكا) - ٢٠٠ ص ١٥٨ .

(٣) انظر : نفس المرجع .

(٤) انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٤٠٠ .

(٥) نفس المرجع .

(٦) نفس المرجع .

(٧) نفس المرجع .

وكما يقول الزرقا : « انتشرت قبل الإسلام وبعده إلى اليوم طرائق التعبّد بالموسيقى ، واختلطت الأحاسيس والمشاعر الفنيّة الجميلة وما ينشأ عنها من نشوة وطرب ، وامتزجت بالعبادة ومناجاة الله ، بينا أنّ الأحاسيس الفنيّة والعبادة هما أمران متباينان .

وإذا أصبحت العبادة موسيقى وأنعاماً حقاً للفاقد في الملاهي أن يعدّ نفسه متعبداً بالنشوة والإحساس الفني من الموسيقى التي يسمعها في الملهى كمن يسمعها في المعبد » (١) .

وقد خاف الزرقا - فيما لو اصطحبت العبادة موسيقى خارجية - من أن يغيب العمل العقليّ التبعديّ « تحت رداء النشوة الفنيّة ، فيخرج من حيز العبادة والفكر السامى إلى حيز الطرب الذى يكون حظّ الحسّ فيه أكبر من حظّ العقل ، كما قد يكون حظّ غير المتعبّد فيه أوفى من المتعبّد ، فيضيع معنى العبادة » (٢)

• • •

لقد دعانى هذا كله إلى اختيار طريقة الترتيل المرسل ، في تسجيل المصاحف المرتنة ، والنص عليها في أحاديثنا ، مع المسؤولين ، حسبما أوضح شيخ الأزهر في بيانه الرسمى (٣) ، آمليّن أن تكون هذه المصاحف نماذج ممتازة يقرأ المسلمون على نَسَقِها ، في سهولة ويسر . هذا ، والقراءة سنّة ، والثابت : أن النبي (ص) كان يقرأ القرآن مترسلاً .

V

ومنذ قديم ، والابتداع الصوقى الخارج عن قواعد الأداء يثير نقد الناقدين : يقول الجاحظ ، في حديث عن اللحن : « . . . ثم اعلم أن أقبح اللحن : نحن أصحاب التصغير ، والتعقيب ، والتشديق ، والتمطيط ، والجهورة ، والتضخيم ؛ وأقبح من ذلك : لحن الأعراب النازلين على طرق السائلة ، ويقرب مجامع الأسواق » (٤) . ولا ريب أن هذا الخروج - إذا كان متعلقاً بالقرآن - هو أحرى بالشأن والمنع .

(١) مصطفى أحمد الزرقا : المقال السابق .

(٢) نفس المقال .

(٣) انظر : مجلة الأزهرع . أبريل ١٩٥٩ ص ٩٢٦ .

(٤) انظر : مستند أبى عوانة ج ٢ ص ١٣٥ و ١٣٦ .

(٥) البيان والتبيين ج ١ ص ١٥٩ (بتحقيق حسن السندي) .

وكذلك انتقد ابن قتيبة التكلف والشذوذ في : المدّ المفرط ، والتشديد المتعب . الخ (١) :

• • •

ومن المبتدعات الصوتية التي تناهى جلال القرآن ، ونخرج عن قواعد أدائه ، وتناوله بشيء من التحريف ، وتعوق - بالضرورة - حسن فهمه وتدبره والتأثر به ، والتي كانت من بواعث التفكير في الجمع الصوتي للقرآن ، ومن موجّهات التخطيط لتسجيل المصاحف المرتلة الأئمة :

١ - القراءة بالترعيد :

وهو أن يرعد القارئ صوته ، كأنه يرعد من برد ، أو ألم أصابه (٢) .

٢ - القراءة بالتطريب المفسد للمعنى :

وهو أن يترنم القارئ بالقرآن ، ويتنغم به ، على نحو من شأنه أن يمدّ في غير مواضع المدّ ، ويزيد في المدّ على ما لا ينبغي (٣) .

٣ - القراءة بالتحزين المصطنع :

وهو أن يأتي القارئ بتلاوته ، على وجه فيه حزن وتباكٍ متكلفان هما مظنة الرياء (٤) :

٤ - القراءة بالترقيص :

ومعناه : أن يرقص القارئ صوته بالقرآن ، فيزيد في حروف المدّ حركات ، بحيث يصير كالمتكسر الذي يفعل الرقص (٥) .

وقيل : القراءة بالترقيص هي أن يروم القارئ السكت على الساكن ، ثم ينفر عنه ، مع الحركة ، في عدوٍ وهوولة (٦) .

(١) انظر : ابن مطرف الكناني : القرطين ص ١٥٠ - ١٥٤ .

(٢) التهانوي : كشف اصطلاحات الفنون ، مجلد ٢ ص ٥٥٢ .

والسيوطي : الإبتقان ج ١ ص ١٠١ .

(٣) التهانوي : المرجع السابق مجلد ٢ ص ٩٠٠ ، والسيوطي : المرجع السابق .

(٤) السيوطي . المرجع السابق .

وأذكر في هذه المناسبة أن المرحوم المطرب محمد فوزي صاحب مصنع الشرق للأسطوانات الذي كنت اتفقت معه على طبع تسجيلات الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ، قبل أن تتولى طبعه وزارة الأوقاف ، عرض على مرة - بحسن نية - أن يسبق التسجيل القرآني صوت موسيقى قريب من صوت الصلى ، وقال إن ذلك سيزيد القراءة تأثيراً وشجى ، فرددت في الحال بما دقن الفكرة الخاطئة دفناً .

(٥) على الضباغ : مبتدعات القراء في قراءة القرآن الكريم - مجلة كنوز الفرقان ع . ربيع الأول ١٣٦٨ .

(٦) التهانوي : المرجع السابق مجلد ١ ص ٥٦٣ ، والسيوطي : الإبتقان ج ١ ص ١٠٢ .

٥ - القراءة بالتحريف :

وهو ما أحدثه الذين يجتمعون ، ويقرءون بصوت واحد ، فيقطعون القراءة : ويأتى بعضهم ببعض الكلمة ، والآخر ببعضها الآخر ، ويحافظون على مراعاة الأصوات .
تحدّث على بن سلطان القارى عن هذه القراءة ، فقال :

« ومن القراءة المنهية ما أحدثه الجماعة الأزهرية ، حيث يجتمعون ، فيقرءون بصوت واحد ، ويقطعون القرآن ، فيأتى بعضهم ببعض الكلمة ، والآخر ببعضها ، ويحذفون حرفاً ، ويزيدون آخر ، ويحركون الساكن ، ويسكنون المتحرك ، وأمثالها ، ويمدّون تارة ، ويقصرون تارة ، فى غير محالها ، مراعاة للأصوات خاصّة دون أحوالها ، مع أن الغرض الأهم من القراءة إنما هو تصحيح مبانيها ، لظهور معانيها بما فيها » (١) .

٦ - القراءة باللين والرخاوة فى الحروف ، وكونها غير صلبة ، بحيث تشبه قراءة الكسلان (٢)

٧ - النّفّر بالحروف عند النطق بها ، بحيث يشبه القارئ المتشاجر .

٨ - تقطيع الحروف ، بعضها من بعض ، بما يشبه السكت ، خصوصاً الحروف المظهرة ، وذلك بقصد زيادة بيانها .

٩ - إشباع الحركات ، بحيث يتوكّد منها حرف مدّ ، مع ما فى ذلك من إفساد للمعنى .

١٠ - مبالغة القارئ فى القلقة فى حروفها ، حتى يبلغ بها مرتبة الحركة .

١١ - إعطاء الحرف صفة مجاوره ، قويّة كانت أو ضعيفة .

١٢ - تفخيم الراء الساكنة ، ولو كان قبلها ما يوجب ترقيقها .

١٣ - إشراب الحرف بغيره .

١٤ - إشباع حركة الحرف الذى قبل الحرف الموقوف عليه .

١٥ - تحريك الحروف السواكن كعكسه .

١٦ - زيادة المدّ فى حروفه ، على المدّ الطّبعى ، بلا سبب .

١٧ - المبالغة فى إخفاء الحروف بحيث يشبه المدّ .

١٨ - النقص عن المدّ الطّبعى فى حروفه .

(١) السيوطى : المرجع السابق .

(٢) المنع الفكرية على متن الجزرية ص ٢٨ .

(٣) انظر - فى شأن هذا العيب والغريب التالية - على الضباع : البحث السابق .

١٩- ضمّ الشفتين ، عند النطق بالحروف المضممة المفتوحة ، لأجل المبالغة في التضميم .

٢٠- شوب الحروف المرقّقة شيئاً من الإمالة ، ظناً من القارئ أن ذلك مبالغة في التريق .

٢١- مدّ ما لا مدّ فيه ، كمدّ واو « مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ »^(١) وصلاً وياء « غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ »^(٢) ، (لأنّ الواو والياء - إذا انفتح ما قبلهما - كانا حرفيّ لين لامتدّ فيهما) .

٢٢- تشديد الهمزة إذا وقعت بعد حرف مدّ ، كما في كلمتي : « أَوْلَيْكَ » و « يَا أَيُّهَا » ، بقصد المبالغة في تحقيقها وبيانها .

٢٣- لوك الحروف ، كما يفعل السُّكران ، فإنه - لاسترخاء لسانه وأعضائه نتيجة السُّكْرِ - يفقد الفصاحة في كلامه .

٢٤- المبالغة في نبر الهمزة وضغط صوتها ، حتى تشبه صوت المتقيّ .

٢٥- ترك التجويد مطلقاً :

وهذا ملاحظ - الآن - في نسبة كبيرة من أبناء هذا الجيل . وهو أمر خطير من وجهة النظر الإسلامية ، وقد وُصف فاعله بأنه آثم :
تقول الجزرية قولتها المشهورة :

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يُجَوِّدِ الْقُرْآنَ آثِمٌ
لأنه به الإله أنزلا وهكذا منه إلينا وصلّا

ويقول برهان الدّين القلقيلي - في شرحه على متن الجزرية - : « وقد صح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سمى قارئ القرآن بغير تجويد : فاسقاً ، وهو مذهب إمامنا الشافعي - رضى الله عنه - لأنه قال : إن صحّ الحديث فهو مذهبي ، واضربوا بقولي عرض الحائط »^(٣) .

فشا هذا كله ، على نحو جذير أن يزعج الحريصين على بقاء القرآن سليماً من حيث الأداء أيضاً .

(١) سورة الفاتحة / ٤ .

(٢) سورة الفاتحة / ٧ .

(٣) انظر : محمد مكّي نصر : نهاية القول المفيد في علم التجويد ص ١٠ .

وفشا هذا كله ، على نحو خليق أن يذكرنا بما جاء في « نهج البلاغة » منسوباً إلى علي ابن أبي طالب من أنه سيأتي زمان « ليس عند أهله سلعة أبور من الكتاب إذا تلى حق تلاوته ، ولا أنفق منه إذا حُرّف عن مواضعه » (١)

وزاد الأمر خطراً أن الممارسة في الأمور الصوتية يسيرة ، كما ذكرنا من قبل ، وأن هذه المبتدعات قد يقع بعضها في المحارِب ، فتكون واسعة الأثر ، وبعضها أصبح - لدى بعض القراء - أساساً في القراءة في المآتم والمحافل ، أو لدى بعض الصوفية في مجالسهم ، أى أن الخطأ يصدر من جهات قيادية تجعل انتشاره مرجحاً بل مؤكداً .

• • •

وتمنيت وسيلة عملية سهلة تكفل تعميم قراءة القرآن ، على نحو خال من كل تلك العيوب والمبتدعات ، وتعطى الحروف حقوقها ، وتردّها إلى مخارجها وأصولها (٢) .

وتمنيت أن لا تخرج هذه الوسيلة ، في الوقت نفسه ، عن السّنة المتبعة والقواعد الماثورة منذ عهد النبوة ، من إبراز المعنى ، بحيث يؤثر في السامع ، إلى أبعد مدى ، وهو ملا يقع غالباً إلا إذا كان القارئ مستحضراً بعقله وقلبه معاني ما يقرأ ، وإلا إذا أوضح بصوته - عن فهم - ما يليق بكل آية (٣) ، وكما يقول ابن قيم الجوزية : « تلاوة المعنى أشرف من مجرد تلاوة اللفظ ، وأهلها هم أهل القرآن الذين لهم الثناء في الدنيا والآخرة ، فإنهم أهل تلاوة ومتابعة حقاً » (٤) .

ولفتنتي التوصيات الدائبة بالعمل على « جمع التراث الغنائى العربى بمختلف أنواعه ، وتسجيله ، وتدوينه - نصّاً ولحناً - إبقاءً عليه من الضياع » ، والتوصية بالعناية بجمع التراث

(١) ج ٢ ص ١٠٣ .

(٢) لم أشرط في مسجلى المصاحف المرتلة أن يكونوا - فحسب - من أصحاب الأصوات التنجيمية المتأثرة . ولذلك لما كتبت - باسم وزارة الأوقاف - صيغة الإعلان عن مسابقة قرآنية عامة ، لاختيار عدد من القراء لتسجيل القرآن برواية ورش عن نافع ، اشترطت - لدخول هذه المسابقة - أن يكون المتقدم مجازاً في القراءات من شيخه إجازة كتابية ، أو متخرجاً في معهد القراءات التابع للأزهر ، وأن يكون عارفاً بوسائل القراءات ، وأعلنت - باسم الوزارة - أن المتسابقين سيتمحنون شفويّاً في الحفظ والأداء والأحكام ، على ما في الكتب المتخصصة ، وبعد هذا يؤدى التاجحون بامتياز في هذه المسابقة امتحاناً صوتياً أمام لجنة فنية أخرى .

(٣) انظر في هذا : ابن قدامة المقدسى : مختصر منهاج القاصدين ، لابن الجوزى ص ٤٣ - ٤٥ .

(٤) مفتاح دار السعادة ، منشور ولاية العلم والإرادة ج ١ ص ٤٤ .

العلمي الغنائي من مخطوطات عربية أو بحوث تتصل بهذه الناحية^(١) ، فذكرت أن القرآن - وهو أعزّ موارث المسلمين ، وأجلّها - أوّلى بمثل هذا العمل ، بل أوّلى بأعظم من هذا العمل ، فقلت ، في مذكرتي الأولى عن هذا المشروع :

« ولقد عُنيت الهيئات الثقافية في الإقليم المصري بتسجيل الأناشيد والأغاني ، ولذلك ليس غريباً أن نسمع شبابنا وصبياننا يكثرّون ترديد هذه الأناشيد والأغاني ، مع ما في عبارات الأغاني - أحياناً - من معان غير باعثة ولا نظيفة ، ولا ريب أن كلام الله المكنون أحقّ بهذه العناية ، وبما هو أكثر منها . »

قلت هذا ، وتمثّلتُ أمّنتي في نماذج صوتية للترتيل الشرعي بشروطه تلك ، وأحسست الحاجة مائة جداً إلى هذه النماذج ، لتكون مثل مصاحف عثمان أئمة يُقتدى بها ، ويُرجع - عند الشك والنسيان - إليها ، ويُحتكم - عند الاختلاف - لديها ، وينقطع التزاع عندها . ولعل مشروع الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ، حين يتم بكل مخططاته التي وضعناها ، أن يحقق الأمانة ويسدّ الحاجة .

(١) انظر مثلاً : توصيات الحلقة الثانية لبحث المرسى العربية في المدة من ١١/٢٦ إلى ١٢/١٨ إلى ١٩٦٣ ، بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ص ٧٥ .

الفصل الثاني

تيسير القرآن للحفظ والتعلم

١

يهم المسلمون - منذ كانوا - بتعليم أولادهم القرآن :

يقول عبد الملك بن مروان المؤدب ولده : « علمهم الصديق كما تعلمهم القرآن »^(١) .
وهشام بن عبد الملك يقول لسليمان الكلبي لما اتخذه مؤدباً لابنه : « . . . وأول ما أوصيك به : أن تأخذه بكتاب الله ، ثم روه من الشعر أحسنه . . . الخ »^(٢) .
والرشيد يقول للأحمر معلم ولده الأمين وليّ عهده : « . . . فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين : أقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار »^(٣) .
وتعليم القرآن شعار من شعارات الدين ، أخذ به المسلمون ، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم ، وجعلوه أصل كل تعليم عندهم^(٤) .
والقرآن مطلوب الحفظ لفظاً ومعنى ، بل إن فهم المعنى والأخذ به لا يكونان إلا عن طريق تلاوة الألفاظ أو استماعها ، ثم تدبرها والتدكر بها .
وقد أوجب الإسلام على كل مسلم أن يحفظ شيئاً من القرآن ، حتى تصح صلاته ، والصلاة - في الإسلام - هي أحد أركانه .

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار ج ٢ ص ١٦٧ .

(٢) الراغب الأصفهاني : محاضرات الأدباء ج ١ ص ٢٩ .

(٣) البيهقي : المحاسن والمساوئ ص ٦١٧ .

(٤) انظر : صديق حسن خالدة : أجدد العلوم المسمى بالوشى المرقوم ص ٦٦ وما بعدها .

وقد جرت عادة كثير من المسلمين على الابتداء بتعليم الصغار القرآن ، حين يمضي عليهم أربع سنين ، وأربعة أشهر ، وأربعة أيام ، حتى ظنَّ أن لهذا أثراً في الحديث أو السلف^(١) . ولئن كان مالك - فيما قيل - كره التعجيل بتعليم الطفل القرآن ، فلعله لم يكره ذلك إلا « خشية أن ينطق به على خلاف ما ينبغي له من إقامة الحروف وإخراجها من مخارجها ، أو أن في إعجاله منعاً من الذي ينبغي أن يُفسح له فيه من اللهو المقيم لبنيّة الأطفال المروء لأنفسهم »^(٢) .

على أن الأخبار التعليمية - عند المسلمين - تفيد أن كثيرين حفظوا القرآن في سنِّ باكورة . ومن ذلك ما ذكر من أن الشافعي حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين^(٣) ، وما ذكر من أن جلال الدين السيوطي حفظ القرآن وله دون ثمان سنين^(٤) .

وما جرت عليه عوائد المسلمين من أخذ الصبي بكتاب الله في أول أمره ، حتى لو كان يقرأ ما لا يفهم ، يعزوه صاحب « أبعاد العلوم » إلى « إيثار التبرك والثواب ، وخشية ما يعرض للولد ، من جنون الصبا ، من الآفات والقواطع عن العلم ، فيقوته القرآن »^(٥) . ويقول مفسرو المسلمين ، عن النبي « يحيي » ، في قوله تعالى : « وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا »^(٦) : « أراد بالحكم فهم الكتاب ، فقرأ التوراة وهو صغير »^(٧) . ورووا أن بعض السلف قال : « من قرأ القرآن - قبل أن يبلغ - فهو ممن أوتي الحكم صبيًّا »^(٨) .

(١) محمد طاهر الفتى : مجمع بحار الأنوار ج ٢ ص ٥١٣ .

(٢) انظر : الكتاني : الترتيب الإدارية ج ٢ ص ٢٩٣ و ٢٩٤ .

(٣) ابن هداية الله الحسيني الملقب بالمصنف : طبقات الفقهاء الشافعية ص ٣ .

(٤) السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ج ١ ص ١٤٠ (ط . المطبعة الشرقية سنة ١٣٢٧ هـ) .

(٥) ص ٦٦ .

(٦) سورة مريم / ١٢ .

(٧) انظر : الخازن : ليلاب التأويل في معاني التنزيل ج ٣ ص ٢٨٤ .

(٨) انظر : نفس المرجع .

واختلفت مذاهب البلاد الإسلامية ، في طريقة تعليم القرآن للصبي ، ولكنها كلها ترمي إلى التمكين له^(١) ، وسنوا للمحفظين آداباً ، ورسموا لهم مناهج ، وشرطوا فيهم شروطاً^(٢) .

• • •

والبلاد الإسلامية - على مسار الزمن ، وجيلاً بعد جيل - ما برحت تنشئ ، في مدائنها وقراها ، ألوف الكتاتيب والمدارس القرآنية .

وفي القصة الطريقة لتاريخ تقرير الراحة الأسبوعية لتلاميذ المكاتب أن الصحابة كانوا - قبل ولاية عمر بن الخطاب - « إنما يقرئ الرجل ابنته وأخاه الصغير ، ويأخذ الكبير عن الكبير مُفَاهَمَةً » ، فلما كثرت الفتوحات ، أمر عمر ببناء المكاتب ، « وكانوا يسمون مدون القراءة في الأسبوع كله ، فلما فتح عمر الشام ، ورجع للمدينة ، تلقاه أهلها - ومعهم الصبيان ، وكان اليوم الذي لا قوة فيه يوم الأربعاء ، فظلوا - معه - عشية الأربعاء ، ويوم الخميس ، وصدر يوم الجمعة ، فسئل لصبيان المكاتب الراحة ، في هذه الأوقات ، ودعا على من عطل هذه السنة^(٣) .

• • •

ويبدو أن تعليم القرآن موغل - منذ قديم - في كل بقعة إسلامية إيفالاً يفوق الظنون ، فقد حكى ابن خردادبة^(٤) - في حديثه عن سدّ بأجوج ومأجوج - أن الخليفة الواثق بالله أراد أن يستخبر خبر هذا السدّ ، فأوفد « سلام الترجمان » لهذه المهمة ، ومعه خمسون رجلاً : شباب أقوياء ، وحكى سلام ، فقال : « . . . فأقمنا عند ملك الخزر يوماً ويلة ، حتى وجه معنا خمسة أولاد ، فسرنا من عنده ستة وعشرين يوماً ، فانتبهنا إلى أرض سوداء منتنة الرائحة ، وكنا قد تزودنا - قبل دخولنا - خلاً نشمّه من الرائحة المنكرة ، فسرنا فيها عشرة أيام ، ثم صرنا إلى مدن خراب ، فسرنا فيها عشرين يوماً ، فسألنا عن حال تلك المدن ، فخبّرنا أنها المدن التي كان بأجوج ومأجوج يتطرقونها ، فخرّبوها ، ثم صرنا إلى حصون ، بالقرب من الجبل الذي في شعبة منه السدّ ، وفي تلك الحصون قوم يتكلمون العربية والفارسية مسلمون يقرأون القرآن ، وهم كتاتيب ومساجد . . . إلخ » .

(١) انظر : صديق حسن خالده : أبعاد العلوم ص ٦٦ وما بعدها .

(٢) انظر : ابن عديون : رسالة في القضاء والحبة ص ٢٤ .

(٣) الكتاتيب : التراتيب الإدارية ج ٢ ص ٢٩٣ و ٢٩٤ .

(٤) انظر كتابه : المسالك والممالك ص ١٦٢ - ١٧٠ .

والمسلمون يعتبرون تعليم القرآن ، والبذل من أجله ، من أول وسائل التقرب إلى الله ،
ولذلك ، وقف أثريائهم الكثير من أموالهم على هذا التعليم .

وفي مصر بالذات ، « كان مقراً ورش : شيخ القراء ، وإمام أهل الأداء »^(١) ، وفيها ،
كانت معاهد الإقراء الكبرى التي خدمت القرآن وعلومه ، والتي كانت تتجاوز الألفين في
القاهرة وحدها ، ما بين كتابيب ومقارئ مفرقة في المدارس ، والمساجد ، والزوايا ، والمشاهد ،
والتكايا ، والملاجئ ، والمستشفيات^(٢) .

وما برح القرآن يرتل في المحارب ، والمحافل ، وفي مناسبات كثيرة ، وكانت الرسوم
تجرى قديماً - في جوامع مصر - إذا سلم الإمام من صلاة الغداة ، أن يتلو القرآن^(٣) .
ويعتقد المصريون « أن قراءة القرآن - في البيوت ، أو في الدكاكين - تجلب إليها البركة
وتبعد الشياطين »^(٤) .

وفي حديث حذيفة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن القوم يبعث الله عليهم
العذاب حتماً مقضياً ، فيقرأ صبيٌ من صبيانهم في الكتاب : « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ »
فيسمعه الله تعالى ، فيرفع عنهم - بذلك - العذاب أربعين سنة »^(٥) .

يقول ابن حجر : « ولهذا الحديث شاهد ، في مسند الدارمي ، عن ثابت بن عجلان ،
قال : كان يقال : « إن الله ليريد العذاب بأهل الأرض ، فإذا سمع تعليم الصبيان بالحكمة
صرف ذلك عنهم ، يعني بالحكمة : القرآن »^(٦) .

والولد الحافظ للقرآن - حتى في رأى البسطاء الآخذين أحياناً بالكتب التافهة - هو

(١) ابن الجزري : غاية النهاية ج ١ ص ٥٠٢ و ٥٠٣ .

(٢) على الصباغ شيخ المقارئ المصرية ، في خطبة له ، في حفل للجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم -

مجلة كنوز القرآن ع . أبريل ١٩٤٩ .

(٣) انظر : المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٢٠٥ .

(٤) أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد والتعبير المصرية ص ١٢٤ و ١٢٥ .

(٥) انظر : ابن حجر العسقلاني : الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ص ٣ .

والفخر الرازي : التفسير الكبير ج ١ ص ١٨٨ .

(٦) نفس المرجع .

هدية الله لأبويه يسرهما به ، ويرحمهما به ، في الدنيا والآخرة^(١) .

وظل حفظ القرآن ، في مصر ، إلى وقت قريب ، هو رأس الواجبات التي يُكَلَّفُها النشء في المرحلة التعليمية الأولى ، فكانت المادة الرئيسية العالية ، في سائر الكليات والمدارس الأولية ، هي حفظ القرآن مجوداً ، وكانت المواد الدراسية الأخرى - فوق كونها ثانوية - تقصد إلى خدمة هذا الحفظ .

والذين كانوا « يَحْتَمُونَ » القرآن في هذه المدارس والكليات ، كانوا بمثابة « شتلات » صالحة تُنْقَلُ إلى أرض الأزهر ، فيزكو نباتها . ولم تكن أبواب مدارس المعلمين الأولية ، والأزهر ، ومعاهده ، ودار العلوم وتجهيزاتها ، ومدرسة القضاء الشرعي تفتح أبوابها لغير حافظي القرآن المجودين .

٤

غير أن التعليم الرسمي - في مصر - قام ، منذ أواخر الثلاثينات من هذا القرن ، على أساس الوحدة العامة ، وأخذ بالنظام المدني الذي لا يلتزم بتحفيظ القرآن وتجويده ، بل يكتفى منه ببعض الآيات والسور القصيرة تُحفظ وتُدرس دراسة سطحية ، في حصص الديانة ، وهي حصص قليلة العدد ، ولا يعابها الطلبة كثيراً ، لأنهم لا يؤدّون في مقرراتها امتحاناً مَرَجُواً أو مَحْشِيّاً . ولهذا ، قل ، أو انعدم - في ذلك النظام التعليمي - التفرغ لحفظ القرآن وتجويده .

فأما كتابت القرآن ومدارسه ، فقد صُرفُ النشء عنها - بالضرورة - إلى التعليم المدني الذي كان - على الأغلب - سبيل الظفر بالشهادات الموصلة إلى كل أو جلّ الوظائف العامة . وبقيت هذه الكليات والمدارس بقايا متواضعة تضم من يذودهم عنه التعليم العام ، لعاهات جسمية ، أو لأسباب أخرى^(٢) .

وأغضى الأزهر مضطراً عن الشرط الذي التزمه طول عمره ، وهو شرط حفظ القرآن عند كل راغبي الالتحاق به ، فقبِل - في معاهده وكلياته - مَنْ لا يحفظون القرآن ، وإن كان اشترط - لصيانة الشكل فيما نظن - حفظ أجزاء يسيرة منه .

على أن من دواعي الأمل في المستقبل صدور القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن تنظيم

(١) أبو معشر الكبير - المولدون في برج الحمل والمربخ ص ١٤ .

(٢) انظر : جبهة علماء الأزهر : مذكرة بشأن حفظ القرآن الكريم ص ٢ (مطبوعة في سبتمبر ١٩٥٩ م) .

الجامع الأزهر والهيئات التي يشملها ، فهو - كما تفيد المذكرة الإيضاحية لمشروعه - يستهدف تأهيل العالم الديني للتخصص في عمل من أعمال الخبرة والإنتاج التي تحتاج إليها نهضة المسلمين في كل البلاد ، محاولاً بذلك علاج مشكلة التبطل بين خريجي الأزهر ، وما تستتبع من آثار سيئة كثيرة (١) .

ويُعنى هذا القانون ، في الوقت نفسه ، بالاحتفاظ للأزهر بطابعه وخصائصه ، وصفته التاريخية المتميزة ، وإبقائه - كما كان منذ أكثر من ألف سنة - حصناً للدين والعروبة : « يرتقى به الإسلام ، ويتجدد ، ويتجلى في جوهره الأصيل ، ويتسع نطاق العلم به ، في كل مستوى ، وفي كل بيئة ، ويزداد عنه كل ما يشوبه وكل ما يُرمى به » (٢) .

ونعتقد أنّ في رأس ما يكفل كلّ هذه الأغراض أن يلتزم أبناء الأزهر بحفظ القرآن الحفظَ الشاملَ الحقيقيّ الذي طالما امتاز به علماء الأزهر .

فأما مدارس المعلمين الابتدائية ، وكلية دار العلوم ، فقد أصبحت جميعاً لا تشترط حفظ القرآن . وأما مدرسة القضاء الشرعي فقد زالت مبكراً من الوجود التعليمي المصري .

• • •

وبذل المعنيون بالقرآن جهوداً كبيرة في محاولة تعميم حفظه ، وإنشاء مدارس وجمعيات ، في أغلب أرجاء مصر ، لتعليمه (٣) . ولكن تيارات التعليم المدني الكفيل بتفوق أصحابه -

(١) انقطع الأزهر عن الحياة العامة طويلاً (انظر : طه حسين : مستقبل الثقافة في مصر ص ٣٥٠ - ٣٥٦) . وكان من آثار هذه العزلة ، وخاصة بين أهل القرآن ، أن اضطرب بعض الناس إلى الانصراف عنه . وقد عثرنا في عدد قديم من « نور الإسلام » التي كانت تصدرها مشيخة الأزهر على نصّ سؤال موجه إلى هذه المجلة ، ومنه يتبين كيف كانت النفوس موزعة بين رغبة في دراسة ظاهرة النفع في الدنيا ، وخشية من أن يكون ترك تعلم القرآن مخالفاً للشرع . وهذا نصّ السؤال :

« عندنا رجل كلما ذكر - بمجلسه - تعليم القرآن ، يقول : هذا الزمن ليس زمن القرآن ، وليس في تعليم القرآن فائدة ، إنما الفائدة كلها في تعليم المدارس . وكلما اجتمع بمن له ابن في المكتب الذي يعلم القرآن ، يقول له : هذا خطأ منك ، لأن القرآن ليس فيه فائدة ، والاشتغال به تضييع زمن على الأولاد ، فزجوا أن تبينوا ماذا عليه شرعاً في التي على تعلم القرآن » .

حسن مدني حسن : التاجر بالقرعة

(ع . شعبان سنة ١٣٥٣ هـ) .

(٢) انظر : وزير الدولة كمال الدين محمود رفعت (المرحوم) : المذكرة الإيضاحية لمشروع هذا القانون في : كتاب « الأزهر - تاريخه وتطوره » ص ٥٠٤ - ٥١٤ .

(٣) من أمثلة المحاولات التي بذلت في هذا الشأن : إنشاء عدد من المجالس القرآنية المسائية ، في بعض مدارس الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم ، إبان رياستي لها سنة ١٩٥٩ ، لتعليم القرآن حفظاً وأداءً وأحكاماً . ولم تعبر هذه المجالس طويلاً ، لأسباب أهمها العجز المالي .

اجتماعياً ، واقتصادياً - على أصحاب التعليم الديني - قبل صدور القانون التنظيمي الأخير للأزهر - كانت أقوى من هذه الجهود ، فلم يتحقق المأمول .

° ° °

نقص عدد الحفاظ بشكل لافت ، وأظهرت النتائج الرسمية لامتحانات القرآن ضعف الحفظ عند كثيرين من خريجي الأزهر ورجال المساجد ، وبدا كأن وجه ذلك التاريخ التعليمي للقرآن وشيك التغيير ، وأصبح موت أى حافظ حاذق للقراءات خسارة يصعب تعويضها ، وفي الصحيح : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبضه بقبض العلماء » (١) ، وبات علينا أن نحذر المسلمين منبذ ذلك النقص ، ونخيفهم من ازدياده ، ونلتمس الوسائل لدرته ، ولكفالة تعميم حفظ القرآن ، وتيسيره للناس ، فكانت وسيلتنا - إلى هذا أيضاً - المصاحف المرتلة التي تزود سامعها بمعلمين يقرئونه كأحسن ما يكون الإقراء ، ويدرسون له وقتاً يشاء .

٥

والنساء ما مدى إفادتهن من المصاحف المرتلة ؟

وينادر ، فنذكر أن المرأة - في ظل الإسلام - غيرها فيما قبله ، فقديماً - كما يعرف الدارسون - لما قرر أفلاطون ، في جمهوريته ، مبدأ مساواة المرأة بالرجل في حق التعلم وما يتفرع عليه من حقوق ، سخر منه مفكر واليونان ، وفلاسفتهم ، وشعراؤهم .

وربما كان من مظاهر هذه السخرية أن « أريستوفان » أكبر شعراء الملهاة عند اليونان خصص لهذه السخرية التمثيليتين المعروفتين : « برلمان النساء » و « بلوتوس » .

وفي مجال القرآن ، نذكر أن ثلاثاً من نساء النبي صلى الله عليه وسلم كانت لهن مصاحف

= ومن المحاولات العظيمة التي بذلت : إنشاء حلقات في مساجد وزارة الأوقاف لتحفيظ القرآن ، على عهد السيد أحمد عبد الله طهية ، في سنة ١٩٥٩ أيضاً . وكان مقرر اللجنة المشرفة على هذه الحلقات هو صاحب مشروع الجمع الصوري لدول القرآن ، وكنا كتبنا في الطبعة الأولى لهذا الكتاب ما نصه : « وقد قرأ الآن كثيراً عمل هذه الحلقات ، ونأمل في فضل الله أن يعيننا على إعادتها قريباً أعز جانباً ، وأبعد غاية ، وأجمع سعياً . فالآن ، نذكر أنه ، بحمد الله وتوفيقه ، تحقق الكثير من المقصود برعاية وزير الأوقاف السابق الدكتور عبد الحلیم محمود .

(١) انظر : الدارمي : سنن الدارمي : باب في ذهاب العلم ج ١ ص ٧٧ .

وأبرسحق الشاطبي : الموافقات ج ١ ص ٤٧ و ٤٨ - المقدمة الثانية عشرة .

خاصة ، على نحو ما بيّنا في موضع آخر . وقد عدّهن العادّون ضمن القراء من أصحاب النبي (ص) (١) ، وإحداهن : حفصة بنت عمر هي التي حفظت - بعد أبيها - نسخة الجمع الأول التي كانت أولى مراجع لجنة الجمع العثماني .

ووعى التاريخ تراجم نساء كنّ ذوات شأن في خدمة القرآن :

فأم ورقة بنت عبد الله بن الحارث التي استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم - حين غزا بدرًا - في أن تخرج مع المسلمين ، تداوى جرحاهم ، وتمرّض مرضاهم ، والتي أمرها النبي أن تؤم أهل دارها ، والتي كان النبي يسميها الشهيذة كانت قد جمعت القرآن .

وميمونة بنت أبي جعفر القعقاع المدني أحد القراء العشرة المختارين روت القراءة عن أبيها ؛ وروى القراءة عنها آخرون (٢) .

وحفصة بنت سيرين المتوفاة سنة ١١٦ هـ ، وأخت محمد بن سيرين ، وكانت زاهدة عابدة ، قرأت القرآن ، وهي بنت اثني عشرة سنة (٣) .

وكان في قصر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور ، وزوجة هرون الرشيد ، وأم ولده الأمين « مائة جارية تقرأ القرآن ، فكان يُسمع من قَصْرها دوى كدوى النحل من القراءة » (٤) .

وذكر ابن فياض ، في تاريخه ، في أخبار قرطبة ، أنه كان بالرَبِضِ الشَّرْقِيّ من قرطبة مائة وسبعون امرأة ، كلهن يكنّهن المصاحف بالخط الكوفيّ ، وكان هذا في ناحية من نواحيها فكيف بجمع جهاتها؟ (٥) .

وعائشة بنت إبراهيم بن صديق زوج الحافظ المزي المتوفاة سنة ٧٤١ هـ كانت تحفظ القرآن وتلقّنه النساء ، « وكانت عديمة النظير لكثرة عبادتها ، وحسن تأديتها القرآن ، تفضّل في ذلك على كثير ، وأقرأت عدة من النساء وختمن عليها ، وانتفعن بها . . . » (٦) .

(١) السيوطي : الإيقان ج ١ ص ٧٢ .

(٢) نفس المرجع ص ٧٨ .

(٣) ابن الجوزي : غاية النهاية ج ٢ ص ٣٢١ .

(٤) ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٧٥ .

(٥) نفس المرجع ج ٢ ص ٢١٤ .

(٦) نقلًا عن : عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٣٧٢ .

(٧) انظر : ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - السفر الثاني ، ص ٢٣٥ - الترجمة

رقم ٢٠٨٠ (ط . حيدرآباد الدكن ، سنة ١٣٤٨ هـ) .

وأسماء بنت الفخر إبراهيم بن عرصة المتوفاة سنة ٨٠٧ هـ ، كانت تلقن النسوة القرآن ، وتعلمهن العلم والقرب . . . الخ^(١) .

وعرض ابن الجزرى السيرة العلمية لابنته « سلمى » ، فذكر ضمناً أنها « عرضت القرآن حفظاً ، بالقراءات العشر ، قراءة صحيحة مجودة مشتملة على جميع وجوه القراءات . بحيث وصلت - فى الاستحضار - إلى غاية لا يشاركها فيها أحد فى وقتها »^(٢) .

وذكر عن أم الدرداء الصغرى هجيمة بنت حبي ، أنه أخذ القراءة عنها قراء بارزون سَمَّاهم ، وأنها كانت فقيهة كبيرة القدر^(٣) .

وذكر الأدهوى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ أن تاج النساء ابنة عيسى بن على بن وهب لقوصية « سمعت من أبى عبد الله بن عبد المتعم الخيمى ، بقراءة عمها الشيخ الإمام أبى الفتح محمد القشبرى ، فى جمادى الآخرة سنة ٦٧٩ هـ . »^(٤)

وفى القصص العربى ما يؤيد إمكان وجود الجارية المسلمة العاملة بالقراءات ، فالجارية « تودد » من أشخاص « ألف ليلة وليلة » تفخر بأنها تقرأ القرآن بالسبع ، وبالأربع عشرة^(٥) .

ومما روتہ السنّة أن تعلم المرأة شيئاً من القرآن يصح - فى الإسلام - أن يكون مهراً لها^(٦) وحتى الذين كرهوا للمرأة تعلم الكتابة ورواية الشعر ، دَعَوْا إلى تعليمها القرآن ، وكان يقال : « لا تعلموا بناتكم الكتاب ، ولا ترووهن الشُّعر ، وعلموهن القرآن ، ومن القرآن سورة النور »^(٧) .

وقرأت المرأة القرآن بالألحان قراءة مؤثرة . ومن تحدث عنهنّ المنقبين جارية يقال لها شبرة ، قرأت - مرة - على إخوان مالِكها ، بصوت فيه ترجيع حزين ، فكانوا يلقون العمائم عن رؤوسهم ، ويبكون ، وأعتقها صاحبها لوجه الله^(٨) .

• • •

(١) المرجع السابق - السفر الأول ، ص ٣٦٠ - الترجمة رقم ٩٠٠ .

(٢) غاية النهاية ج ١ ص ٣١٠ .

(٣) نفس المرجع ص ٣٥٤ .

(٤) الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصميد ص ٩٠ .

(٥) ج ١ ص ٦١٥ الليلة ٤٣٨ (ط . بولاق) .

(٦) انظر : رشيد رضا : تفسير المنار ج ٥ ص ١٩ (ط ١٣٢٨ هـ) .

(٧) انظر : الجاحظ : البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨٣ (ط . مصطفى محمد ١٩٤٧) .

(٨) أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ٤ ص ٢٦٤ .

ولكن تلقى المرأة العلم عن الرجال مقيداً ، فحتى منذ ما قبل الإسلام ، كان فيثاغورث يرى أن يعلم الرجال الرجال ، وتعلم النساء النساء^(١) .
ومرّ الوليد بن عبد الملك بعلم صبيان ، فرأى جارية ، فقال : ويلك ! ما هذه الجارية ؟
قال : أعلمها القرآن ؛ قال : فليكن الذى يعلمها أصغر منها^(٢) .
وقال عمر بن عبد العزيز لميمون بن مهران ، وهو يعظه : احفظ عنى أربعاً : وذكر أشياء أحدها : « ولا تخلون بامرأة وإن قرأتها القرآن . . . »^(٣) .

o o o

والنساء - بعد - نصف المجتمع ، أو يزدن ، وعليهن مثل ما على الرجال من مسؤولية طلب العلم . فلعلّ المصحف المرتل الذى يستطعن سماعه ، فى كل مكان ، وفى كل وقت ، أن يكون لمن القارئ المحقق ، والمقرئ الخبير الذى يتصل سنده بأئمة القراءات ، والذى هو نموذجى الأداء ، والذى لا يضيرهن أن يكبرهن أو يصغرن ، وأن يخلو إليهن أو يخلون إليه ، والذى يؤدى إليهن حقاً يحببهن ، ويحبهن لمن الإسلام ، والذى يطمئن إليه - بإطلاق - الوضع الاجتماعى الإسلامى .

٦

والمكفوفون من المسلمين : هم - لاعتبارات دنيوية ، فضلاً عن الاعتبارات الدينية - من أشد الفئات حاجة إلى حفظ القرآن وتجويده . وقد جرى المسلمون فعلاً على هذا ، منذ قديم ، فظهر ، فى أغلب البلاد الإسلامية ، حفاظ وقراء ومقرئون كثيرون من المكفوفين^(٤) .
وقد ذكر ابن رجب الحنبلى الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى ، عن أحد أئمة المساجد ، فى بغداد ، أنه كان معنياً بتعليم العميان القرآن ، فيبلغ عدد من أقرأهم القرآن منهم سبعين ألفاً .

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٦٠ و ٦١ .

(٢) الملاحظ : البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٠٣ .

(٣) الطرطوشى : سراج الملوك ص ١١٩ .

(٤) انظر تراجم عدد من كبار أئمة القراءات المكفوفين فى : ابن الجزرى : غاية النهاية ج ١ ص ١٨ و ٦٥ و ٢٤٣

و ٢٥٩ و ٢٨٠ و ٣٠١ و ٣٥١ و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٤٢٠ و ٤٦٥ و ٥٠٦ .

و ج ٢ ص ٢٠ و ١٩٥ و ٢٣٥ و ٣١٧ .

(٥) ذيل طبقات الحنابلة ج ١ ص ٩٦ .

وأعداد المكفوفين ما زالت غير قليلة في البلاد الإسلامية (١) ، ومن ثم وجبت العناية

٣٣٠ .

وطريقة التلقين الشفهي هي الطريقة المثلى لتعليم القرآن ، كما أوضحنا ، ولكن البصرين يضيفون إليها طريقة الحفظ من المصحف المكتوب . أما المكفوفون ، فالتلقى الشفهي هو طريقهم الوحيدة . نعم ، إنَّ المعنين بالمكفوفين اهتموا أخيراً بطبع القرآن بطريقة بريل Braille (٢) ولكن ثمة صعوبات في استعمالها ، فهي تستلزم مجلدات كبيرة بثقل - بالضرورة - حملها ، وهي تستلزم تدريجاً ليس يتاح لكل مكفوف ، وهي - بعدُ - لا يؤمن تعريضها القارئ للخطأ ، فضلاً عن أنها - على أحسن فرض - مثل الكتابة العادية لا تعلم الأداء . فالآن ، نأمل أن يجد المكفوفون هم الآخرون ، في المصحف المنزل ، المعلم التقيدي ، وهو هنا من أجود المجودين ، وأدقهم أداءً ، فضلاً عن أنه أطول المعلمين حصصاً ، وأنسبهم لطالبه موعداً ، وأخفهم عليه أجراً .

٧

غير أن أسطوانات المصحف المنزل لا تسمع إلا بوساطة لاقط صوتي (Pick - up) ، أو جراموفون ، وهذا يقتضي غالباً الكهرباء ، وهي لم تصل - بعدُ - إلى جهات في ريفنا ، ولا إلى بلاد إسلامية كثيرة ، في أفريقيا وآسيا . ولهذا يجب استعمال الجراموفونات ذات البطاريات الخفيفة في المناطق غير المكهربة (٣) .
وبالله التوفيق .

(١) مثلاً عددهم - هم ومن في حكمهم في القاهرة وحدها - ١٦١٤٤ ، وفي كل محافظات جمهورية مصر العربية ٢٢٤،٤٩٢ (انظر الإحصاء السنوي العام لسنة ١٩٦٢ الصادر من مصلحة الإحصاء والتعداد بالقاهرة - جدول توزيع السكان حسب العاهات - الجدول ١٧ ص ٧٦) .

(٢) نشرت جريدة الأهرام ، في ١٠ يوليو ١٩٥٨ ، أن المجلس الأعلى للأزهر وافق على طبع القرآن الكريم بهذه الطريقة ، ونشرت الأهرام ، في نفس اليوم ، في يومى ٨ أغسطس ١٩٥٨ ، و ١٧ ديسمبر ١٩٥٩ أن المرقر النموذجي لرعاية المكفوفين العرب بالزيتون تولى هذا الطبع ، ونشرت في ٢٨ نوفمبر ١٩٦١ أن الجمهورية العربية المتحدة أهدت إلى السودان مصحفاً مطبوعاً بتلك الطريقة .

(٣) سعى صاحب المشروع سعيه - في أواخر سنة ١٩٦٣ وأوائل سنة ١٩٦٤ - فوفقه الله - تعالى - إلى عقد صفقة كبيرة من هذا النوع من الجراموفونات بين وزارة الأوقاف والمؤسسة المصرية للإذاعة .

الفصل الثالث

علاج مشكلة اختلاف الرسم القرآني عن الرسم الإملائي

١

يعرف الخط بأنه : تصوير اللفظ بحروف هجائه . ومن هنا ، كان الأصل في كلّ مكتوب أن يكون موافقاً تماماً للمنطوق به زيادة ونقصاً وتغييراً . بيد أن هذا الأصل خولف كثيراً - في المصحف المكتوب ، وظل مصطلح الرسم القرآني مستقلاً بنفسه ، جارياً - في بعض ألفاظه - على غير قياس ، غير متأثر ببعض القواعد الهجائية القديمة أو المستحدثة .

٢

ومن أمثلة اختلافات الرسم القرآني عن الرسم الإملائي :

- ١ - حذف الألف اختصاراً^(١) .
- ٢ - حذف الألف ، بعد « يا » التي للتداء ، وبعد « ها » التي للتنبية ، وغير ذلك^(٢) .
- ٣ - حذف الألف ، بعد اللام في بعض المصاحف^(٣) .
- ٤ - رسم الشنية المرفوعة بغير ألف^(٤) .
- ٥ - حذف الألف ، بعد النون ، في بعض المواضع^(٥) .
- ٦ - حذف الألف - في بعض المواضع - بعد العين ، والباء ، والياء ، والطاء ، والسين ، والحاء ، والصاد ، والتاء ، والهاء ، واللام ، والواو ، والراء ، والهمزة^(٦) .
- ٧ - حذف الألف ، من الأسماء الأعجمية ، ومن الجمع السالم^(٧) .

(١) انظر : أبو عمرو الداني : المقنع ص ١٠ - ٢٩ .

(٢) نفس المرجع ص ١٦ .

(٣) نفس المرجع ص ١٧ .

(٤) نفس المرجع ص ٢١ .

(٥) نفس المرجع ص ١٨ و ١٩ .

- ٨ - حذف ألف النصب ، إذا كان قبلها همزة قبلها ألف (١) .
- ٩ - حذف الألف ، بعد واو الجمع (٢) .
- ١٠ - حذف ألف الوصل (٣) .
- ١١ - حذف الياء اجتزاءً بكسر ما قبلها منها (٤) .
- ١٢ - حذف الواو اكتفاءً بالضممة منها ، أو لمعنى غيره (٥) .
- ١٣ - حذف الواو التي هي صورة الهمزة ، وحذف إحدى الواوين اكتفاءً بإحداهما (٦) .
- ١٤ - إثبات الألف على اللفظ أو المعنى (٧) .
- ١٥ - إثبات الياء على الأصل (٨) .
- ١٦ - إثبات الياء زائدة أو لمعنى (٩) .
- ١٧ - حذف إحدى الياءين اختصاراً ، وإتباعها - في بعض المواضع - على الأصل (١٠) .
- ١٨ - رسم الياء - في مواضع - على مراد التلين للهمزة (١١) .
- ١٩ - زيادة الواو - في رسم المصحف - للفرقان ، أو لبيان الهمزة (١٢) .
- ٢٠ - رسم الألف وأو ، في بعض المواضع (١٣) .
- ٢١ - رسم الواو - في مواضع - صورةً للهمزة ، على مراد الاتصال ، أو التسهيل (١٤) .
- ٢٢ - حذف إحدى اللامين - في الرسم - لمعنى ، وإثباتها - في مواضع أخرى - على الأصل (١٥) .
- ٢٣ - كتابة بعض الحروف مقطوعة على الأصل ، وموصولة على اللفظ (١٦) .
- ٢٤ - رسم هاءات التانيث ؛ بالياء المفتوحة ، على الأصل ، أو مراد الوصل (١٧) .
- وقد نشأ - بسبب هذه الاختلافات - "علم الرسم القرآني" .
- وقد أجمل صاحب (إتحاف فضلاء البشر) حاصل خط المصحف في الآتي (١٨) :

- | | |
|----------------------------|-----------------------------|
| (١) نفس المرجع ص ٢٦ . | (١٠) نفس المرجع ص ٤٩ - ٥٠ . |
| (٢) نفس المرجع ص ٢٦ و ٢٧ . | (١١) نفس المرجع ص ٥١ - ٥٢ . |
| (٣) نفس المرجع ص ٢٩ . | (١٢) نفس المرجع ص ٥٣ . |
| (٤) نفس المرجع ص ٣٠ . | (١٣) نفس المرجع ص ٥٤ - ٥٥ . |
| (٥) نفس المرجع ص ٣٥ . | (١٤) نفس المرجع ص ٥٥ . |
| (٦) نفس المرجع ص ٣٦ . | (١٥) نفس المرجع ص ٦٧ - ٦٨ . |
| (٧) نفس المرجع ص ٣٨ - ٤٤ . | (١٦) نفس المرجع ص ٦٨ - ٧٦ . |
| (٨) نفس المرجع ص ٤٥ - ٤٦ . | (١٧) نفس المرجع ص ٧٧ - ٨٢ . |
| (٩) نفس المرجع ص ٤٧ - ٤٨ . | (١٨) ص ١٠ . |

- ١ - أن الحرف يبدل في الرسم ، ويلفظ به اتفاقاً ، مثل (اصطبر) .
- ٢ - ويرسم ، ولا يلفظ به اتفاقاً ، مثل (الصَّلَاة) .
- ٣ - ويرسم ، ويختلف في اللفظ به ، مثل (الغَدَاة) .
- ٤ - ويزاد ، ويلفظ به اتفاقاً ، مثل (حسابيه) .
- ٥ - ويزاد ، ولا يلفظ به اتفاقاً ، مثل (أَوْلَيْكَ) و (مِائَةٌ) .
- ٦ - ويزاد ، ويختلف فيه ، مثل (سُلْطَانِيَه) .
- ٧ - ويحذف كذلك ، نحو : (بِسْمِ اللّٰهِ) و (يَرْبِّ) و (الرَّحْمٰن) و (الدَّاع)
- ٨ - ويوصل ، ويتبعه اللفظ ، مثل : (مَنَاسِكِكُمْ) .
- ٩ - ويخالفه ، نحو : (كَهَيْصَ) و (يَبْتُوْم) .
- ١٠ - ويختلف فيه ، نحو : (وَيَكَاَنَّ) .
- ١١ - ويفضل ، ويوافق ، نحو (حَم) و (عَسَق) .
- ١٢ - ولا يوافق ، مثل (إِسْرَائِيل) .
- ١٣ - ويختلف فيه ، نحو (مَال) .

• • •

٣

وقد جَوَزَ بعض العلماء مخالفة هذا الرسم ، ومطابقة المكتوب للمنطوق بإطلاق .
ومن حججهم :

أن الخطوط والرسوم ليست إلا علامات وأمارات ، فكل رسم يفيد وجه القراءة فهو صحيح ؛ والرسم العثماني - إذ يخالف الإملاء العادي - يشقّ على كثير من الناس ، ويوقعهم في الحرج والالتباس .

وهو - بعدُ - لا يحتمه الكتاب أو السنّة ، ولا يعلو أن يكون اجتهاداً من الصحابة يجوز عليه الخطأ والصواب ، ولا يبعد أن يكونوا قد أخطأوا بسبب حداثة عهدهم بالكتابة^(١) .

(١) انظر : ابن خلدون : القلمة (بتحقيق علي عبد الواحد وافي) ج ٣ ص ٩٥٣ و ٩٥٤ .

ويقول حفي ناصف ، في معاضلة بقاء الرسم العثماني للمصحف :

بل إن عز الدين بن عبد السلام^(١) كان يقول : « لا يجوز كتابة المصحف الآن على المرسوم الأول ، باصطلاح الأئمة ، لثلا يوقع في تعيير من الجهال »^(٢) .
 وذكر بعضهم أن ما جاء من وجوب اتباع رسم المصحف إنما كان في الصدر الأول ، والعلم غصّ حتى ، وأما الآن فقد يُخشى الالتباس^(٣) .
 ورأى بعضهم قصر الرسم بالاصطلاح العثماني على مصاحف الخواص ، وإباحة رسمه للعوام ، بالاصطلاحات الشائعة بينهم^(٤) .
 وربما راعى هؤلاء أنّ النشء والمسلمين - من غير الناطقين بالعربية - لا سيعون أنّ ينطقوا بغير ما ينبي عنه ظاهر الرسم . ويقول بعض المعاصرين : « الغرض من كتابة القرآن : أن نقرأه صحيحاً ، لنحفظه صحيحاً ، فكيف نكتبه بالخطأ ، لنقرأه بالصواب ؟ وما الحكمة في أن يقيد كلام الله بخط لا يكتب به اليوم أى كتاب ؟ »^(٥) .

• • •

ولبعض النصارى - في شأن هذا الرسم - إشارة ربّما قصدت أن تنزع عنه لباسه الإسلامي ، فهو - فيما يقرّرون - سرياني الأصل مسيحيّ الاستعمال ، ذلك أنّ الخط

= « ولا نعلم أنّ أحداً من العلماء تحكك في هذا الأمر إلا ابن خلدون ، في القرن الثامن ، وبعض رجال لأزهر ، في القرن الرابع عشر ، وليس أحدهما إماماً مجتهداً ، والحمد لله » . (تاريخ المصحف - مقدمة كتاب في قواعد رسم المصحف - بحث شرقي والمكتطف ، ع . أول يوليو ١٩٣٣ - ٨ ربيع الأول ١٣٥٢ هـ الجزء ٢ من المجلد ٨٣ ص ٢٠٥ - ٢٠٦)
 (١) ولد في دمشق سنة ٨٥٧ هـ ، وولى الخطابة والإمامة في الشام ، وولى الخطابة والقضاء والفتيا والتدريس في مصر ، وخدمته للإسلام في الحروب الصليبية والثرية معروفة . وتوفى سنة ٩٦٠ هـ .
 انظر : السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ٨٠ - ١٠٧ .

وابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ و ج ٧ في مواضع متفرقة .

والسيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤١ و ج ٢ ص ٣٨ و ١٠٩ و ١١٠ ،

والمقرئزي : السلوك ج ١ ص ٣١٢ و ٣٥٤ و ٤١٦ .

وابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٩٤ .

(٢) الزركشي : البرهان ج ١ ص ٣٧٩ و ٣٨٠ ،

وانظر : الدمياطي البنا : إتخاف فضلاء البشر ص ٩ .

(٣) انظر : الزركشي : المرجع السابق ج ١ ص ٣٧٩

(٤) انظر : الدمياطي البنا : المرجع السابق ص ٩ .

(٥) أحمد حسن الزيات : مجلة الرسالة ع ٩ يناير سنة ١٩٥٠ .

وفي أعوام أسبق قليلاً من هذا التاريخ ، دعا إلى تغيير الرسم الاصطلاحى للقرآن الشيخ حسين والى رئيس لجنة الفتوى بالأزهر ، وعضو مجمع اللغة العربية في مصر .

الكوفي الذي هو خطُّ المصاحف الأولى أصله - بزعمهم - الخط السطرنجيلي الذي كان السريان يكتبون به الأمفار المقدسة النصرانية . وآية هذا - فيما يذكر ون - أنه ، كقاعدة مطردة في الكتابة السريانية ، إذا جاءت الألف حرفاً مَدَّ في وسط الكلمة حُذفت ، وكذلك فَعَل كَتَاب القرآن في صدر الإسلام ، حيث كتبوا مثلاً : (الكُتَب) بدل (الكتاب) ، و (الظلمين) بدل (الظالمين)^(١)

* * *

ويسرف بعض المعاصرين في نقد الرسم الاصطلاحي ، فيقول : إنه « يقلب معاني الألفاظ ، ويشوهها تشويهاً شنيعاً ، ويعكس معناها بدرجة تكفّر قاربه ، وتحرف معانيه ، وفضلاً عن هذا ، فإن فيه تناقضاً غريباً وتناقراً معيباً لا يمكن تعليقه ، ولا يستطاع تأويله^(٢) » .

ع

ولكن الثابت أن الجمهور على أن هذا الرسم لا يجوز فيه القياس^(٣) ، وأنه توقيفي^(٤) : « عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » - « نَ ، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ »^(٥) . وربما كان من دلائل هذه التوقيفية أن الكلمة من القرآن قد تُكتب في بعض المواضع برسم ، وفي مواضع أخرى برسم آخر ، مع أنها هي هي . والأمثلة على هذا أكبر من أن يتسع لها المقام^(٦) ، ولكننا - ابتغاء الإيضاح - نورد قليلاً جداً منها :

١ - كلمة « بسم » :

محذوفة الألف في كل فواتح السور ، وفي الآيتين : « بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُهَا »^(٧) - « وَإِنَّهُ

(١) يوسف داود (المطران) : اللمة الشهية في اللغة السريانية ط . الموصل ١٨٧٩ م .

وجورجي زيدان : التمدن الإسلامي ج ٣ ص ٥٨ و ٥٩ .

(٢) ابن الخطيب : الفرقان ص ٧١ .

(٣) عل القاري : شرح العقيلة - المخطوطة رقم ٣ فراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة - الورقة ٢

(٤) الزركشي : المرجع السابق ج ١ ص ٣٧٧ .

ومعنى توقيفي : أنه يتوقف على الميعاد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس للعقل فيه مجال .

(٥) سورة العلق / ٤ و ٥ .

(٦) انظر : نظام الدين التيسابوري : غرائب القرآن و رغائب الفرقان - المقدمة السابعة في ذكر الحروف التي

يكتب بعضها على خلاف بعض في المصاحف ، وهي - في الأصل - واحدة ج ٢ ص ٣٢ - ٤٠ .

(٨) سورة هود / ٤١ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ « (١) بينا هي مشبة الألف في الآيات : « فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ » (في سورتى : الواقعة والحاقة) (٢) - « إقرأ باسم ربك الذي خلق » (٣) .
٢ - كلمة « تبارك » :

محذوفة الألف في الآيتين : « تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ » (٤) - « تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ » (٥) ،
بينما الألف مشبة في الآيات : « تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » (٦) - « فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » (٧) -
« تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ » (٨) - « تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا » (٩) « فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » (١٠) .
٣ - كلمة « بنات » :

محذوفة الألف في الآيات : « وَبَنَتْ بِغَيْرِ عِلْمٍ » (١١) - « وَيَجْعَلُونَ لَهُ الْبَنَاتِ » (١٢) -
« أُمُّ لَهُ الْبَنَاتُ » (١٣) ، ولكن ألفها مشبة في الآيات : « هُوَ لَا يَتَّانِي » (١٤) - « مَا لَنَا بِبَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ » (١٥) - « أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ » (١٦) .
٤ - كلمة « أعناب » :

محذوفة الألف في الآيات : « وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَابٍ » (١٧) - « وَالنَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ » (١٨) -
« وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ » (١٩) - « حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا » (٢٠) ، ولكن الألف مشبة في
الآيتين : « أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ » (٢١) - « وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَابٍ » (٢٢) .
٥ - كلمة « سبحان » :

محذوفة الألف في الآيات : « سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا » (٢٣) - « سُبْحَانَكَ هَيَّا عَذَابَ

- | | |
|--|---------------------------|
| (١) سورة النمل / ٣٠ و ٣١ . | (١٣) سورة الطور / ٣٩ . |
| (٢) سورة الواقعة / ٩٦ ، سورة الحاقة / ٥١ . | (١٤) سورة هود / ٧٨ . |
| (٣) سورة العلق / ١ . | (١٥) سورة هود / ٧٩ . |
| (٤) سورة الرحمن / ٧٨ . | (١٦) سورة الصافات / ١٤٩ . |
| (٥) سورة الملك / ١ . | (١٧) سورة الرعد / ٤ . |
| (٦) سورة الأعراف / ٥٤ . | (١٨) سورة النحل / ١١ . |
| (٧) سورة المؤمنون / ١٤ . | (١٩) سورة النحل / ٦٧ . |
| (٨) سورة الفرقان / ١ . | (٢٠) سورة النبا / ٣٢ . |
| (٩) سورة الفرقان / ١٠ . | (٢١) سورة البقرة / ٢٦٦ . |
| (١٠) سورة غافر / ٦٤ . | (٢٢) سورة الأنعام / ٩٩ . |
| (١١) سورة الأنعام / ١٠٠ . | (٢٣) سورة البقرة / ٣٢ . |
| (١٢) سارى النحل / ٥٧ . | |

النَّارِ» (١) - «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى» (٢) - «سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ» (٣) - «سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا» (٤) ، بينما الألف مثبتة في الآية : «قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا» (٥)

٦ - كلمة «رحمة» :

كتبت بالهاء في أغلب المواضع ، ولكنها مكتوبة بالتاء في الآيات : «أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ» (٦) - «إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ» (٧) - «رَحِمَتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ» (٨) - «ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ» (٩) - «إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ» (١٠) - «أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ» (١١) - «وَرَحْمَتُ رَبِّكَ» (١٢)

٧ - كلمة «سيماهم» :

كتبت بالياء في الآيات : «تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ» (١٣) - «وَعَلَىٰ الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ» (١٤) - «وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ» (١٥) - «وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ» (١٦) - «يُعَرِّفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ» (١٧) بينما كتبت بالألف في الآية : «سِيَاهَهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ» (١٨)

٨ - كلمة (كتاب) :

حُذِفَتِ أَلْفُ التَّاءِ إِلَّا فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ :

«لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ» بالرعد (١٩) - «كِتَابٌ مَعْلُومٌ» بالحجر (٢٠) - «مَنْ كِتَابِ رَبِّكَ» بالكهف (٢١) - «وَكِتَابٍ مُبِينٍ» أول النمل (٢٢).

• • •

- | | |
|---------------------------|-------------------------|
| (١) سورة آل عمران / ١٩١ . | (١٢) سورة الزخرف / ٣٢ . |
| (٢) سورة الإسراء / ١ . | (١٣) البقرة / ٢٧٣ . |
| (٣) سورة الإسراء / ٤٣ . | (١٤) الأعراف / ٤٦ . |
| (٤) سورة الإسراء / ١٠٨ . | (١٥) الأعراف / ٤٨ . |
| (٥) سورة الإسراء / ٩٣ . | (١٦) محمد / ٣٠ . |
| (٦) سورة البقرة / ٢١٨ . | (١٧) الرحمن / ٤١ . |
| (٧) سورة الأعراف / ٥٦ . | (١٨) الفتح / ٢٩ . |
| (٨) سورة هود / ٧٣ . | (١٩) الآية ٣٨ . |
| (٩) سورة مريم / ٢ . | (٢٠) الآية ٤ . |
| (١٠) سورة الروم / ٥٠ . | (٢١) الآية ٢٧ . |
| (١١) سورة الزخرف / ٣٢ . | (٢٢) الآية ١ . |

والثابت أيضاً أَنَّ الجمهور على أن اتباع حروف المصحف كالمُنز القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعدّهاها^(١).

٥

وللمسلمين - في وجوب التمسك بالرسم القرآني المأثور - حجج نجملها فيما يلي :

١ - أن النبي (ص) كان له كتاب يكتبون الوحي ، وبحضرته كتبه ككله بهذا الرسم ، فكما يقول كتاب (إتحاف فضلاء البشر) : « لم يكن ذلك من الصحابة كيف أتفق ، بل عن أمر - عندهم - قد تحقّق^(٢) ، وكأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أقرّ هذا الرسم . ولن يقلل - في رأيهم - من شأن هذا الإقرار ، أن النبي (ص) كان أمياً لا يعرف الكتابة بالاصطلاح والتعليم من الناس . « فمن جهة الفتح الربّاني : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعرف القراءة والكتابة ويعرف أكثر منهما »^(٣) .

والذي نعتقده في هذا الشأن هو أن الله الذي أكّد حفظه لكتابه إذ يقول : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »^(٤) ، لم يكن ليدع الخطأ يقع في كتابه أصل شريعته وعماد دينه ، ولا يلهم نبيه تصحيحه ، وهذا إذا رفضنا - مع الرافضيين - رأى من قالوا ما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى كتب وقرأ^(٥) ، ورفضنا أيضاً رأى من قالوا بأنّ أمية النبي (ص) كانت على أولى حياته ، ثم أوفى الكتابة على آخرها^(٦) .

• • •

٢ - أن كتابة القرآن على الهيئة المعروفة هو - كما يقال - « لأسرار لا تهتدى إليها العقول ، وهو سرّ من الأسرار خصّ الله به كتابه العزيز ، دون سائر الكتب السماوية ، فلا يوجد شيء من هذا الرسم في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ، ولا في غيرها من الكتب السماوية »^(٧).

(١) الزركشي : المرجع السابق ج ١ ص ٣٨٠ . (٢) ص ١٠ .

(٣) انظر : محمد بن علي بن خلف الحميني : إرشاد الحيران ص ٢٧ .

(٤) سورة الحجر / ٩ .

(٥) روى هذا عن ابن أبي شيبة وغيره . وانظر : علي الضباع : بحث في مجلة كنوز الفرقان ع ١ و ٢ سنة ١٣٦٩ ص ٧ .

(٦) البحث السابق ص ٨ .

(٧) محمد بن علي بن خلف الحميني : إرشاد الحيران ص ١٤ و ١٥ .

« وكما أن نَظْمَ القرآنِ معجز ، فرسمه معجز ، وكيف تهتدى العقول إلى سرّ زيادة الألف في « مائة »^(١) دون « فِئَة »^(٢) ؟ وإلى سرّ زيادة الياء في « بَأْيِيدٍ »^(٣) و « بَأْيَيْكُمْ »^(٤) ؟ أم كيف تتوصل إلى سرّ زيادة الألف في « سَعَوْا » ب (الحجّ)^(٥) ، ونقصانها من « سَعَوْا » ب (سبأ)^(٦) ؟ أم كيف تبلغ العقول إلى درجة حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض ؟ إلخ »^(٧) ويقول أصحاب هذا الرأي إنّ كلّ ذلك هو « لأسرار إلهية ، وأعراض نبوية ، وإتما حَقِيقَتُ على الناس ، لأنها أسرار باطنية ، لا تُدْرِكُ إلا بالفتح الربّاني ، فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المتقطعة التي في أوائل السور ، فإن لها أسراراً عظيمة ، ومعاني كثيرة ، وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها ، ولا يدركون شيئاً من المعاني الإلهية التي أشير إليها ، فكذلك أمر الرّسم الذي في القرآن حرفاً بحرف »^(٨).

٣ - أن أبا بكر كتب القرآن بهذه الهيئة ، في صحف ، بإشراك الصّحابة ورضاهم ، ولم يخالفها أحد منهم ، وتبعه عثمان ، على ملأ من الصّحابة ، ورضاهم أيضاً ، ثم لم يُنقل أن أحداً من التابعين وتابعهم رأى أن يَسْتَبْدِلَ - في العصور التي تقدمت فيها طرائق الكتابة - بالرسم العثماني رسماً مُحدثاً . وما دام قد انعقد الإجماع على تلك الرسوم فلا يجوز العدول عنها إلى غيرها ، إذ لا يجوز خرق الإجماع بوجه^(٩).

والإجماع حُجَّةٌ ، حسبما تُقَرَّرُ الأصول ، ومُحَالٌ - في حقّ الصّحابة - أن يخالفوا ما أقره النبي (ص) ، ويتصرفوا في القرآن ، بأى زيادة أو نقصان ، وإلّا « لزم تطرّق الشكّ إلى جميع ما بين الدقّتين ، لأننا ، مهما جَوَزْنَا أن تكون فيه حروف ناقصة أو زائدة على ما في علم النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلى ما عنده ، وأنها ليست بوحى ولا من عند الله ، ولا نعلمها بعينها ، تشككتنا في الجميع . ولئن جَوَزْنَا لصحابي أن يزيد في كتابته حرفاً ليس بوحى

(١) سورة الأنفال / من الآيتين : ٦٥ و ٦٦ .

(٢) سورة البقرة / من الآية ٢٤٩ .

(٣) سورة الذاريات / من الآية ٤٧ .

(٤) سورة القلم / من الآية ٦ .

(٥) من الآية ٥١ .

(٦) من الآية ٥ .

(٧) محمد بن علي بن خلف الحسيني : إرشاد الحيران ص ١٦ - ١٨ .

(٨) نفس الكتاب ص ١٨ و ١٩ .

(٩) انظر نفس الكتاب ص ٤١ و ٤٢ .

لَزِمْنَا أَنْ نَجْمُوزَ لَصْحَابِي آخِرَ نَقْصَا فِي حَرْفٍ مِنَ الرَّحَى ، إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا ، وَحَيْثُ نَحَلُّ عَقْدَةَ الْإِسْلَامِ بِالْكَلِيَّةِ » (١) .

والشافعي يقول في الصحابة : إنهم « أَدَّوْا إِلَيْنَا سُنَنَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وشاهدوه ، والوحي ينزل عليه ، ففعلوا ما أراد رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عاماً ، وخاصاً ، وعزماً ، وإرشاداً ، وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلتنا ، وهم فوقنا في كل علم ، واجتهاد ، وورع ، وعقل ، وأمرٍ استُدْرِكُ بِهِ عِلْمٌ وَاسْتَنْبَطَ بِهِ . وآراؤهم لنا أَحْمَدُ ، وَأَوْلَى بنا من رأينا عند أنفسنا » (٢) .

ويقول أبو البقاء العكبري في كتاب « اللُّبَابُ فِي عِلَلِ الْبِنَاءِ وَالْإِعْرَابِ » :
« ذهب جماعة من أهل اللغة إلى كتابة الكلمة على لفظها إلا في خط المصحف ، فإنهم اتَّبَعُوا ، في ذلك ، ما وجدوه في الإمام . والعمل على الأول » (٣) .

وربما أوهن القول بأن الصحابة كانوا يجهلون قواعد الكتابة أن كتاباتهم وخطوطهم - وما زالت لها ، أو للكتابات المعاصرة لها بقايا - خالية من الخطأ الإملائي ، وأنهم لا بدّ قد كتبوا فيما بينهم الديون والعقود ، ولا بدّ أنها كانت وفق القواعد الإملائية العادية ، وإلا اعتسورها اللبس . ولعل من أمثلة عنايتهم بدفع الخطأ - في فهم الكتابة - تمييزهم بين عمر وعمره ، بزيادة واو في الثاني (٤) .

٤ - والفقهاء مجمعون ، أو كالمجمعين على هذا الرسم :

سئل مالك : رأيت من استكتب مصحفاً ، أتري أن يُكْتَبَ على ما أحدثه الناس من الهجاء اليوم ؟

قال : لا أرى ذلك ، ولكنه يُكْتَبُ على الكُتْبَةِ الأولى : كُتْبَةُ الرَّحَى .

قال الداني معقّباً على هذا : ولا مخالف له (يعني مالكا) في ذلك من علماء الأمة (٥) .

(١) نفس الكتاب ص ٢٣ - ٢٥ .

(٢) نقلاً عن النشر ج ١ ص ١٢ .

(٣) الورقة ٣٠ من المخطوطة رقم ٢٣ نحر ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) انظر : محمد طاهر بن عبد القادر الكردي : تاريخ القوّان وغرائب رسمه وحكمه ص ١٢٨ - ١٣١ .

(٥) المنع ص ١١ من النسخة المخطوطة السالفة الذكر ، و ١٠ من النسخة المطبوعة .

وانظر : علي بن سلطان القاري : المنع الفكرية على متن الجزرية ص ٨٥ .

ومحمد غوث ناصر الدين الأركاني : نثر المرجان في رسم نظم القوّان ج ١ ص ١٠ .

وسئل مالك أيضاً عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف : أتري أن تغير من المصحف إذا وُجد فيه كذلك ؟
فقال : لا .

قال أبو عمرو : يعنى الواو والألف المزيديتين في الرسم لمعنى ، المدومتين في اللفظ ، نحو : الواو في (أُولُوا الْأَلْبَابِ) و « أَوْ كَتُّ » و « الرَّبَّوَا » ونحوه^(١) .
ويقول على القارى ، في هذا الشأن : « والذي ذهب إليه مالك هو الحق ، إذ فيه بقاء الحالة الأولى ، إلى أن تُعلّمها الطبقة الأخرى بعد الأخرى ، ولا شك أن هذا هو الأخرى ، إذ في خلاف ذلك ، تجهيل الناس بأولية ما في الطبقة الأولى^(٢) .
وقال أحمد : « تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو ، أو ألف ، أو ياء ، أو غير ذلك^(٣) » .

وقال البيهقي في « شعب الإيمان » : « من يكتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ، ولا يغير مما كتبه شيئاً ، فإنهم كانوا أكثر علماً ، وأصدق قلباً ، ولساناً ، وأعظم أمانة منا ، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم^(٤) » .

وفى « المدخل » لابن الحاج : « ويتعين عليه (يريد كاتب المصحف) أن يترك ما أحدثه بعض الناس في هذا الزمان ، وهو أن ينسخ المصحف على غير مرسوم المصحف الذى اجتمعت عليه الأمة ، على ما وُجد به ، بخط عثمان بن عفان - رضى الله عنه - أى فى عهده^(٥) . »

وفى « شرح الطحاوى » : « ينبغي لمن أراد كتابة القرآن أن ينظم الكلمات كما هى فى مصحف عثمان - رضى الله عنه - لإجماع الأمة على ذلك^(٦) . »
وقد ذكرنا - فى موضع آخر - ما يراه « عياض » صاحب « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » من تكفير من نَقَصَ حرفاً مما يشتمل عليه المصحف الذى وقع عليه الإجماع .

(١) المقنع ص ٢٨ (من النسخة المطبوعة) .

(٢) انظر : محمد غوث ناصر الدين الأركانى : نثر المرجان فى رسم نظم القرآن ج ١ ص ١٠ .

(٣) انظر : الزركشى : البرهان ج ١ ص ٣٧٩ ، وانظر : غوث الأركانى : الكتاب السابق ص ١١ .

(٤) انظر : الزركشى : نفس المرجع ص ٣٨٠ ، وانظر : غوث الأركانى : نفس الكتاب .

(٥) انظر : على الضباع : سمر الطالبين فى رسم وضبط الكتاب المبين ص ٢٠ .

(٦) انظر الكتاب السابق .

وقد أتد هذا شرح « الشفا » ، ومنهم على القارى ، والخفاجى ، وكلاهما من كبار الحنفية ،
وقالا بعد قول عياض : (أوزاد حرفاً) ، « أى كتابة أو قراءة » (١) .

ومكّي بن أبى طالب يقول : « وهذا الذى يخالف المخط لا تجوز القراءة به اليوم
لمخالفة خط المصحف ، وهو النهى عنه » (٢) .

وقد جرى - على هذا الرسم - علم (رسم كتابة القرآن فى المصاحف) (٣) ، وكذا علم
(آداب كتابة المصحف) ، « وهو علم يعرف فيه كيفية كتابة المصحف ليكون موافقاً للآداب
المعتبرة فى الشرع والمستحسنة عند السلف . . » (٤) ، أو « هو علم من فوائده : تحسين كتابته
وتبينها ، وإيضاحها ، وتحقيق الخط » (٥) .

وعلى ذكر ما أوردناه آنفاً ، من أن بعض العلماء يذهب إلى تكفير المخالفين فى
الرسم الاصطلاحى للمصحف ، نقرر أننا نخالف ذلك الرأى ، ونرى أن الأمر لا يستدعى
هذا التكفير ، طالما أن العلماء اختلفوا فى هذه المسألة منذ قديم ، وقد سار على هذا القضاء
العربى الحديث أيضاً ، فقد نظرت المحكمة الإدارية فى مصر فى قضية عاب فيها الأزهر
بحق على أحد المؤلفين (٦) نقده للرسم الاصطلاحى للمصحف ، فرأت المحكمة أن لا حرج
فى هذا التقدم ما دام المؤلف « قد عرض ، وجادل ، وناقش الآراء المختلفة ، مما يفسح معه
المجال للقول بأنه سلك طريق البحث العلمى ، ولا عليه - بعد ذلك - إن كان يترك قولاً ،
ويأخذ بقول ، أو يدع رأياً ، ويستجيب إلى رأى » (٧) .

٥ - أن القول بأن الرسم غير توقيفى ، وأن الصحابة كتبوه على ما تيسر لهم ، لجهلهم
بالخط يومئذ ، ثم إجماع الأمة - منذ عهد النبي (ص) إلى اليوم - على رسم خاطئ يبنى الحفظ
الذى أكده الله ، أما والحفظ حقيقة ملموسة ، فإن التوقيف فى الرسم يكون حقيقة .
على أن الرسم الذى عدّه بعضهم دليل جهل الصحابة بالخط هو - عند آخرين - آية
ذهنية قوية لهم فى علم الهجاء خاصة .

(١) نفس الكتاب ص ٢٠ و ٢١ .

(٢) الإبانة عن معانى القراءات ص ٣٦ .

(٣) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم ج ٢ ص ٣٧٢ ، وصدىق حسن

خالد : أبعاد العلوم - ٤٩٠ .

(٤) طاش كبرى زاده : المرجع السابق ص ٣٧٤ . (٥) صدق حسن خالد : المرجع السابق ص ٤٩٩ .

(٦) وهر محمد عبد اللطيف بن الخطيب صاحب كتاب « الفرقان » .

(٧) الحكم فى القضية رقم ٦٨٥ سنة ٢ قضائية ، بجملة ١١ مايو سنة ١٩٥٠ مجموعة أحكام مجلس الدولة ،

المجلد الخامس ص ٢٨٨ .

يقول ابن الجوزى : « إن كتابة الصحابة للمصحف مما يدل على عظيم فضلهم في علم الهجاء خاصة ، وثقوب فهمهم في تحقيق كل علم » (١) .
 واستدل السيوطي على قدم علم النحو بما منه كتابة المصحف على الوجه الذي يعلمه النحاة ، في ذوات الواو ، والياء ، والهمزة ، والمد والقصر ، فكتبوا ذوات الياء بالياء ، وذوات الواو بالألف (٢)

٦- وجوب الاحتياط الشديد لبقاء القرآن على أصله ، لفظاً وكتابة ، وذلك سداً للذرائع ، ومنعاً من فتح باب الاستحسان في كتابة القرآن ، لأنه إذا أُفتح هذا الباب ، في الرسم - على نحو ما - فقد لا يلبث أن يفتح في اللفظ أيضاً ، ويتطرق إلى الكتاب الأكبر التغيير والتبديل (٣) . وسدُّ الذرائع أصل من أصول الإسلام التي تبنى عليها الأحكام (٤) .

٧- جواز أن يفضى تغيير الرسم القرآني إلى هدم كثير من علوم الأداء قياساً على هدمه ، بدعوى سهولة التناول للعموم .

٨- أن قواعد الإملاء العادي لم يتفق عليها واضعوها ، وهي عرضة للتغيير والتبديل ، ومتطورة على مدى الزمن (٥) ، فواجب الحذر والتحرز يقتضي المسلمين أن يتزهدوا القرآن

(١) انظر : حمزة فتح الله : المواهب المتحفة في علوم العربية ج ١ ص ١٧ .

(٢) انظر : الكتاني : التراتيب الإدارية ج ٢ ص ٢٩٨ و ٢٩٩ .

(٣) انظر : حفي ناصف : تاريخ المصحف - مقدمة كتاب في قواعد رسم المصحف - بحث نشر في المتنظف ع أول يوليو ١٩٣٣ - ٨ ربيع الأول ١٣٥٢ الجزء ٢ من المجلد ٨٣ ص ٢٠٣ - ٢٠٦ .

(٤) انظر : فتوى في شأن الرسم القرآني ، أصدرتها لجنة الفتوى بمصر سنة ١٩٣٧ ضمن تقرير عن كتاب « الفرقان » - مجلة الأزهر ع . صفر سنة ١٣٦٨ هـ .

(٥) وقد رأينا بلداً كان مقر خلافة المسلمين يكتب القرآن بالحروف اللاتينية ، ورأينا عبد العزيز فهمي أحد رجال جمع اللغة العربية بالقاهرة ينادى - في إصرار وحماسة - باستعمال الحروف اللاتينية في كتابة العربية ، ولم يعلم نصيراً يعضده .

تكلم عبد العزيز فهمي عن الرسم العثماني ، فقال - في إسراف وتحامل - : « إنه سرطان أزمن ، فثورة منظر العربية ، وغشبي جمالها ، ونقر منها الولي القريب والمخاطب الغريب ، وإذ أقول (سرطان) فإني أعني ما أقول ، كالسرطان حساً ومعنى ، (الحروف اللاتينية في كتابة العربية ص ٧) .

ويقول إنه نظر واستيقن أن لا محيص من اتخاذ اللاتينية لرسم العربية (نفس الكتاب ص ١٠) .

ويقول : « أقرر بأنني لست مكلفاً باحترام رسم القرآن ، ولست ألتقي عقل لمجرد أن بعض الناس أو كلهم يريدون إلغاء =

— في رسمه — عن قواعد مختلف فيها ، ومطلوب تغييرها^(١) ، ويحتمل أن يؤثم المسلمون بعضهم بعضاً بسببها .

• • •

وفي معرض الحديث عن تيسير قراءة المصحف المكتوب ، ترد هذه الأسئلة .
هل نكتب المصحف بالحروف اللاتينية^(٢) ، لتسهيل تلاوته على عارفي هذه الحروف ؟

= عظيم ، ولا يميزون بين القرآن العظيم كلام الله القديم وبين رسمه الضعيف الذي هو من وضع التوثيق القاصرين ؛ (نفس الكتاب ص ٢٣) .

(١) في العصر الحديث ، عرض مجمع اللغة العربية في بعض جلساته لرسم المصحف ، فكان الرأي والوقوف عند الرسم المعهود ، لأن الرسم العادي عرضة للتغيير والتبديل في كل عصر ، فلو أبيع هذا لتعدّد رسم المصحف ، وكان مظنة لأن يُعزى إليه الاختلاف ، فحفظ القرآن وصونه يعني بقاء رسمه على الكيفية الأولى ؛ (محمد علي النجار : كلمة ألقاها في المجمع في ديسمبر سنة ١٩٦٠ ، في تأييد الشيخ إبراهيم حمروش) .

وفي مجلة (المنار) ج ١٢ (سنة ١٩٠٩) ص ٤٢٣ - ٤٢٧ فتوى لمحمد رشيد رضا ، في شأن رسم المصحف ، وفيها يجيب على استفتاء من (ملا صادق الایمانقول القزائي : رئيس اللجنة المشكلة لتفتيش رسم المصاحف لطبوعة بلدة قران بالروسيا) يسأل فيه : هل يجب اتباع الرسم العثماني في كتابة المصاحف ؟ أم هل يجوز مخالفته للضرورة التي من أمثلتها : كلمة (آتسن) في الآية ٣٦ من سورة النمل ، حيث كُتبت في المصحف العثماني بغير ياء بعد النون ، وكلمات : (الأعلام) ، و (الأحلام) ، و (الأعلام) ، و (الأزلام) ، و (الأولاد) ، حيث كُتبت أيضاً ، في بعض المصاحف ، بحذف (الألف) بعد اللام ؟ وقد ذُكر السائل أنّ هذه الألفات محلولة فعلاً في المصحف الأثري المحفوظ في المكتبة الإمبراطورية في بتسبورج عاصمة روسيا آنذاك ، وهو المصحف الذي يُظنّ أنه من مصاحف عثمان الأئمة . (انظر : فتاوى الإمام محمد رشيد رضا ، المجلد الثاني ص ٧٨٩ - ٧٩٤) .

وقد أجاب رشيد رضا - رحمه الله - بما منه :

(أ) أنّ الإسلام يتنازع على جميع الأديان بحفظ أصله منذ الصدر الأول ، وأنّ التابعين وتابعيهم وأئمة العلم أحسنوا بتأنيب الصحابة في رسم المصحف ، وعدم تجويز كتابته بما استحدثت الناس من فنّ الرسم ، وإنّ كان أرقّ مما كان عليه الصحابة ، إذ لو فعلوا لجاز أن يحدث اشتباه في بعض الكلمات باختلاف رسمها وجهل أصلها .

(ب) وأنّ الاتباع في رسم المصحف يفيد مزيد ثقة واطمئنان في حفظه كما هو ، وفي إبعاد الشبهات أن تحوم حوله ، وفي حفظ شيء من تاريخ الملة ولف الأمة كما هو .

(ج) وأنه - كتصّ الفتوى - لو كان مثل الأمة الإنكليزية هذا الأثر لما استبدلت به ملك كسرى وقبصر ، ولا أسطول الألمان الجديد الذي هو شغلها الشاغل اليوم ! .

(د) وأنّ ما احتج به العزّين عبد السلام لما رآه من عدم جواز كتابة المصاحف الآن على المرسوم الأول خشية الالتباس ، ولتلا يوقع في تغيير من الجهال ، ليس بشيء ، لأنّ الاتباع إذا لم يكن واجباً في الأصل - وهو ما لا ينكره - تركت الناس له لا يجعله حراماً أو غير جائز لما ذكره من الالتباس .

(هـ) وأنّ الحلّ لكلّ العُقد في مشكلات الرسم التي تواجه السائل هو في الرجوع إلى طبعة المصحف الصادرة في سنة ١٣٠٨ هـ من مطبعة محمد أبي زيد بمصر ، فقد وقف على تصحيح هذه الطبعة وضبطها الشيخ رضوان بن محمد المخلاقي أحد علماء هذا الشأن وصاحب المصنفات فيه ، والذي وضع للطبعة مقدمة شارحة وناظمة . (انظر نفس الفتوى) .

(٢) طبقاً لدعوة المجمع المشار إليها .

وهل نكتبه بالحروف الصينية - مثلاً - لتيسير قراءته على الصينيين ؟ ونكتبه - مثلاً - أيضاً - بالحروف الأمهرية للأجباش ؟ وبالحروف اليونانية لليونان ؟

• • •

قال حفي ناصف - معترضاً على القائلين بكتابة المصحف بالرسم الإملائي - : « ولا يبعد - إذا سلم كلام هؤلاء العلماء - أن يذهب غيرهم إلى استحسان كُتُب المصاحف بالحروف اللاتينية ، وآخرون إلى اختصاره ، وآخرون إلى إرجاعه للغة العامية ليعم نفعه ، إلى غير ذلك من الرِّقَاعَاتِ وَالْمَحْرَقَةِ ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ » (١) .

على أني أسأل : هل تغني كتابة المصحف لكل قوم بحروف لغتهم . . . هل تغني في تعليمهم كيف يقرءون القرآن مجوداً من غير تلقين شفهي ؟

• • •

٩- أن المصاحف - وخاصة في العصر الحديث - مضبوطة بالشكل التام ، ومذيلة ببيانات إرشادية تيسر للناس - إلى حد ما - قراءة الكلمات المخالفة في رسمها للإملاء العادى ، ثم إن رسم المصحف العثماني لا يخالف قواعد الإملاء المعروفة إلا في كلمات لا يصعب على أحد - إذا لقنها - أن ينطق بها صحيحة (٢) .

والذى اجتمعت عليه الأمة : أن من لا يعرف الرسم المأثور يجب عليه أن لا يقرأ في المصحف ، حتى يتعلم القراءة على وجهها ، ويتعلم مرسوم المصحف (٣) .

• • •

١٠- أن علماء الرسم العثماني تتبعوا الكلمات التي يختلف رسمها عن نطقها ، وعللوا لها بما يُعرف منه أن مرجع الخلاف هو ما في الكلمات من قراءات يحتملها الرسم ، أو ما فيها من قراءة واحدة يُستدعى أن تُكتب بصورتها التي لا تحتمل ما سواها .

وهذا نظام الدين النيسابورى ينقل عن جماعة من الأئمة قولهم : « إن الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتاب أن يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف ، فإنه رسم زيد بن ثابت ، وكان أمين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكاتب وحيه ، وعلم من هذا العلم ، بدعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - ما لم يعلم غيره ، فما كتب شيئاً من ذلك إلا لعلة لطيفة وحكمة

(١) انظر : حفي ناصف : البحث المشار إليه قبلاً .

(٢) انظر الفتوى الصادرة سنة ١٩٣٧ م في شأن رسم المصحف ، (مجلة الأزهر . صفر ١٣٦٨ هـ ضمن تقرير

عن كتاب «الفرقان») .

(٣) انظر : محمد بن حبيب الشقيطى : إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام ص ١٦ .

بليغة ، وإن قصر عنها رأينا . ألا ترى أنه لو كتب : « عَلَى صَلَوَتِهِمْ » و « إِنَّ صَلَوَتَكَ » ، بالألف بعد الواو ، أو بالألف من غير واو ، لما دل ذلك إلا على وجه واحد ، وقراءة واحدة ؟ وكذلك : « وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّرُ لِمَنْ عَقِبِي الدَّارِ »^(١) تكتب « وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّرُ » بغير ألف قبل الفاء ، ولا بعدها ، ليدل على القراءتين^(٢) .

• • •

١١ - وأن في الرسم العثماني فوائد :

(١) منها : الدلالة على الأصل والشكل والحروف ، لكتابة الحركات حروفاً ، باعتبار أصلها ، في نحو : « وَإِنِّي ذِي الْقُرْبَى »^(٣) - « سَأُورِيكُمْ »^(٤) - « الصَّلَاة »^(٥) (بالواو بدل الألف) - « الزَّكَاة »^(٦) (بالواو بدل الألف أيضاً) .

(ب) ومنها : النص على بعض اللغات الفصيحة :

لكتابته هاء التانيث تاءً مجرورة على لغة طيئ .

وكحذف ياء المضارع لغير جازم ، في : « يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ »^(٧) على لغة هذيل .

(ج) ومنها إفادة المعاني المختلفة ، بالقطع ، والوصل ، في بعض الكلمات نحو : « أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا »^(٨) - « أَمْنَ يَمْشِي سَوِيًّا »^(٩) فإن قطع (أم) عن (من) يفيد معنى (بل) دون وصلها بها .

(د) ومنها : أخذ القراءات المختلفة من اللفظ المرسوم برسم واحد ، نحو :

١ - « وَإِنِّي ذِي الْقُرْبَى »^(١٠) .

فالقراء يختلفون فيها - في حالة وصلها بما بعدها - في مقادير المدد : فمنهم من مدّها ثلاث حركات ، ومنهم من مدّها أربعاً ، ومنهم من مدّها خمساً ، ومنهم من مدّها ستاً .

(١) سورة الرعد / ٤٢ .

(٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ج ١ ص ٤٠ .

(٣) سورة النحل / ٩٠ .

(٤) سورة الأعراف / من الآية ١٤٥ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٣٧ .

(٥) في ٦٧ موضعاً من القرآن ، عدا مواضع أخرى جاءت فيها كلمة « صلوة » متصلة بضائر مختلفة .

(٦) في ٣٢ موضعاً من القرآن .

(٧) سورة هود / ١٠٥ . (٨) سورة الملك / ٢٢ .

(٩) سورة النساء / ١٠٩ . (١٠) سورة النحل / ٩٠ .

وحمزة ، وهشام - بحلّفه - يقفون على « وإيتاي » ونحوه مما رسم بياء بعد الألف ، بإبدال
الهمزة الثانية ألفا على التفصيل الذى أوضحه علماء القراءات (١) .

٢ - « الْعَلَمَؤُا » :

فهى - كالكلمة السابقة - يختلف فيها القراء ، فى حالة وصلها بما بعدها فى مقادير المدّ .
وحمزة ، وهشام - بحلّفه - يغيرون الهمزة واواً ، على وجوه ذكرها العلماء (٢) .

٣ - « مَا كُنَّا نَبِغُ » (٣) :

فمع أن كتاب المصاحف أجمعوا على كتابتها بغير ياء بعد العين ، فقد اختلف القراء
فى إثبات الياء وحذفها :

فأثبتها - وصلاً - نافع ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر ، والكسائى .

وأثبتها - وصلاً ، ووقفاً - ابن كثير ، ويعقوب .

وحذفها - وصلاً ووقفاً - ابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، وخلف العاشر .

وهذه الياء حُذفت - رسماً - للتخفيف ، فمن قرأ بحذفها وافق الرّسم تحقيقاً ، ومن قرأ

بإثباتها وافق الرّسم تقديراً . والأصل : إثباتها ، لأنها لام الكلمة (٤) .

٤ - « وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ » (٥) :

فقد اختلفت القراءات فيها :

فقرأها : « يَخْدَعُونَ » - بفتح الياء ، وإسكان الخاء ، وفتح الدال - ابن عامر ،

وعاصم ، وحمزة ، والكسائى ، وخلف ، وأبو جعفر ، ويعقوب .

وقرأها نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو : « يُخَادِعُونَ » بضم الياء وفتح الخاء وألف

بعدها ، وكسر الدال .

٥ - « وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا » (٦) :

(١) انظر مثلاً : الدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٢٨٠ .

(٢) سورة الشعراء / ١٩٧ ، وسورة فاطر / ٢٨ .

(٣) انظر : الدمياطى البنا : المرجع السابق ص ٣٣٤ .

(٤) سورة الكهف / ٦٤ .

(٥) انظر : أبو عمرو الدانى : التيسير فى القراءات السبع ص ١٤٧ .

والدمياطى البنا : المرجع السابق ص ١٩٢ .

(٦) سورة البقرة / ٩ .

(٧) انظر : ابن الجزرى : النشر ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٨) سورة الأنعام / ١١٥ .

فقد اتفق كتاب المصاحف على كتابتها ، بحذف الألف بعد الميم ، وبالتالي بعدها ، ولكن القراء اختلفوا فيها :

فقرأها بالإفراد : عاصم ، وحزمة ، والكسائي ، وخلف ، ويعقوب .
وقرأها بالجمع : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وأبو جعفر (١) .
٦ - « هَذَنْ » (٢) .

قال أبو حيان في « البحر المحيط » : قال أبو عبيد : رأيتها في الإمام : مصحف عثمان :
« هَذَنْ » ليس فيها ألف .

ويستفاد من كلام الدمياطي البنا أن « هَذَنْ » رُسمت في المصحف بغير ألف ولا ياء ، وإنما رُسمت كذلك ليحتمل رسم المصحف قراءتي الألف والياء معاً ، ولو رسمت بالياء لفات ذلك ، ولم يحتمل رسم المصحف قراءة الألف (٣) .

(٥) ومن فوائد الرسم العثماني - فيما رأى بعض العلماء - أنه حجاب مَنع أهل الكتاب أن يقرءوه على وجهه دون موقف (٤) . وأصحاب هذا الرأي يقصدون أن القرآن سلم من تحريف أهل الكتاب وهو ما لم تسلم منه الكتب الدينية قبله .

• • •

١٢ - وأنه ليس لازماً - في الكتابة العربية - أن توافق صورة الرِّسم صورة النطق باللفظ ، فإن (داود) يكتب بواو واحدة ، والنطق بواوين ، و (عمرو) يكتب - بعد رائه - واو ، ولا يُنطق بها ، ومن ثم ، لا يصح الذهاب إلى أن الصحابة أخطأوا حين زادوا - مثلاً - ياء في كلمة « بَأْيِيدٍ » من قوله تعالى :

« وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ » (٦) ، على أن أبا عبد الله الخراز يقول :

وأخر الياءين من « بَأْيِيدٍ » للفرق بينه وبين الأيد (٧)

ولمثل هذا نظائر باقية في اللغات الأجنبية : ففي بعض الكلمات الإنجليزية والفرنسية - مثلاً - حروف لا يُنطق بها ، وأخرى تخالف أصواتها الأصلية أصوات النطق الفعلي . وقد أتى

(١) انظر : ابن الجزري : النشرج ٢ ص ٢٦٢ . والدمياطي البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٢١٦ .

(٢) سورة طه / من الآية ٦٣ .

(٣) إتحاف فضلاء الشرص ٣٠٤ .

(٤) انظر : الدمياطي البنا : الإتحاف ص ١٠ .

(٥) انظر : محمد نجيت المطيعي : الكلمات الحسان ص ٤٣ .

(٦) سورة الداريات / ٤٧ .

(٧) انظر : محمد نجيت المطيعي : المرجع السابق ص ٣٥ .

الإنجليز والفرنسيون استبعاد هذه الحروف ، يتتفون بذلك أن تبقى الكلمات بشكلها المألوف منذ قديم ، وأن تظل لها أصولها الضاربة في اللاتينية أو غيرها من اللغات القديمة .
وقد ذُكرت - في تبرير الاختلافات بين رسم المصحف والرسم الإملائي - أسباب تستحق الاعتبار ، فمثلاً ، قال أبو داود - في تبرير ما اصطُح عليه من حذف حروف المد في المصحف - : « والحذف من المصحف إنما وقع في : الألف ، والياء ، والواو ، لبقاء ما يدل عليهن ، وكأنهن لم يحذفن لذلك ، إذ الفتحة - قبل الألف - تدل عليها ، والضممة - قبل الواو - كذلك ، والكسرة - قبل الياء - مثلها . وأيضاً ، فإن الأحرف الثلاثة المذكورة لما كثر ورودها ، وجب اختصارها ، اصطلاحاً من الكاتبين على ذلك ، لما رأوا حروف المد واللين الثلاثة المذكورة آزت سائر الحروف الخمسة والعشرين . . إلخ » (١) .

• • •

١٣ - أن الاهتداء إلى تلاوة القرآن - على حقه - لا يكون إلا بموقف ، شأن كل علم نفيس يُتَحَفَّظُ عليه .

وقيل : إن تغيير كتابة المصحف يُجْهَلُ الناس بأوليئهم وكيفية ابتداء كتابتهم . وهذا - القرآن من أفواه الرجال الآخذين عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالسند العالي » (٢)
وقيل: إن تغيير كتابة المصحف يُجْهَلُ الناس بأوليئهم وكيفية ابتداء كتابتهم . وهذا - في ميزان العلم - خسران .

وقد عرفنا فيما سبق أن عز الدين بن عبد السلام كان لا يجيز كتابة المصحف على المرسوم الأول « لثلا يوقع في تغيير من الجهال » . ويرفض بعض العلماء هذا الرأي ويقولون إنه « لا ينبغي إجراؤه على إطلاقه ، لئلا يؤدي إلى درس العلم ؛ ولا يُترك شيء ، قد أحكمه السلف مراعاة لجهل الجاهلين ، لا سيما وهو أحد الأركان التي عليها مدار القراءات » (٣)

٦

ولكننا - مع تقدير هذه الحجج وذلك الإجماع - نرى ، من الناحية الواقعية ،

(١) حاشية كتبها مجهول على هامش « المقنع » لأبي عمرو الداني ص ١٢ ، المخطوطة رقم ٢٦٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) غوث الأركاني : نثر المرجان في رسم نظم القرآن ج ١ ص ١٢ .

(٣) انظر : الدمياطي البنا : الإنحاف ص ١٠ و ٩ .

أن التلقى السليم من المصحف المكتوب وحده يَشُقُّ على كثيرين من الناس ، حتى المثقفين منهم ،
وحتى أبناء البلاد العربية ، فكيف بالكافة من أبناء البلاد غير الناطقة بالضاد ؟
وهذه - مثلاً - كلمات اختلف فيها الرسم الاصطلاحي عن الرسم القياسي ، ولو اکتفى ،

في تعليمها ، بالمصحف المكتوب ، لوقع - لا محالة ، خطأ في قراءتها وفهسها :

أَنَابَى (آناء) - أَلَسَنَ (الآن) - أَثَرَةٌ (أثاره) - اِنْسَنَ (إنسان) - أَفَايِنَ (أفان)
- أَمِينَ (أميين) - إِيْتَاهَى (إياه) - بِأَيْدٍ (بأيد) - يَبْدَأُ (يبدأ) - مُبْرَكًا (مبركا)
جَزَافَهُ (جزاؤه) - جَامِعِي (جي) - جَنَّتَ (جنات) - حَرَمَ (حرام) - الْمُحَصَّنَتِ (المحصنات)
- وَلَا تَحْضُونِ (ولا تحاضون) - حَفِظُونِ (حافظون) - الْحُكَمِينَ (الحاكمين)
- أَحْلَمَ (أحلام) - الْحَوَارِيْنَ (الحواريين) - يَحْيَى (يحيى) - الْحَيَوَةَ (الحياة) -
فَأَحْيَكُمُ (فأحياكم) - الْحَيِّثُ (الخباث) - يُخَدِعُونَ (يخادعون) - خَشِيعَةً (خاشعة)
- الْخَلْقَ (الخلاق) - خَمِدُونَ (خامدون) - دَعَا (دعاء) - لَا أَدْبِحْتُهُ (لأذبحته)
- سَأُورِيكُمْ (سأريكم) - الرِّبَا (الربا) - الرَّسِيخُونَ (الراسخون) -
وَالْمُرْسَلَتِ (والمرسلات) - رُضِيَّةً (راضية) - الزُّكُوةَ (لزكاة) - سَبَّحَتْ (سائحات) -
سُبْحَنَ (سبحان) - السَّجْدِينَ (الساجدين) - سِرْجًا (سراجاً) - سُلْطَنَ (سلطان)
- السَّمَوَاتِ (السموات) - شُرَكَوًا (شركاء) - شَفَعُوا (شفعاء) - تُشَقُّونَ (تشاقون) -
شَاكِرُونَ (شاكرون) - نَشَأُ (نشاء) - لِشَاءٍ (لشيء) - شَيْطَانَ (شيطان) -
أَصْبِعَهُمْ (أصابعهم) - صَحِيحَهُ (صاحبه) - صَحِيحَةً (صاحبة) - الصَّلَاةَ (الصلاة) -
الضَّعْفَاءُ (الضعفاء) - أَضْغَتْ (أضغاث) - لَا تَظْمَأُ (لا تظما) - الظَّهْرَ (الظهر)
الْعَالَمِينَ (العالمين) - عِبَادَنَا (عبادنا) - العُدُونَ (العدوان) - فَالْعَصِيفَتِ (فالعاصفات)
- عَلَّمَ (علم) - العَلَمَاءُ (العلماء) - أَعْنَبَ (أعناب) - الغَيْرِينَ (الغابرين) -
العَدْوَةَ (العداة) - الغَفْرَ (الغفار) - عَلَّمَ (علم) - غَلَامَ (غلام) - تَفْتَوًا (تفتأ) - فَالْفَرَاقَاتِ (فالفارقات)
- يَتَفَيَّأُ (يتفياً) - كَبِيرَ (كباثر) - الكَافِرُونَ (الكافرون) - نَبِيِّنَ (لابين)
- لَعِينَ (لاعين) - لَعِيَّةً (لاعية) - لَقِيَهُ (لاقيه) - تَلْقَايَ (تلقأ) -
فَالْمُلْقِيَتِ (فالملقيات) - مَشْكُوةً (مشكاة) - الْمَلَأُ (الملاء) - مَنُوءَ (مناة) -
نَبَأًا (نبأ) - نَبَأِي (نبأ) - أَنَمُوا (أنباء) - النَّيِّنَ (النيين) - النَّجْوَةَ (النجاة) -
يَنْتَجُونَ (يتاجون) - نُجِي (نجى) - يَنْتَزِعُونَ (يتازعون) - يَشْتَوُ (يشأ) - وَالنَّشْرَاتِ (والنشرات)
- الْمُنْفِقِينَ (المنافقين) - لَتَمُوا (لتوء) - وَرَأَى (وراء) - وَسِعَةَ

(واسعة) - لَوَقِعَ (لواقع) - اَتَوَكَّأَ (أتوكأ) - وَلَا تَأْيِسُوا (ولا تياسوا) - يَرْبُ (يارب) - يَعْبادِي (ياعبادي) - يُقُومُ (ياقوم) (١) .

• • •

ويزيد صعوبة التلقى من المصحف المكتوب ، ويزيد الحاجة إلى التلقى الصوتي أن بعض الكلمات المرسومة فيه بطريقة تغاير القواعد الإملائية مرسومة. في نفس الوقت ، في مواضع أخرى منه ، حسب هذه القواعد .

وإليك نماذج من هذه الكلمات :

- (أ) « أَلَمْ • ذَلِكَ الْكِتَابُ » (٢) بدون ألف .
 (ب) « وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ » (٣) ، بدون ألف في : « أمواتاً » ، وفي : « فَأَحْيَاكُمْ » .
 (ح) « أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ » (٤) ، بدون ألف في « ما نشاء » وبهمزة على الواو .

- (د) « وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ » (٥) ، بزيادة ألف ، بين التاء والياء .
 (هـ) « قَالُوا جَزَاءُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ » (٦) ، بحذف الألف أيضاً .
 (و) « حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ » (٧) . بحذف الألف .
 (ز) « إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ » (٨) ، بدون ألف في : « لصاحبه » .
 (ح) « قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ » (٩) بدون ألف في : « قال » .
 (ط) « وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ » (١٠) ، بدون ألف في : « بظلام » .
 (ي) « ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمُ شَعِيرَ اللَّهِ » (١١) بدون ألف في : « شعائر » .
 (ك) « وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ » (١٢) ، بدون ألف أيضاً .

(١) انظر : أبو عمرو الداني : المقنع (المخطوطة رقم ٢٦٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة) . الخراز : مورد الظمان .

أحمد محمد أبو زيتحار : لطائف البيان في رسم القرآن - شرح مورد الظمان ، جزءان . محمد حبيب الله الشنيطي : إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام .

- | | |
|--------------------------|-----------------------------|
| (٢) سورة البقرة / ١٢ . | (٨) سورة التوبة / ٤٠ . |
| (٣) سورة البقرة / ٢٨ . | (٩) سورة الأنبياء / ١١٢ . |
| (٤) سورة هود / ٨٧ . | (١٠) سورة الحج / ١٠ . |
| (٥) سورة يوسف / ٨٧ . | (١١) سورة الحج / ٣٢ . |
| (٦) سورة يوسف / ٧٥ . | (١٢) سورة الحج / ٣٦ . |
| (٧) سورة يوسف / ١١٠ . | |

- (ل) « وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ » (١) ، بدون ألف في « أيها » .
 (م) « وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ » (٢) ، بدون ألف أيضاً .
 (ن) « سَتَفْرَغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ » (٣) ، بدون ألف .
 (س) « أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ » (٤) ، بدون ألف في « الأمثال » .
 (ع) « كَذَبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ » (٥) ، بحذف الألف في « الأيكة » .
 (ف) « وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ » (٦) ، بدون ألف ، في كل من : « الكافرين »
 و « ضلال » .
 (ص) « وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ » (٧) ، بدون ألف في « دعاء » ، وبهمزة على
 واو فيها ، وبدون ألف في كل من : « الكافرين » و « ضلال » .
 (ق) « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا » (٨) ، بحذف الألف من « جزاء »
 (ر) « هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ » (٩) ، بدون ألف .
 (ش) « لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كَيْدًا » (١٠) ، بدون ألف في « كيداً » .
 (ت) « وَعَاثَرِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » (١١) ، بالواو في « الحياة » بدل الألف .

• • •

ومما يزيد أيضاً صعوبة التلقى من المصحف المكتوب وحده أن ثمة كلمات رسمت في المصحف بشكل الجمع ، مع أن القراء اختلفوا في إفرادها وجمعها ، وهذه هي :

١- « كلمت » في الآيات :

(أ) « وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا » (١٢)

قرأها بالإفراد عاصم ، وحمره ، والكسائي ، ويعقوب ، وخلف (١٣) .

(ب) « كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » (١٤)

قرأها بالإفراد سوى نافع ، وابن عامر ، وأبي جعفر (١٥)

(٧) سورة غافر / ٥٠ .

(٨) سورة الشورى / ٤٠ .

(٩) سورة الجاثية / ٢٠ .

(١٠) سورة النبا / ٣٥ .

(١١) سورة النازعات / ٣٨ .

(١٢) سورة الأنعام / ١١٥ .

(١) سورة النور / ٣١ .

(٢) سورة الزخرف / ٤٩ .

(٣) سورة الرحمن / ٣١ .

(٤) سورة الفرقان / ٩ .

(٥) سورة الشعراء / ١٧٦ .

(٦) سورة غافر / ٢٥ .

(١٣) انظر : حمن بن خلف الحسيني : الرحيق المختوم في نثر اللؤلؤ المنظم على أرجوزة الشيخ المتولّد ص ١٩ .

(١٥) الرحيق المختوم ص ١٩ .

(١٤) سورة يونس / ٣٣ .

(ح) « وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ » ^(١)
 قرأها بالإفراد ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحزمة ، والكسائي ، ويعقوب ، وخلف ^(٢)

• • •

٢ - « آيَتِ » في الآيتين :

(أ) « لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمَلَّائِينَ » ^(٣)

قرأها بالإفراد ابن كثير ^(٤)

(ب) « وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ » ^(٥)

قرأها بالإفراد ابن كثير ، وشعبة ، وحزمة ، والكسائي ، وخلف ^(٦)

• • •

٣ - « غِيَابِ » في الآيتين :

(أ) « وَالْقَوْمُ فِي غِيبَتِ الْعَجْبِ » ^(٧)

(ب) « وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيبَتِ الْعَجْبِ » ^(٨)

قرأها بالإفراد من عدا نافعاً وأبا جعفر ^(٩)

• • •

٤ - « غَرَفَتِ » في الآية : « فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَيْفِ بِمَا عَمِلُوا ، وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ

ءَامِنُونَ » ^(١٠)

قرأها بالإفراد حمزة ^(١١)

• • •

٥ - « بَيِّنَتِ » في الآية : « فَهَمَّ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ » ^(١٢)

قرأها بالإفراد ابن كثير ، وأبو عمرو ، وحفص ، وحزمة ، وخلف ^(١٣)

• • •

- | | |
|--|---|
| (١) سورة غافر / ٦ . | (٨) سورة يوسف / ١٥ . |
| (٢) الدمياطى البنا : الإتحاف ص ٣٧٧ | (٩) الإتحاف ص ٢٦٢ ، والرحيق المختوم ص ١٩ |
| (٣) سورة يوسف / ٧ . | (١٠) سورة سبأ / ٣٧ . |
| (٤) الرحيق المختوم ص ١٨ و ١٩ . | (١١) الإتحاف ص ٣٦٠ ، والرحيق المختوم ص ١٩ . |
| (٥) سورة العنكبوت / ٥٠ . | (١٢) سورة فاطر / ٤٠ . |
| (٦) الإتحاف ص ٣٤٦ ، والرحيق المختوم ص ١٩ . | (١٣) الإتحاف ص ٣٦٢ . |
| (٧) سورة يوسف / ١٠ . | |

- ٦ - « ثمرت » في الآية : « وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا » (١) .
 قرأها بالإفراد من عدا نافعاً ، وابن عامر وحفصاً ، وأبا جعفر (٢) .

* * *

- ٧ - « جملت » في آية : « كَأَنَّهُ جُمِلَتْ صُفْرٌ » (٣) .
 قرأها بالإفراد حفص ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف العاشر ؛ وقرأها غيرهم بالجمع (٤) .

٧

ما الحلّ ، إذن ، تلقاء صعوبات شديدة كهذه يقابلها إجماع وثيق أو كالوثيق على وجوب بقاء رسم المصحف الاصطلاحي كما هو ؟

وما الحلّ ، وهناك - فوق صعوبات الاختلاف بين الخطّ الاصطلاحي للمصحف والخطّ القياسي - صعوبة خطية أخرى يعانى منها المشاركة والمغاربة على سواء ، إذا قرأ أحد الفريقين في مصحف الآخر ؟

إنّ قواعد الكتابة في كلّ من المصحفين تختلف عما هي في الآخر اختلافاً يمكن أن يوقع القارئ في الخطأ ، ولا يوائم طبيعة القرآن الذي يعتبر أتباعه أمة واحدة . ومن أمثلة الاختلافات الخطية بين الفريقين : أنّ المشاركة ينقُطون الفاء بوحدة من فوق ، والقاف بنقطين من فوق أيضاً ، بينما ينقط المغاربة الفاء بنقطة واحدة من أسفل ، والقاف بنقطة واحدة من فوق (٥) .

وما الحل ؟ وبعض علامات الضبط نفسها مختلفة في المصاحف :
 فعلامه التشديد - مثلاً - يجعلها بعض الناس دالاً .
 وبعضهم يجعلها مدّة فوق الحرف المسكّن ، سواء كان همزة أو غيرها من سائر حروف المعجم .
 وبعضهم يجعلها دارة صغيرة فوق الحرف .

(١) سورة فضلت / ٤٧ .
 (٢) الرحيق المختوم ص ٢٠ .
 (٣) (٤) الإنشاف ص ٤٣١ ، والرحيق المختوم ص ١٨ .
 (٥) انظر - مثلاً - المصحف المطبوع بخط معمر ، بإذن مشيخة الجامع الأزهر - إدارة البحوث والثقافة الإسلامية (تحت رقم ١٠٨٥ بتاريخ ١٩٦١/٨/٣ - التزم عبد الحميد أحمد حتى) .

وسبويه وعمامة أصحابه يجعلونها خاء .

وآخرون يجعلونها هاء^(١) ؟

وما الحل ؟ وقد اختلفت مصاحف أهل الحجاز والعراق والشام المنتسخة من المصحف الإمام بعضها عن بعض ، وذلك من حيث الرسم زيادةً ونقصاناً ، على التفصيل الذى يحيط بعلمه الدارسون ، وعلماء الرسم القرآنى ، والذى ذكرته الكتب المتخصصة^(٢) ؟

بل ما الحل ؟ وأبو عبيد القاسم بن سلام أول من ألف فى القراءات بقرّر - فيما ذكرت إحدى الروايات - أنه رأى اختلافات بالحذف والإثبات فيما رسم فى المصاحف عما رآه فى مصحف عثمان بن عفان الذى فيه أثر دمه^(٣) ؟

ما الحل ؟ ومصاحف المصر الواحد قد يكون فيها اختلاف ، فهذه مصاحف العراق اختلفت فى قوله : « حَقَّ تَقَاتِهِ »^(٤) . ففى بعضها : بألف ثابتة ، بين القاف والتاء ، كما ترى فى (تقاته) ، وفى بعضها : بغير ألف ولا ياء ، بين القاف والتاء ، كما ترى فى (تُقَاتِهِ)^(٥) ؟

ما الحل ؟ واختلاف الرسم عما يناسب بعض القراءات المتواترة هو - على نُذْرته ، وعلى كون السماع لا الكتابة هو العمدة فى التلقى القرآنى - مظهر اختلاف بين المصاحف ، فيما يزعم الشارثون وغير المتعمقين . وهذا - على سبيل المثال - أجنس سميت لويس (Agnes Smith Lewis)

فى مقدمته لكتاب : *Leaves from three Ancient Qurans Possibly pre Othmânic* الذى أصدره ، بالاشتراك مع الفونس منجانا Alphonse Mingana^(٦) يُعدُّ من مظاهر الاختلاف بين المصاحف^(٧) كتابة « أولئك » بدلاً من « أولائك » ، و « كلمته » بدلاً من « كلماته »^(٨) .

ما الحل ؟ والشكل فى المصاحف لا يبق - وحده - من اللحن والخطأ . وهذا (على

(١) انظر : أبو عمرو الدانى : المحكم فى نطق المصاحف ص ٥٠ - ٥٢ .

(٢) انظر مثلاً : أبو عمرو الدانى : المقنع - النسخة المطبوعة ص ٩٢ - ٩٩ وص ١٠٢ - ١١٤ .

وانظر حاشية لم يذكر اسم صاحبها فى ص ١٢ من مخطوطة هذا الكتاب رقم ٢٦٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) نفس المرجع - النسخة المطبوعة ص ١٥ .

(٤) سورة آل عمران / ١٠٢ .

(٥) الحاشية السالفة الذكر على النسخة المخطوطة من المقنع .

(٦) الفونس منجانا قيسى عراقى ، ولد فى قرية شراناش من أعمال الموصل . وبعد أن أنهى دروسه فى الموصل ، وعاش فيها مدة ، نرح إلى إنجلترا ، فلبث هنالك حتى توفى سنة ١٩٣٧ م (انظر : كوركيس عواد : نظرات فى دائرة

المعارف الإسلامية - الترجمة العربية - مجلة الرسالة ع ٣ سبتمبر سنة ١٩٤٥ ص ٩٤٨) .

(٧) ولا نقول « قرآناً » كما يقول هو خطأ .

(٨) P. Vi A. Vii

الجارم) الذي بلا تعلم اللغة العربية طويلاً ، وأحاط بمشكلاته خبيراً ، هذا هو يقول في مشروع قَدَمه لمجمع اللغة العربية في ٢٤ من أبريل ١٩٤١ : « جَرَبْنَا أَنَّ الطَّالِبَ الْمُتَقَفَّ لَا يَسْتَطِيعُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَهُوَ مُشْكُولٌ عَلَى أَدَقِّ مَا يَكُونُ الشَّكْلُ ، وَأَحْكَمُ مَا يَكُونُ الضَّبْطُ » (١) .

إنَّ التَّلْقِيَّ الشَّفَوِيَّ هُوَ - فَعَلًا - وَسِيلَةٌ تَعَلَّمَ الْقِرَاءَةَ عَلَى وَجْهِهَا ، وَتَعَلَّمَ رَسُومَ الْمُصْحَفِ ، وَهُوَ الْوَسِيلَةُ الَّتِي تَرْفَعُ مَعَهَا اخْتِلَافَاتِ الرَّسْمِ ، وَيَنْقُطُ - عِنْدَهَا - كُلُّ نِزَاعٍ . وَالْإِنْسَانُ لَا يَعْلَمُ حَتَّى يَكْثُرَ سَمَاعُهُ ، كَمَا يَقُولُ الْجَاخِظُ (٢) ، وَقَدِيمًا وَضَعُ « نَصْرِبْنَ عَاصِمَ » النِّقْطَ أَفْرَادًا وَأَزْوَاجًا ، « وَخَالَفَ بَيْنَ أَمَا كُنْهَا ، بِتَوْقِيعِ بَعْضِهَا فَوْقَ الْحُرُوفِ ، وَبَعْضِهَا تَحْتَ الْحُرُوفِ فَغَبَّرَ النَّاسُ بِذَلِكَ - زَمَانًا - لَا يَكْتُبُونَ إِلَّا مَنقُوطًا ، فَكَانَ - مَعَ اسْتِعْمَالِ النِّقْطِ أَيْضًا - يَقَعُ التَّصْحِيفُ ، فَأَحْدَثُوا الْإِعْجَامَ ، فَكَانُوا يَتَّبِعُونَ النِّقْطَ الْإِعْجَامَ ، فَإِذَا أَغْفَلَ الْاسْتِقْصَاءَ عَلَى الْكَلِمَةِ ، فَلَمْ تُعْرَفْ حَقُوقُهَا ، اعْتَرَى هَذَا التَّصْحِيفُ ، فَالْتَمَسُوا حِيلَةً ، فَلَمْ يَقْدِرُوا فِيهَا - إِلَّا عَلَى الْأَخْذِ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ » (٣) .

ولكن التلقي الشفوي - فيما هو معلوم - غير متاح لكثيرين نتيجة قلة المحفظين في كثير من المناطق ، ولتعدّر ملازمة الكبار لهم .

ألا يكون الجمع الصوتي وسيلة البشرية إلى هذا التلقي ؟
ذلك رأى هذا الضعيف .

٩

وقد دخلت - أخيراً - على بعض طبعات الآيات القرآنية المكتوبة ، علامات الترقيم الحديثة ، كعلامات الاستفهام ، والتأثر ، والتضمين ، وغيرها . والظن أن هذا سيطرد مستقبلاً . ونحن ، للمصلحة الإسلامية ، ندعو - وبالله التوفيق - إلى مثل هذا التطوير في نفس المصاحف المكتوبة ، وننشُد - فوق هذا - بصفة خاصة - كلما تعددت موضوعات السورة الواحدة - الفصل أو التمييز بين هذه الموضوعات عند الكتابة ، وذلك بطريقة يرضاهها علماء الإسلام جميعاً ، وننشُد - في ظل دراسة عميقة واسعة ، وموافقة إسلامية جامعة - أن تكون مواضع الابتداء المقررة عند جمهور العلماء هي بدايات أسطر .

(١) نقلاً عن : عبد العزيز فهمي : الحروف اللاتينية لكتابة العربية ص ٩ .

(٢) انظر : الحيوان ج ١ ص ٥٥ .

(٣) نقلاً عن : العسكري : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٣ .

يبدأنا - بكل التحرز والغيرة - نشترط - في هذا التطوير - شروطاً أساسية يستحيل الترخّص فيها ، ومنها : اتباع كلّ آداب كتابة المصحف التي يعرفها أهل الشأن ، والتمسك بضبط حروف المصحف كلّها بالشكل الكامل ، والاحتفاظ الدقيق بالعلامات الدالة على نهايات الآيات ، وتحميل أمانة هذا التطوير للجنة رسمية ترقى علماً وإخلاصاً إلى مستوى هذا العمل القرآني التاريخي .

على أننا لا نتعرض الآن لتفاصيل فكرة تلك التطوير ، والإبانة عن دواعيها ومخططاتها ، ولكتنا نذكر أنّ المصاحف المرتّلة هي - بالضرورة ، وبالترامها كلّ قواعد القراءة المعبرة - كفيّلة بكلّ أغراض هذه العلامات ، بل كفيّلة بكلّ أغراض الرموز ، ومصطلحات الضبط التي تُقلّل بها المصاحف الآن ، بقصد تيسير القرآن على الناس .

« رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .



البَابُ الثالِثُ

الدِّفَاعُ

- معاضدة المصحف العثماني المجمع عليه
- درء التحريف
- التمكين للغة العربية والوحدة الإسلامية

الفصل الأول

معاودة المصحف العثماني المجمع عليه

١

من الأمور التي قد تثير المعنيين بالقرآن ، وقد تبلبل أفكارهم ، وقد تدخل عليهم اضطراباً وحيرة : ما قيل من أن المصحف العثماني الذي أجمع عليه المسلمون يخالف خطأ ، أو زيادةً ، أو نقصاً ، في مواضع غير قليلة ، مصاحف عدد من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته ، وأنه تدسست إليه تحريفات ذكرها ذاكرون .

والثابت أن علماء القرآن ناقشوا هذه الأقوال أوفى مناقشة ، ثم خلصوا إلى بطلانها ، ولكنها ما برحت تملأ صحائف كثيرة في بعض الكتب ، وما زالت تُعرض أحياناً عرضاً يُلْمز التواتر . ويثير السحائب السود في أفكار الذين لم يدرسوا ما قيل في دحض هذه الأقوال ، والذين لا يملكون القدرة على اكتشاف ما فيها من وهن وبطلان .

ويسم الأمر شيئاً خاصاً أن تلك الاختلافات ليست معزوة إلى أفراد عاديين ، وإنما هي معزوة إلى بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته ، وهم ما هم منزلة عند المسلمين ، وأن روايات تلك الاختلافات صادفت بالفعل - عند بعض الناس - إصغاء مردّه غالباً حسن النية أو نقص الدراسة .

٢

وقد تعددت المصاحف التي قيل إن الصحابة كتبوها ، فهناك مصاحف منسوبة إلى : عبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عباس ، وأبي موسى الأشعري ، وأنس بن مالك ، وعمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ،

وعبد الله بن عمرو ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وعبيد بن عمير ، وأمهاث المؤمنين : عائشة وحفصة ، وأم سلمة (١) .

ومع أنّ هذه المصاحف - على فرض وجودها - ومخالفتها للمصحف العثماني - فردية وخاصة ، ومع أن من أصحابها من قيل إنه اشترك في الجمع العثماني ، مثل أبي بن كعب ، ومع أن من أصحابها أيضاً من هو أحد المجمعين على ما فعل عثمان ، مثل علي بن أبي طالب ،

فقد روى الكثير عن اختلاف هذه المصاحف عن مصحف عثمان (٢) ، وروى أنّ من أصحاب هذه الاختلافات من مضوا في تمسكهم بقراءتهم ، كما حدث - فيما تقول بعض الروايات - من ابن مسعود ، ومن أبي بن كعب (٣) .

ولعل من طريف ما يروى عن استمسك بعض الناس بقراءة ابن مسعود أن الشيعي الإمامي كان إذا حَلَفَ قال : إني إذا نقضت يميني وقعت في كذا وكذا من الآثام ، « وأدخلت في القرآن ما لم يشته ابن مسعود ! » (٤) .

• • •

وتعددت - كذلك - كتب السلف عن اختلاف المصاحف (٥) . ومن هذه الكتب :

١ - كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق ، لابن عامر اليحصبي المتوفى سنة ١١٨ هـ .

٢ - كتاب اختلاف مصاحف أهل المدينة ، وأهل الكوفة ، وأهل البصرة ، لسكاسني المتوفى سنة ١٨٩ هـ .

٣ - كتاب اختلاف أهل الكوفة ، والبصرة ، والشام في المصاحف ، للفرّاء البغدادي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .

٤ - كتاب اختلاف المصاحف ، لخلف بن هشام المتوفى سنة ٢٢٩ هـ .

(١) انظر معلومات عن كل من هذه المصاحف في :

Arthur Jeffery : Materials For The History of The Text of The Quran, P.P. 20 - 236.

Ibid, Passim

(٢)

(٣) انظر مثلاً : محمد بنيت المطيبي : الكلمات الحسان ص ١٨ و ١٩ و ٤٩ .

(٤) انظر : ابن فضل الله العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ص ١٥٩ .

والفلقشندي : صبح الأضنى ج ١٣ ص ٢٣٤ .

(٥) انظر : ابن التديم : الفهرست ص ١٦ (ط) لبيزج سنة ١٨٧٢ م .

- ٥ - كتاب اختلاف المصاحف ، لأبي حاتم المتوفى سنة ٢٤٨ هـ .
 ٦ - كتاب المصاحف والهجاء ، لمحمد بن عيسى الأصبهاني المتوفى سنة ٢٥٣ هـ .
 ٧ - كتاب المصاحف ، لابن أشته الأصبهاني المتوفى سنة ٣٦٠ هـ .
 ٨ - كتاب المصاحف ، لابن أبي داود السجستاني المتوفى سنة ٣١٦ هـ .
 ٩ - كتاب اختلاف المصاحف ، وجامع القراءات ، للمدائني المتوفى سنة ٣٢١ هـ (١) .
 ١٠ - كتاب المصاحف ، لابن الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨ هـ .
 ١١ - كتاب غريب المصاحف ، للوزّاق .
 والملاحظ أن أغلب أسماء هذه الكتب يتضمّن صراحة عبارة « اختلاف المصاحف » .
 وأبقى هذه الكتب أثراً : الثلاثة التي ألفها ابن الأنباري ، وابن أشته ، وابن أبي داود .
 وأشهر هذه الثلاثة كتاب ابن الأنباري . ولئن كان هو وكتاب ابن أشته ضائعين الآن ، إلا أن
 الكثير من محتوياتهما - في شأن اختلاف المصاحف - واصل الحياة في الكتب الأحدث
 تاريخياً من مثل : « الإتيقان » و « الدرّ المنثور » ، وكلاهما للسيوطي (٢) .
 وقد قيل إن ابن مِقْسَم العطار الذي ألعنا إليه في موضع آخر جمع أيضاً كتاباً في
 المصاحف (٣) .

وقيل إن أبا موسى القزويني أعدّ كتاباً أبرز فيه القراءات المتغايرة (٤) ، وإن بعض
 المصاحف التي كتبت في القرنين الثالث والرابع الهجريين تضمنت مثل هذا (٥) .
 وكذلك أورد بعض المفسرين - أمثال : الزمخشري ، وأبي حيان الأندلسي ،
 والشوكاني - إشارات متفرقة ذات بال إلى اختلافات بين المصاحف .
 ووردت إشارات - من هذا القبيل أيضاً - في كتب اللغة ، من مثل : « إملاء ما منّ
 به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن » للعكبري ، و « إعراب القراءات
 الشاذة » له أيضاً ، و « المحتسب » لابن جني .
 وابن الأثير يقول إنه لما ورد إلى الكوفة مصحف عثمان أخذ به بعض أهلها ، ولكن كثيرين
 منهم بقوا على الأخذ بمصحف ابن مسعود الذي أصبح فيما بعد محلّ تقدير الشيعة (٦) .

(١) انظر : آرثر جفري : مقدمة كتاب المصاحف ، لابن أبي داود ص ١٠ .
 وابن النديم : الفهرست ص ٣٦ ، وفيه : كتاب اختلاف المصاحف وجمع القراءات .
 (٢) انظر : OP. cit. P.P. lo & ll. (٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٢ .
 (٤) A. Jeffery : Ibid, footnote P. 2 (٥) Loc. cit.
 (٦) الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٨٦ و ٨٧ (ط . نورنبرج) .

وكذلك يذكر العاملى أنه لا زال بأيدي الشيعة مصاحف يقولون إنها بخط على أو بعض أبنائه ، أو أحد أهل البيت^(١) .

وقد نُشر لألفونس منجانا Alphonse Mingana (١٨٨١ - ١٩٣٧) ، وأجنس سميث لويس Agnes Smith Lewis ، فى سنة ١٩١٤ ، كتاب بعنوان « أوراق من ثلاثة مصاحف قديمة يمكن أن تكون سابقة للمصحف العثمانى ، مع قائمة بما فيها من اختلافات »^(٢) ، كما نُشر لمنجانا كتاب باسم : « ترجمة سريانية قديمة للقرآن تعرض آيات جديدة واختلافات »^(٣) (كذا) وأورد جولد تيمير فى كتابه : « مذاهب التفسير الإسلامى » الزيادات المقول بوجودها فى المصاحف الفردية غير مصحف عثمان^(٤) .

وقد جمع جفرى (Jeffery) الاختلافات المنسوبة إلى المصحف الفردى لكل من : ابن مسعود^(٥) ، وأبى بن كعب^(٦) ، وعلى بن أبى طالب^(٧) ، وابن عباس^(٨) ، وأبى موسى الأشعري^(٩) ، وحفصة^(١٠) ، وأنس بن مالك^(١١) ، وعمر بن الخطاب^(١٢) ، وزيد بن ثابت^(١٣) ، وابن الزبير^(١٤) ، وعائشة^(١٥) ، وسالم مولى أبى حذيفة^(١٦) ، وأم سلمة^(١٧) ، وعبيد بن عمير^(١٨) . وكذلك جمع الاختلافات المنسوبة إلى مصاحف الثالين للصحابة ، فجميع ما قيل إنه ورد فى المصحف الفردى لكل من : الأسود بن يزيد^(١٩) ، وعلقمة^(٢٠) ، وحنظلة^(٢١) ،

(١) أعيان الشيعة ج ١ ص ١٥٠ .

(٢) Leaves From Three Ancient Qurans Possibly pre - Othmanic with a list of their Variants.

ويلاحظ أنه استعمل لفظ Qurans - قرآن بالجمع - وهو خطأ كبير جداً ، وكان الصواب لو استعمل كلمة

« المصاحف » .

(٣) An Ancient Syriac Translation of The Kuran, exhibiting new Verses and Variants.

(٤) انظر الترجمة العربية لعبد الحليم النجار من ص ٢١ إلى ص ٤٧ .

P. P. 227 - 229.	(١٤)	P. P. 25 - 113.	(٥)
P. P. 232 - 233.	(١٥)	P. P. 117 - 181.	(٦)
P. 234.	(١٦)	P. P. 185 - 192.	(٧)
P. 235.	(١٧)	P. P. 195 - 208.	(٨)
P. P. 237 - 238.	(١٨)	P. 211.	(٩)
P. 240.	(١٩)	P. 214.	(١٠)
P. P. 242 - 243.	(٢٠)	P. P. 216 - 217.	(١١)
P. 244.	(٢١)	P. P. 220 - 222.	(١٢)
		P. 224.	(١٣)

وسعيد بن جبير^(١) ، وطلحة^(٢) ، وعكرمة^(٣) ، ومجاهد ، وعطاء بن رباح^(٥) ، والربيع
ابن الخيثم^(٦) ، والأعمش^(٧) ، وجعفر الصادق^(٨) ، وصالح بن كيسان^(٩) ، والحارث
ابن سويد^(١٠).

كما جمع « جفري » الاختلافات المنسوبة إلى المصاحف المجهولة لأصحاب^(١١).

وكأنما وجد بعض المستشرقين - في موضوع اختلاف المصاحف - ميداناً يحبون فيه
ويضعون ، ليشفوا رغبة في صدورهم : هي زلزلة العقائد ، وفتح أبواب الشكوك والريب ،
وفصم العروة الوثقى ، والرابطة المحكمة بين المسلمين . فهؤلاء المستشرقون يعرفون أن الشك في
نص يوجب الشك في آخر ، فهم يلحون في طلب روايات الاختلاف ، وينقلونها في غير
تحرز ، ويؤيدونها غالباً ، ولا يمتحنون أسانيدھا ، ولا يلتفتون إلى آراء علماء المسلمين فيها .
ومن أشهر المستشرقين المحدثين الذين سلكوا هذا المنهج : تيودور نولدكه T. Noeledeke^(١٢) .
ومع أن بعضهم لا يجدون مناصاً من الاعتراف بأن بعض الاختلافات تبدو مستحيلة من
الناحية اللغوية^(١٣) ، وبعضها الآخر يشعر أنها مما اخترع بعض اللغويين (Philologers) الذين
نحلّوا اختراعاتهم هؤلاء الصحابة^(١٤) ، والتابعين الأولين ، فإنهم يصفون مصحف عثمان بأنه
أدنى المصاحف إلى الأصل^(١٥) ، ولا يقولون إنه الأصل نفسه .

ومهما يكن من شيء ، فإن المصاحف المقول بمخالفتها لمصحف عثمان - على فرض جملتي

P. P. 315 329. (٧)

P. P. 332 - 337. (٨)

P. 338. (٩)

P. 339. (١٠)

P. P. 340 341. (١١)

P. P. 246 252. (١)

P. P. 254 - 267. (٢)

P. P. 269 - 275. (٣)

P. P. 277 289. (٤)

P. P. 295 296. (٥)

P. P. 298 313. (٦)

(١٢) ولد في سنة ١٨٣٦ ، وتوفى سنة ١٩٣٠ ، وله عدة مؤلفات ، من أشهرها : « قواعد اللغة العربية » (فينا سنة
١٨٩٦) ، « قواعد السريانية » (ليبرج سنة ١٨٨٨) ، « تقارب اللهجات » (هال سنة ١٨٧٥) و « تاريخ القرآن »
(جوتنجن سنة ١٨٦٠) و « دراسة العلاقات الخمس وتاريخ الجاهلية » (ليدن سنة ١٨٧٩) - انظر : نجيب العقيق :
المشركون ج ٢ ص ٧٣٨ .

Jeffery : Loc. cit. P. X. (١٣)

Ibid P. IX. (١٤)

Ibid P. X. (١٥)

بحث هو أنّها بقيت قليلاً أو كثيراً بعد الجمع العثماني - لم تنظر بما ظفر به هذا الأخير من إجماع الصحابة وثقتهم وأخذهم بما تضمنه من الأوجه والقراءات .

وقد تنبه المسلمون ، منذ قديم ، إلى أن هذه المصاحف - على نفس الفرض لجليل البحث آنفاً - فردية كتبها أصحابها لأنفسهم ، وأنها - وقد أشرنا إلى هذا قبلاً - ربما تضمنت ما كانت روايته آحاداً ، وما نسخت تلاوته ، وما لم يكن في العرصة الأخيرة (١) ، وأنه اختلطت فيها أحياناً الألفاظ القرآنية بالشرح وبيان التأويل .

ونحن - كما يقول ابن حزم - « وإن بلغنا الغاية في تعظيم أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، ورضوان الله عليهم - وتقربنا إلى الله - عزّ وجلّ - بحبّهم : فلست نُبعد عنهم الوهم والخطأ ، ولا نقلدهم في شيء مما قالوه ، إنما نحن نأخذ عنهم ما أخبرونا به عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما هو عندهم ، بالمشاهدة والسمع لما ثبت من عدالتهم ، وثقتهم وصدقهم . وأما عصمتهم من الخطأ فيما قالوه - برأى وبظنّ - فلا نقول بذلك » (٢) .

ونحن نرى أيضاً ، مثل رأى ابن حزم ، حين يقول : « والوهم لا يعرى منه أحد . بعد الأنبياء ، عليهم السّلام » (٣) .

وربّما كان أهم من هذا أنّ المصاحف المنسوبة لبعض الصحابة قد أمر عثمان - فيما هو ثابت - بإحراقها ، على ملأ من الصحابة وبموافقتهم ، فهي إذن غير موجودة ، ففهم المناقشة ، وليس بين أبيدينا ما تناقشه ؟

هذا ، وأغلب الكتب الآتفة والمؤلفة في اختلاف المصاحف العثمانية هي في بيان القراءات المتواترة التي لا يحتملها رسم واحد ، فكما ذكرنا قبلاً في فصل (جمع عثمان) ، عمدت كجنته الجمع إلى كتابة بعض هذه القراءات في مصحف وبعضها في مصحف آخر ، على التفصيل الذي أوردنا له هناك بعض الأمثلة .

(١) فضلاً ، قرأ ابن مسعود بمكة ، وعرض هناك ، وقرأ أبي ، وعرض بعد الهجرة ، بينما قرأ زيد بن ثابت بعدها ، وعرض في سنة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) الفصل في الملل والنحل ج ٢ ص ٧٦ .

(٣) نفس المرجع ص ٧٧ .

٣

وقد بدا لنا أنّ من حقّ العلم - فضلا عن الدّين - على من يصدّقون بالجمع العثماني ، أن يعاضدوه ، فيسجّلوه تسجيلًا صوتيًا لا يلتزم إلا بما فيه .

ونحن نشير - فيما يلي - إلى أشهر التحريفات المدّعاة على مصحف عثمان ، وما قال علماء القرآن في شأنها . وسنرى أن التسجيل الصوتي لهذا المصحف سيكون تأييداً عملياً من الأخلاف ، للعمل السليم الذي أجمع عليه الأسلاف ، وانعقد به تصديق المسلمين منذ عهد الصحابة ، وسيكون - بالحق - إهداراً لتلك الدعاوى التي يؤكّد البحث الموضوعي أنها خاطئة ومختلفة ، والتي تفتح مع ذلك - أمام بعض الناس - أبواباً للشكّ والإلحاد .

• • •

١ - نسبو إلى ابن مسعود أنه أسقط الفاتحة من مصحفه (١) .

ويقول ابن قتيبة في «مشكل القرآن» : إن ذلك « ليس لظنّ ابن مسعود أن الفاتحة ليست من القرآن ، معاذ الله ! ولكنه ذهب إلى أنّ القرآن إنما كُتِبَ وُجُمع بين اللوحين ، مخافة الشك ، والنسيان ، والزيادة والنقصان ، ورأى أن ذلك مأمون في سورة « الحمد » لقصرها ، وجوب تعلمها على كل أحد » (٢) .

وقول ابن قتيبة جدير جداً بأن نقبله ونطمئن إليه ، فإن عورض بأن ثمة سوراً في القرآن قصيرة ، ويقرأ بها الكافة في صلاتهم ، لسهولة حفظها ، ومع ذلك أثبتّها ابن مسعود في مصحفه... وإن قيل إن الروايات التي وردت عن رأي ابن مسعود في قرآنية المعوذتين (٣) ربما عضدت أنه أسقط الفاتحة ، وكان إسقاطه إياها لسبب غير ما ساقه ابن قتيبة ، قلنا : إن الفاتحة - في الصلاة - غير سور القرآن قصيرها وطويلها ، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » (٤) . وفي الحديث عن عبادة بن الصامت - فيما أخرجه الحاكم النيسابوري - : « أمّ القرآن عوض من غيرها ، وليس غيرها منها عوض » (٥) .

(١) انظر : السيوطي : الإتقان ج ١ ص ٦٥ و ٧٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٠ .

(٣) سيرد هذه الروايات ذكر فيما بعد .

(٤) رواه البخاري ومسلم ، عن عبادة بن الصامت وانظر : مستدرك أبي عوانة الأسفرايني ج ٢ ص ١٢٥ .

(٥) المستدرک ج ١ ص ٢٣٨

على أنّ هناك ما يشبه أن يكون إطباقاً على ردّ رواية الإنكار أصلاً .
ويجمع بعض الأصوليين والفقهاء كثيراً من النصوص في هذا الشأن (١) .
١ - قال السيوطي في « الإتيان » : الأغلب على الظن أنّ نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل باطل .

- ٢ - وفيه : نُقل عن القاضي أبي بكر : أنه لم يصحّ هذا النقل عنه ، ولا حُفظ عنه .
٣ - ونُقل عن النووي في (شرح المذهب) : أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن ، وأن من جحد شيئاً منها كفر ، وما نُقل عن ابن مسعود باطل غير صحيح .
٤ - وفيه أيضاً : قال ابن حزم : هذا كذب على ابن مسعود موضوع . . . إلخ .
٥ - ويقول (فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت) في الردّ على تلك الرواية : وهذا ليس بشيء ، فإنه قد تقدّم النقل عن الأئمة بعدم صحته ، والرواية عسى وهم في نسبة النبي . . .
٦ - وقد ورد عن ابن مسعود ما يمكن أن يكون فصل الخطاب في هذا الموضوع :
قال أبو بكر الأنباري : حدثنا الحسن بنُ الحباب ، حدثنا سليمان بن الأشعث ، حدثنا ابنُ أبي قدامة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، قال : أظنّه عن إبراهيم ، قال :
قيل لعبد الله بن مسعود : لم لم تكتب فاتحة الكتاب في مصحفك ؟

وفي هذه المسألة أحاديث كثيرة صحيحة :

- يقول النووي الشافعي في كتابه (المجموع شرح المذهب) عن قراءة الفاتحة في الصلاة :
« وقراءة الفاتحة للقادر عليها فرض من فروض الصلاة ، وركن من أركانها ، وتعيّنة لا يقوم مقامها ترجمتها بغير العربية ، ولا قراءة غيرها من القرآن ، ويستوى في تعيّنهما جميع الصلوات : فرضها وظلها ، جهرها وسرها ، والرحل ، والمرأة ، والصبي ، والمسافر ، والقائم ، والقاعد ، والمضطجع ، وفي حال شدّة الخوف ، وغيرها .
وصراه في تعيّنهما : الإمام والمأموم والمنفرد . . . » (ج ٣ ص ٢٨٥ ط - زكريا يوسف)
« . . . وبهذا قال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم .
وقد حكاه ابن المنذر عن عمر بن الخطاب ، وعثمان بن العاص ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وختوات بن جبير ، والزهرى ، وابن عوف ، والأوزاعي ، ومالك ، وابن المبارك ، وأحمد ، وإسحق ، وأبي ثور .
وحكاه أصحابنا عن الثوري وداود (نفس المرجع) .
ويقول الحنبلي إنّ قراءة الفاتحة هي الركن الثالث في حقّ الإمام والمنفرد لما روي عن عبادة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم (انظر : ابن قدامة المقدسي : الكافي في فقه الإمام المجلل : أحمد بن حنبل ج ١ ص ١٦٧) .
وهم يقرّون الفاتحة مرتبة متوالية مشدّدة ومرتلة ومعربة . (انظر : شرف الدين موسى الحجاري المقدسي المتوفى سنة ٥٩٦٨ . الإتيان في فقه الإمام أحمد بن حنبل ص ١١٦) .

(١) انظر مثلاً :

عبد العلي محمد بن نظام الدين الأنصاري : فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت بحبّ الله بن عبد الشكور (لمبيل المستصفي للقرآن ج ٢ ص ٩) .

قالو : لو كتبها لكتبها مع كل سورة .
قال أبر بكر : يعنى أن كل ركمة سبيلها أن تفتح بأم القرآن قبل السورة المتلوة بعدها .
فقال : اختصرت بإسقاطها ، وثقت بحفظ المسلمين لها ، ولم أثبتها في موضع فيلزمنى
أن أكتبها مع كل سورة ، إذ كانت تتقدمها في الصلاة (١) .

• • •

٢- وذكر أبو حيان المفسر : « قرأ ابن مسعود ، وابن عباس ، وابن الزبير « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ » (١) (في موسم الحج) بزيادة « في موسم الحج » على القراءة المشهورة .
والأولى - كما يقول أبو حيان - : « جعل هذا تفسيراً لأنه مخالف لسواد المصحف الذى أجمعت عليه الأمة » (٢) .

ومما يذكر هنا في شأن ما روى عن ابن مسعود ، مما لم يثبت عند أهل النقل ، قول النووى وهو قول يجد إلى العقل سبيلاً قاصداً :

« . . . وأما ابن مسعود ، فرويت عنه روايات كثيرة :

منها ما ليس بثابت عند أهل النقل .

وما ثبت منها مخالفاً لما قلناه : فهو محمول على أنه كان يَكْتُبُ - في مصحفه - بعض الأحكام والتفاسير ، مما يعتقد أنه ليس بقرآن ، وكان لا يعتقد تحريم ذلك ، وكان يراه كصحيفة يثبت فيها ما يشاء .

وكان رأى عثمان والجماعة منع ذلك ، لئلا يتناول الزمان ويُنظَنَ ذلك قرآناً (٣) وللآمدى - في إبطال صدق ما نقل عن ابن مسعود أو ما قيل إنه نُقل عنه - منطق مقبول . يقول الآمدى :

« فلو قلنا : إن ما نقله ابن مسعود قرآن لزم ارتكاب من عداه من الصحابة للحرام بالسكوت .

ولو قلنا : إنه ليس بقرآن لم يلزم منه ذلك ، لا بالنسبة إلى الراوى ، ولا بالنسبة إلى من عداه من الساكتين .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١١٤ .

(٢) سورة البقرة / ١٩٨ .

(٣) البحر المحيط ج ٢ ص ٩٤ .

(٤) انظر : صحيح مسلم بشرح النووى ج ٦ ص ١٠٨ - ١١٠ .

وبتقدير ارتكاب ابن مسعود للحرام ، مع كونه واحداً ، أولى من ارتكاب الجماعة له .
وعلى هذا ، فقد بطل قولهم بظهور صدقه ، فيما نقله ، من غير معارض^(١) .
أما ابن حزم ، فيصف ما قيل من خلاف بين مصحف ابن مسعود ومصحفنا . بأنه
« باطل ، وكذب ، وإفك » . وحجته أن قراءة ابن مسعود « هي قراءة عاصم المشهورة . عند
جميع أهل الإسلام ، في شرق الدنيا وغربها ، فقرأ بها - كما ذكرنا - وبغيرها ، بما قد
صح أنه كله منزل من عند الله تعالى »^(٢) .

• • •

٣ - وقيل إن عائشة سئلت عن قوله تعالى : « وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتِينَ الزَّكَاةَ »^(٣) ،
وعن قوله : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ »^(٤) ، وعن قوله : « إِنَّ هَذَا لَسَجْرَانِ »^(٥)
فقلت : يا ابن أخي ! هذا كان خطأ من الكاتب^(٦) .

(أ) وراوى هذا هو أبو معاوية الضرير الذى شهد علماء الحديث أن فى قوله
أحاديث مضطربة ، وأنه « ربما دلّس »^(٧) ، وأنه « كان مرجحاً خبيثاً »^(٨) .
وهذا - مع ما سنذكره الآن من وجوه توهين هذه الرواية - يدعوننا - علمياً - إلى رفضها
أصلاً ، فضلاً عن أن نعول عليها .

(ب) ومخطئة رسم المصحف فى قوله : « وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ » نَقَضَهَا العلماء منذ قديم .
وقد يكفى - فى هذا الشأن - نقل ما ذكره أبو حيان الأندلسى المفسر ، قال :
« وُدُّكَرَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ، وَعَنْ أَبِي بَانَ بْنِ عَثْمَانَ ، أَنَّ كَتَبَهَا بِالْبَاءِ مِنْ خَطِّ
كَاتِبِ الْمَصْحَفِ .

ولا يصحّ ذلك عنهما ، لأنهما عربيان فصيحان ، وقطع النعوت أشهر فى لسان العرب ،
وهو باب واسع ذكر عليه شواهد سيويه وغيره ، وعلى القطع خرّج سيويه ذلك .

(١) الإحكام فى أصول الأحكام ج ١ ص ٢٣٢ و ٢٣٣ .

(٢) الفصل فى الملل والنحل ج ٢ ص ٧٧ .

(٣) سورة النساء / ١٦٢ .

(٤) سورة المائدة / ٦٩ .

(٥) سورة طه / ٦٣ .

(٦) الفراء : معانى القرآن ج ١ ص ١٠٦ .

(٧) انظر : كتاب الملل و معرفة الرجال لأحمد بن حنبل ج ١ ص ٢٤١ .

وانظر : ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب ج ٩ ص ١٣٨ و ١٣٩ .

(٨) نفس المرجع .

قال الزمخشري : لا يُلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً في خطِّ المصحف . وربما
 التفت إليه من لم ينظر في « الكتاب » - يريد كتاب سيويه - (١) ، ولم يعرف مذاهب
 العرب ، وما لهم في النَّصْب على الاختصاص من الافتنان ، وخفي عليه أنَّ السابقين
 الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل ، كانوا أبعد همّة في الغيرة على الإسلام ،
 من أن يتركوا في كتاب الله ثلماً يسدها من بعدهم ، وخرقاً يرفوه من يلحق بهم (٢) .
 ثم إنه لا يصعب تخريج النصب الذي يقرأ به الجمهور ، على المدح والتقدير ،
 أي : أمدح ، وأقدر المقيمين الصلاة (٣) .
 يقول ابن جني في « المحتسب » : القطع - لكونه بتقدير الجملة أبلغ من الإتياع
 لكونه مفرداً (٤) .

وقالت الخورنق (٥) :

لا يَبْعَدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هَمُّ سَمِّ الْعُدَاةِ وَآفَةِ الْجُزُرِ
 النَّيْزِلُونَ بِكُلِّ مَعْرَكٍ وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ

فنصبت « الطيبين » على المدح ، فكأنها قالت : أعني : الطيبين (٦)

(ح) أما قراءة : « وَالصَّيْبُونَ » بالواو ، فكيف يُنسب إلى عائشة أنها خطأتها ، مع
 أنه لم يُنقل عنها أنها خطأت من يقرأ بها ؟ ولم ينقل أنها كانت تقرأ بالياء دون الواو ؟ (٧) .
 على أن التحويين يرون أن « وَالصَّيْبُونَ » رُفِعَ على الابتداء ، وخبره محذوف ، والنَّيْبَةُ به
 التأخير عما في حيز « إِنَّ » ، من اسمها وخبرها ، كأنه قيل : إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ

(١) طبع هذا الكتاب في باريس سنة ١٨٨٥ ، بتصحيح هريونغ ورتيرغ (بالمطبع العامي الأشرف) .

(٢) البحر المحيط ج ٣ ص ٣٩٥ و ٣٩٦ .

(٣) انظر : السيوطي : الإنفاق ج ١ ص ١٨٤ .

(٤) انظر : حمزة فتح الله : المواهب الفتحية ج ٢ ص ٨٢ .

(٥) وهي بنت بدر بن هفان أخت طرفة لأمه ، وهي هنا تربي زوجها بشر بن عمرو بن مرثد .

(٦) انظر : أبو البركات الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف ص ٢٧٦

ولا يبعدن : أي لا يهلكن (تدعو لقومها) .

والجزر : جمع جزور ، وهي الناقة التي تُنحر .

والمعرك : موضع القتال .

وتكفي به : الطيبين معاقدة الأزور عن عقبتهم وطهارتهم .

(٧) انظر : محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان ص ١٨٨

هادوا والنصارى حكمهم كذا . . . والصابئون كذلك (١) . وقد أورد سيبويه شاهداً له :
قولَ بشر بن أبي حازم :

والأ فاعلموا أننا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق (٢)
كأنه قال : بغاة ما بقينا وأنتم (٣) .

(د) وأما عبارة : « إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ » : ففيه أوجه ذكرها صاحب « الإتيان » ،
وغيره (٤) :

(أحدها) أنه جائز ، على لغة من يُجرى المثني بالألف ، في أحواله الثلاث ، وهي
لغة مشهورة لكنانة ، وقيل : لغة بلحارث بن كعب ، يقولون : مررت برجلان ، وقبضت
درهمان ، وجلست بين يديه . ومنه قول الشاعر :

واهاً لسلمي ثم واهاً واهاً يا ليت عيناها لنا وفاها
وموضع الخللخال من رجلاها بضمن يرضى به أباهها
إن أباهها وأبا أباهها قد بلغنا من المجد غايتها

ومنه أيضاً قول الشاعر الآخر :

تزود منا بين أذناه ضربةً دعه إلى هافي التراب عقيم
(الثاني) أن اسم « إن » ضمير الشأن محذوفاً ، والجملة - مبتدأ ، وخبرٌ - خبرٌ
« إن » .

(الثالث) أن اسم « إن » ضمير الشأن محذوفاً ، إلا أن « ساحران » خبر مبتدأ
محذوف ، والتقدير : لهما ساحران .

(الرابع) أن « إن » - هنا - بمعنى : نعم

(الخامس) أن « ها » ضمير القصة اسم إن ، و « إن . . . لساحران » مبتدأ وخبر (٦) .

(السادس) أن الإتيان بالألف هو لمناسبة « ساحران يريدان » ، كما نون « سلاملا »

(١) انظر : الرمخشري : الكشاف ج ١ ص ٣٥٤ .

(٢) الكتاب ج ١ ص ٢٩٠ .

(٣) انظر : عبد الفتاح إسماعيل شلبي : رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات ص ١١٠ .

(٤) ج ١ ص ١٨٤ .

(٥) انظر مثلاً : ابن مطرف الكتاني : القرطبي ج ٢ ص ١٠ و ١١ .

(٦) هذا الوجه مردود ، لأن « إن » منفصلة ، و « ها » متصلة في الرسم .

لمناسبة «أغلاًلاً» (٦) ، و«من سبياً» بمناسبة «ينبأ» (٧) .

(٥) وأبو عمرو الداني يستبعد على عائشة - في عظيم محلها ، وحليل قدرها ، واتساع علمها ، ومعرفتها بلغة قومها - «أن تلحن الصحابة ، وتخطئ الكتب ، وموضعهم من الفصاحة والعلم باللغة موضعهم الذي لا يجهل ولا يُنكر» (٨) . ويقول : «هذا ما لا يسوغ ولا يجوز» (٩) .

ونحن نظمن لهذا الرأي أيضاً .

• • •

٤ - وقالوا إنه قيل لزريد : يا أبا سعيد ! أوهمت ؟ إنما هي : ثمانية أزواج : من الضأن اثنين اثنين ، ومن المعز اثنين اثنين ، ومن الإبل اثنين اثنين ، ومن البقر اثنين اثنين (١٠) . فقال - مؤيداً نصّ المصحف العثماني الذي أجمع عليه المسلمون - : «لأن الله - تعالى - يقول : «فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى» (١١) ، فهما زوجان ، كل واحد منهما زوج : الذكر زوج ، والأنثى زوج» (١٢) .

ويقول القرطبي : فقوله : «ثمانية أزواج» يعني : ثمانية أفراد ، وكل فرد عند العرب يحتاج إلى آخر يسمى زَوْجاً ، فيقال للذَّكَرِ زَوْجٌ ، وللأنثى زوج . ويقع لفظ الزَّوْجِ للواحد وللثنتين ، يقال : هما زوجان ، وهما زوج ، كما يقال : هما سيان ، وهما سواء ، وتقول : اشتريت زوجي حمام ، وأنتُ تعني : ذكراً وأنثى (١٣) .

وكذلك يقول أبو حيان الأندلسي ، في تفسيره : «والزوج ما كان مع آخر من جنسه ، وهما زوجان . قال : «وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى» (١٤) ، فإن كان وحده فهو فرد ،

(١) اللفظان من الآية ٤ في سورة الإنسان .

(٢) اللفظان من الآية ٢٢ في سورة النمل .

(٣) المقنع ص ١١٩ (النسخة المطبوعة) .

(٤) نفس المرجع .

(٥) النص في المصحف : «ثمانية أزواج من الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين ، قل الذكركين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليهما أرحم الأنثيين ، نبوي يعلم إركنكم صديقين » ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ، قل الذكركين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليهما أرحم الأنثيين . أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا . . . (سورة الأنعام / ١٤٣ / ١٤٤) .

(٦) سورة القيامة / ٣٩ .

(٧) انظر : السيوطي : الإتيان ج ١ ص ١٨٥ .

(٨) الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ١١٢ .

(٩) سورة النجم / ٤٥ .

وبعنى باثنين : ذكراً وأُنثى ، أى : كبشاً ، ونعجةً ، وتيساً ، وعنزاً (١) .
وفى تفسير إسماعيل حتى :

« والزواج : هو ما معه آخر من جنسه يزوجه ، ويحصل منهما النسل : فالانثان المصطحبان يقال لهما : زوجان لا زوج .

فعلى هذا ، يقال : مقرضان ، ومقضان ، لا مقرض ومقض ، لأنهما اثنان (٢) .
وإذن ، فكلام زيد - أنفأ - صحيح ، وهو أيضاً : « بيان لوجه ما كتبه وقراه سماعاً وأخذاً عن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا تصرفاً وتشبيهاً من تلقاء نفسه » (٣) .

» » »

والمعترض على زيد - إن صحَّتْ أصلاً رواية الاعتراض - أشكلت عليه - بيقين - كلمة (أزواج) ، فهو فهمها على أن مفردهما ، وهو زوج ، يعنى - فى الآية - فردين لا فرداً واحداً .

أى أن الآية - بحسب فهم المعترض - تعنى ثمانية أشفاع (جمع شفع) : من الضأن اثنين اثنين ، أى أربعة ، ومن المعز اثنين اثنين ، أى أربعة أيضاً ، وهكذا من الإبل ، وهكذا من البقر ، فتصير منها جميعاً ثمانية أشفاع ، بستة عشر فرداً .
ولا هكذا - فيما هو واضح جداً - مراد الآية :

يقول تعالى :

« مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ » ، أى أنثى من الضأن زوجين : الكبش والنعجة .
« وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ » ، أى التيس والعتر .

« قُلْ » يا محمد :

« أَلَدَّكَّرِينَ حَرَّمَ » ؟ من ذبئك النوعين : الكبش والتيس ؟
« أَمَّا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثَيْنِ » ، أى ما حملت إناث النوعين ذكراً كان أو أنثى ؟
« وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ » : عطف على « مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ » ، أى ، وأنثى من الإبل اثنين هما الجمل والناقة .

(١) البحر المحيط ج ٤ ص ٢٣٩ .

(٢) تفسير القرآن المسمى بروح البيان ج ١ ص ٦٨٧ .

(٣) محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان ص ٣٨٩ .

« وَمِنْ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ » : الثور والبقرة .

فهذه هي الثمانية الأزواج المفهومة - بحق - على أنها ثمانية أفراد ، فأين الثمانية الأخرى التي زعمها المعارض ؟

والآن ، ألا يحق لنا علمياً - تلقاء هذا الاعتراض المجهول النسب ، والذي يُغضى عن معرفة لغوية سهلة وجهرية ، يُغضى إلى إساءة دينية وتاريخية خطيرة ، وهي التغيير من المعاني الصريحة في التزويل ، ورعى جامعيه بالنسيان أو التضليل - ألا يحق لنا أن ننكر نسبة هذا الاعتراض إلى مسلم عربي عاصر جامعي القرآن ، وأن نعزوه - في غير قلق علمي - إلى بعض خصوم الإسلام ، ممن واجهوا كتابه بالعداوة ، وأيضاً بالعباوة ؟

• • •

٥ - وزعموا أن ابن عباس قرأ : « أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً » . فقيل : إنها في المصحف : « أفلم بأيس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً » (١) ، فأجاب - فيما ادعت الرواية - : أظن الكاتب كتبها وهو ناعس (٢) . وأورد الرازي أيضاً في (التفسير الكبير) (٣) ما نُسب إلى عليّ وابن عباس من أنهما كانا يقرآن : « أفلم يأس الذين آمنوا . . . » وما عُزى إلى ابن عباس من أنه قيل له : « أفلم يأس » ، فقال : أظن أن الكاتب كتبها وهو ناعس : إنه كان في الخط « يأس » ، فزاد الكاتب ستة واحداً ، فصار « يأس » ، فقرأ : « يأس » .

والتزييف في هذه الرواية واضح :

فالعبارة في تلقى القرآن ، عند المسلمين ، منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، هي بالتلقين الشفوي أولاً ، ولا عبارة بالكتابة وحدها ، حتى مع ما وُصِفَ به أصحابها من يقظة لم يعتزها نعاس ، وحذر لم تشبهه غفلة ، وتشدد لم يكتفه ترخص .

والرازي نفسه - إذ ينقل هذه الرواية - يستبعدها ، ويقول : « وهذا القول بعيد جداً ، لأنه يقتضى كون القرآن محلاً للتحريف والتصحيح ، وذلك يخرج عن كونه حجة » .

أما الزمخشري ، فيقول - في أخذ بالمنطق ، ومسايرة راشدة للعقيدة - :

« هذا ، ونحن مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،

(١) سورة الرعد / ٣١ .

(٢) انظر : السيوطي : الإتيان ج ١ ص ١٨٥ .

(٣) ج ١٩ ص ٥٣ .

وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتاً بين دفتي الإمام ، وكان متقلّباً بين أيدي أولئك الأعلام
المحتاطين في دين الله المهتمين به لا يغفلون عن جلالته ودقائقه ، خصوصاً عن القانون الذي
إليه المرجع ، والقاعدة التي عليها البناء ؟ هذا - والله - فرية ما فيها مزية (١) .

وقال القراء : لا يتلى إلا كما أنزل : « أَقْلَمُ يَأْتِسُّ » (٢) .

ويقول أبو حيان الأندلسي - والشواهد في صفه - :

وأما قول من قال : « إنما كتبه الكاتب وهو ناعس ، فسوى أسنان السين » ، فقول

زنديق ملحد (٣) .

على أنه في ثنايا قصة موثقة عن احتجاج ابن عباس بالشعر على غريب القرآن ومشكله ،

ما يكذب الرواية المنسوبة إليه :

تقول القصة : بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتشفه الناس يسألوه عن

تفسير القرآن ، فقال نافع بن الأزرق (٤) لنجدة بن عويمر (٥) : قم بنا إلى هذا الذي يجترئ
على تفسير القرآن بما لا علم له به .

فقاما إليه ، فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله ، فتفسرها لنا ، وتأتينا

بمصادقة من كلام العرب ، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين .

فقال ابن عباس : سلاتي عما بدا لكما .

فساق نافع مسائل كثيرة منها :

قال نافع : أخبرني عن قوله تعالى : « أَقْلَمُ يَأْتِسُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا »

قال : : أفلم يعلم (بلغة بني مالك)

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم ، أما سمعت مالك بن عوف يقول :

لقد يشس الأقوم أنى أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشيرة ناثيا (٦)

• • •

(١) الكشف ج ١ ص ٤٠٩ .

(٢) نقلاً عن : أبي حيان الأندلسي : البحر المحيط ج ٥ ص ٣٩٣ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) كان رأس الأزارقة الخوارج وأميرهم وقبهم (وانظر : الذمبي : لسان الميزان ج ٦ ص ١٤٤) .

(٥) كان رأس الفرقة النجدية من الخوارج (وانظر : اليافعي : مرآة الجنان ج ١ ص ١٤٤) .

(٦) انظر : السيوطي : الإتيقان ج ١ ص ١٢٠ و ١٢١ .

٦- ونُسب إلى ابن عباس أيضاً أنه كان يقول ، في قوله تعالى : « وَقَصَى رَبُّكَ »^(١) :
« إنما هي : ووَصَى رَبُّكَ ، التزقت الواو بالصَّاد »^(٢) .

وأخرجه ابن أمته بلفظ : « استمد الكاتب مداداً كثيراً ، فالتزقت الواو بالصَّاد . الخ »^(٣)
وقيل إنها في مصحف ابن مسعود : « ووَصَى » ، وإنما هكذا عند عليّ ، وعند أبي
ابن كعب^(٤) .

وعزوا أيضاً إلى الضحَّاك أنه قال : تصحَّفت على قوم « وصَى » : « قَصَى » ، حين
اختلطت الواو بالصَّاد ، وقت كتِّب المصحف^(٥) .
وذكروا أن أبا حاتم كان يقول : إن عليّ قول ابن عباس لنوراً ، ولكنه عاد فقال :
« لو قلنا هذا لطن الزنادقة في مصحفنا »^(٦) .

فأما الفخر الرازي ، فيقول محققاً : « واعلم أن هذا القول بعيد جداً ، لأنه يفتح باب
أن التحريف والتغيير قد تطرَّق إلى القرآن . ولو جوزنا ذلك لارتفع الأمان عن القرآن ، وذلك
يخرجه عن كونه حجة ، ولا شك أنه طعن عظيم في الدين »^(٧) .

ويناقش « علي القارى » هذه الدعوى وأمثالها مناقشة لا تنقصها الموضوعية - على
حماستها - ، فيقول :

« كيف يصحّ تفریط الصحابة الكرام في ضبط القرآن العظيم ، وإهمالهم في حفظ الفرقان
الكريم ، حتى ينسوه ، فلا يعرفه إلا الواحد والاثنان من الأطراف ، وحتى لا يوجد إلا في
الأكتاف والخفاف ؟ هذا ، مع شدتهم في طلب أمر الدين ، وبذلم الأموال ، والأشباح ،
والأرواح ، من مقام اليقين ؟ » .

ويورد « علي القارى » نصوصاً ثابتة عن الصحابة تؤيد الاهتمام التام بتحقيق القرآن ،
في الصدر الأول من الإسلام ، ويستنبط - في شأن هذه الدعوى بالذات - أنها ظاهرة
الفساد ، إذ يلزم منها أن تلك الآية لم يحفظها أحد حتى صُحِّفت وقرئت « وَقَصَى »^(٨) .

(١) سورة الإسراء ، من الآية ٢٣ .

(٢) انظر : السيوطي : الإتيان ج ١ ص ١٨٤ .

(٣) انظر نفس المرجع .

(٤) انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٢٣٧ .

(٥) المرجع السابق . (٦) نفس المرجع .

(٧) الضمير الكبير ج ٢٠ ص ١٨٤ .

(٨) شرح العقيلة - المخطوطة رقم ٢٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية - الورقة ١٦ .

٧- وروى عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ « ضياء » بغير واو في قوله تعالى :
 « وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ » (٣) ويقول : خذوا هذه الواو ، واجعلوها ها هنا :
 (و) « الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ » (٤) .
 وفي رواية : كان ابن عباس يقول : انزعوا هذه الواو ، فاجعلوها في : « الَّذِينَ يَحْمِلُونَ
 الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ » (٥) .

وعندنا أنه يُسْقِطُ الروایتين الاختلاف في أي الآيتين أراد ابن عباس نقل الواو إليها .
 ثم إنه واضح أن « ضياء » - بغير واو - حال من الفرقان ، وأما الوارد في المصحف :
 فمعناه أن الفرقان - وهو هنا التوراة - أقر بها الله ضياءً وذكرى للمتمقين ، أي أنه - في
 نفسه - ضياءً وذكرى (٥) .

• • •

٨- وثمة رواية لا يسع من يُلقي إليها نظرة فاحصة إلا أن يرفضها . هذه الرواية هي أن
 أبا خلف مولى بنى جُمَحَ دخل ، مع عبيد بن عمير ، على عائشة ، فقال : جئتُ أسألكِ
 عن آية في كتاب الله تعالى ، كيف كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأها ؟
 قالت : أية آية ؟

قال : « الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا » أو « الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا » (٦)

قالت : أيهما أحب إليك ؟

قال : والذي نفسى بيده ، لاحداهما أحب من الدنيا جميعاً .

قالت : أيهما ؟

قال : الذين يأتون ما آتَوْا .

فقالت : أشهد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كذلك كان يقرأها ، وكذلك
 أنزلت ، ولكن الهجاء حُرِّفَ (٧) .

(١) انظر : الفخر الرازي : التفسير الكبير ج ٢٢ ص ١٧٨ .

(٢) سورة الأنبياء / ٤٨ .

(٣) وهي في المصحف العثماني من غير واو (سورة آل عمران / ١٧٣) ، وانظر : السيوطي : الإتيان ج ١ ص ١٨٥ .

(٤) سورة غافر / ٧ ، وانظر : السيوطي : نفس المرجع .

(٥) انظر : الفخر الرازي : التفسير الكبير ج ٢٢ ص ١٧٨ .

والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١١ ص ٢٩٥ .

(٦) في المصحف العثماني : « وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا » (سورة المؤمنون / ٦٠) .

(٧) السيوطي : الإتيان ج ١ ص ١٨٤ .

والاستخفاف بالتواتر في هذه الرواية واضح . وكأنما كانت عائشة - فيما يوحى به أسلوب هذه الرواية المنكرة - تبتغي فحسب مرضاة سائلها ، فأى القراءتين أحب إليه هي قراءة النبي (ص) ، وغيرهما تحريف في الهجاء .

ثم إن أم المؤمنين المنسوب إليها هذا الطعن في هجاء المصحف ، بغير دليل ، ورد أنها سألت رسول الله (ص) ، فقالت : « وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ » : أهو الذي يزنى ، ويشرب الخمر ، ويسرق ، وهو - على ذلك - يخاف الله تعالى ؟ ، فقال - عليه الصلاة والسلام - : لا ، يا ابنة الصديق ! ولكن هو الرجل : يصلّى ، ويصوم ، ويتصدق ، وهو - على ذلك - يخاف الله تعالى ^(١) .

فهى - على خلاف ما في الرواية الأولى - تقرأ الآية على النحو الذى قرأ به المسلمون ، منذ عهد النبوة ، والذي أجمع عليه الصحابة ، فيما بعد ، عند كتابة المصحف العثماني .
وقيل إن ابن عباس ، والنخعي قرأ : « وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا » مقصوفاً من الإتيان ، وبرّر القراء هذه القراءة ، فقال : « لو صحّت هذه القراءة - من عائشة - لم تخالف قراءة الجماعة ، لأن الهمز - من العرب - يلزم فيه الألف في كل الحالات إذا كُتِب ، فتكتب « سئل الرجل » بألف بعد السين ، و « يستهزئون » بألف بين الزاي والواو ، و « شيء » بألف بعد الباء ، فيحتمل هذا اللفظ - بالبناء على هذا الخط - قراءتين : « يُؤْتُونَ مَا آتَوْا » و « يَأْتُونَ مَا آتَوْا » ^(٢) .

وأظن أن القراء تكلف في دفاعه ، وكان حسبه أن يرى ما في الرواية من دلائل الوهن ، وأن يعلم أن عائشة - في حديثها مع الرسول - قرأت : « يُؤْتُونَ مَا آتَوْا » كما يقرؤها سائر المسلمين ، ومن ثم فالخلاف غير ذى موضوع .

• • •

٩ - وعن أبى ، وابن عباس ، وسعيد بن جبير - فيما ادّعت بعض الروايات - أن قوله تعالى : « لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا » ^(٣) أصلها : « حتى تستأذِنوا » ، ولكن وقع خطأ أو وهم من الكاتب ^(٤) .

(١) الرازى : الضمير الكبير ج ٢٣ ص ١٠٧ ، والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ١٣٢ .

(٢) القرطبي : المرجع السابق ج ١٢ ص ١٣٢ .

(٣) سورة النور / ٢٧ .

(٤) الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٢١٣ و ٢١٤ .

والطبرى موفق إذ يعقب على هذا بقوله : « وهذا غير صحيح عن ابن عباس وغيره ، فإن مصاحف الإسلام كلها قد ثبت فيها : « حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا » ، وصحَّ الإجماع منها ، من لدن مدة عثمان ، فهي التي لا يجوز خلافها . وإطلاق الخطأ والوهم على الكاتب في لفظ أجمع الصحابة عليه قول لا يصح عن ابن عباس ، وقد قال عز وجل : « لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَتْرَبِلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ »^(١) ، وقال تعالى : « إِنَّا نَحْنُ الذُّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »^(٢) .

وأورد الطبرى - بعد كلام - النص الآتى لابن عطية : « وما ينبنى هذا القول عن ابن عباس وغيره : أن « تستأنسوا » متمكنة في المعنى ، بينة الوجه في كلام العرب . وقد قال عمر للنبي - صلى الله عليه وسلم - : « أستأنس يا رسول الله ؟ وعمر واقف على باب العرفة . . (الحديث المشهور) ، وذلك يقتضى أنه طلب الأنس به - صلى الله عليه وسلم - فكيف يخطئ ابن عباس رسول الله في مثل هذا ؟ »^(٣) .

ويكذب القرطبي أيضاً ذلك الادعاء ، فيقول : « وهذا غير صحيح عن ابن عباس وعن غيره ، فإن مصاحف الإسلام كلها قد ثبت فيها : « حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا » ، وصحَّ الإجماع منها ، من لدن عثمان ، فهي التي لا يجوز خلافها »^(٤) .

ولم يسع أبا حيان الأندلسي إلا أن يقول : « من روى عن ابن عباس أنه قال ذلك فهو طاعن في الإسلام ، ملحد في الدين ، وابن عباس برىء عن هذا القول وعنلى أن أقوى ما يدحض هذه الرواية وأمثالها هو ما أشرت إليه قبلاً من أن رواية القرآن لم تكن من الكتابة فحسب ، ولم تكن من الكتابة في المقام الأول ، وإنما مصدرها الأول والأوثق هو التلقى الشفوي المتواتر ، وهو خال - هنا - من ذلك الاختلاف المزعوم .

• • •

١٠ - ونُسب إلى ابن عباس في قوله تعالى : « مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ »^(٥) أنه قال : هي خطأ من الكاتب ، هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة ، إنما هي : « مثل نور المؤمن كمشكاة »^(٦) .

(٦) سورة النور / ٣٥ .

(١) سورة فصلت / ٤٢ .

(٧) انظر : السيوطي : الإنقان ج ١ ص ١٨٥ .

(٢) سورة الحجر / ٩ .

(٣) الطبرى : المرجع السابق .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٢١٤ .

(٥) البحر المحيط ج ٦ ص ٤٤٥ .

وقد أجاب ابن أشته عن هذا وأمثاله بأن المراد : هو أن الكتاب « أخطأوا في الاختيار وما هو الأولى لجمع الناس عليه من الأحرف السبعة ، لا أن الذي كُتب خطأ خارجاً عن القرآن »^(١) .

وعندنا : أن هذه إجابة متهافة لا تكشف تماماً عن وجه الحق ، فالكتاب لم يكتبوا إلا ما تواتر ، وما استوفى شرائط ثبوت القرآنية ، وكانوا خاضعين لمناهج بالغة الدقة ، وكان عملهم على ملأ من المسلمين ، فكان الخطأ مأموناً على وجه اليقين .

ثم إن نَسَق الآية لا يفيد أن المقصود بالتشبيه هو نور المؤمن ، ولا يسمع - حتى بحمل هذه الرواية على أنها في التفسير لا في القراءة - إلا بتكلف شاق .
وإذن ، فالذي أذهب إليه هو أن تلك الرواية غير صحيحة أصلاً .

• • •

١١ - وادَّعَوْا أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ وَأَبَا الدَّرْدَاءِ قَرَأَا : « وَالذِّكْرَ وَالْأُنثَى »^(٢) .

وقد قيل - في هذا - إنه يجب الاعتقاد بأن مثل هذا كان قرآناً ثم نسخ ، ولم يعلم من خالف النسخ ، فبقي على المنسوخ . يقول المازري ، ونحن نؤيد قوله : « ولعلَّ هذا وَقَعَ من بعضهم ، قبل أن يبلغهم مصحف عثمان المجمع عليه المحذوف منه كلَّ منسوخ ، وأما بعد ظهور مصحف عثمان ، فلا يُظَنُّ بأحدٍ منهم أنه خالف فيه »^(٣) .

• • •

١٢ - ويُنسب إلى ابن مسعود أنه كان يحكَّ المَعْرُودَيْنِ من مصاحفه ، وكان لا يقرأ بهما ، وكان يقول : إنهما ليستا من كتاب الله ، ويقول - فيما نسب إليه رواية أخرى - : إنما أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يتعوَّذَ بهما^(٤) .

ويكذب النوى في « شرح المذهب » هذه الرواية ، فيقول :

« أجمع المسلمون على أن المَعْرُودَيْنِ والفاتحة ، وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن ، وأنَّ من جَحَدَ شيئاً منها كفر . وما نُقِلَ عن ابن مسعود - في الفاتحة والمَعْرُودَيْنِ - باطلٌ ،

(١) المرجع السابق .

(٢) في المصاحف الغنانية : « وَمَا خَلَقَ الذِّكْرَ وَالْأُنثَى » (سورة الليل / ٣) .

(٣) انظر : صحيح مسلم بشرح النوى ج ٢ ص ١٠٨ - ١١٠ .

(٤) انظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٨ ص ٧٤٢ والسيوطي : الإتيقان ج ١ ص ١٨٥ .

وليس بصحيح عنه» (١).

وينقل النووي عن المازري قوله في تعليل هذه الرواية ، فيما لو كانت صحيحة :
« ويحتمل ما روى من إسقاط المعوذتين من مصحف ابن مسعود أنه اعتقد أنه لا يلزمه كتب
كل القرآن ، وكتب ما سواهما ، وتركهما لشهرتهما عنده ، وعند الناس » (٢).

أما ابن حزم ، فيقول : « هذا كذب على ابن مسعود ، وموضوع . وإنما صح عنه
قراءة عاصم ، عن زر ، عنه ، وفيها المعوذتان والفاتحة » (٣).

ويقول الباقلاني ، وحجته قاهرة : « إن ابن مسعود ، لو كان قد أنكر المعوذتين - على
ما ادّعوا - :

(أ) لكانت الصحابة ، تناظره على ذلك ، وكان يظهر وينتشر ، فقد تناظروا في
أقل من هذا .

(ب) وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل ، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه ؟

(ج) وقد علمنا إجماعهم على ما جمعوه في المصحف ، فكيف يقدح بمثل هذه
الحكايات الشاذة المولدة بالإجماع المقرر والاتفاق المعروف ؟

(د) ويجوز أن يكون الناقل أشبه عليه ، لأنه خالف في النظم والترتيب ، فلم يشتما في
آخر القرآن ، والاختلاف - بينهم - في موضع الإثبات غير الكلام في الأصل (٤).

وتقول (فوائح الرحمت بشرح مسلم الثبوت) مبنية تلك الرواية :

« . . . ثم إنه (يعني ابن مسعود) كان يقتدى في كل شهر رمضان ، في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، في صلاة التراويح ، والإمام يقرأها « يعني المعوذتين » ، ولم يُنكر
عليه قط ، فنسبة الإنكار غلط ، وهذا شاهد قوي على عدم الصحة » (٥).

(١) السيوطي : المرجع السابق ، وانظر : عل القاري ، شرح الشفاء لعياض ج ٢ ص ٥٥٢ (ط . تركيا سنة

١٣١٠ هـ) .

(٢) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١٠٨ - ١١٠ .

(٣) انظر : السيوطي : الإتيان ج ١ ص ٧٩ .

(٤) إعمار القرآن - على هامش الإتيان للسيوطي ج ٢ ص ١٩٤ (بتعديل في الشكل) .

(٥) نفس المرجع ج ٢ ص ١٠ (بتدبير المستصفي للغزالي) .

وتقول :

« وقد ثبت بالأسانيد الصحاح أن قراءة عاصم^(١) ، وقراءة حمزة^(٢) ، وقراءة الكسائي^(٣) ، وقراءة خلف^(٤) كلها تنهى إلى ابن مسعود ؛ وفي هذه القراءات : المعوذتان والفاتحة جزء من القرآن ، وداخل فيه ، فنسبة إنكار كونها من القرآن إليه غلط فاحش .
ومن أسند الإنكار إلى ابن مسعود ، فلا يعاب بسنده عند معارضة هذه الأسانيد الصحيحة بالإجماع ، والمتلقاة بالقبول عند العلماء الكرام ، بل والأمة كلها كافة .
فظهر أن نسبة الإنكار إلى ابن مسعود باطل . »

وتقول (الفواتح) عن خلو مصحف ابن مسعود من الفاتحة والمعوذتين : « وجهه : أن هذه السور كانت من أوراده رضى الله عنه ، فاكتفى بالحفظ من الكتابة ، أو كان مكتوباً عنده في قرطاس مفرد ، فاستغنى عن الكتابة في المصحف »^(٥) .

• • •

١٣- ومن الروايات المرفوضة ما قيل من أن مصحف ابن مسعود تضمن سورتين ، بنص دعاء القنوت ، هما : « الحفد » و « الخلع » ، وأنه قرئ بهما ، حتى في الصلاة :
فقد أخرج الطبراني عن أبي إسحاق ، قال : أمنا أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بخراسان ، فقرأ بهاتين السورتين : إنا نستعينك ونستغفرك^(٦) .

(١) قرأ عاصم على أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب ، وقرأ على أبي مريم زرب بن حبيش الأمدى ، وعلى سعيد ابن عباس الشيباني ، وقرأ هؤلاء على عبد الله بن مسعود ، وقرأ هو على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ولعاصم سند آخر ، هو أنه : قرأ سعيد وزر على أمير المؤمنين عثمان ، وعلى أمير المؤمنين علي ، وعلى أبي بن كعب ، وهم قرأوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم (انظر المرجع السابق ص ١٠٩) .

(٢) قرأ حمزة على الأعمش أبي محمد سليمان بن مهران ، وأخذ الأعمش عن يحيى بن وثاب ، وأخذ يحيى عن علقمة ، والأسود ، وعبيد بن نضلة الخزاعي ، وزر بن حبيش ، وأبي عبد الرحمن السلمى . وهم أخذوا عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ولحمزة سند آخر هو أنه : قرأ على أبي إسحق السبيعي ، وعلى محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليل ، وعلى الإمام جعفر الصادق . هؤلاء قرأوا على علقمة بن قيس ، وعلى زرب بن حبيش ، وعلى زيد بن وهب ، وعلى مسروق ، وهم قرأوا على المهال وغيرهم ، وهم على ابن مسعود ، وأمير المؤمنين على كرم الله وجهه . (انظر نفس المرجع ص ١٠) .

(٣) سند الكسائي ينهى إلى ابن مسعود ، لأنه قرأ على حمزة (انظر نفس المرجع) .

(٤) قرأ خلف على سليم ، وهو على حمزة (انظر نفس المرجع) .

(٥) أنظر نفس المرجع .

(٦) السيوطي : الإنفاذ ج ١ ص ٦٥ .

وأخرج البيهقي ، وأبو داود - في المراسيل - عن خالد بن أبي عمران ، أن جبريل نزل بذلك (يقصد : إنا نستعينك ونستغفرك) على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو في الصلاة ، مع قوله : « كَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ » (١) . . . الآية ، لَمَّا قَتَّتْ يدعو على مضر (٢) .
وربما كان الردّ على هذا كله هو ما ردّ به الباقلاني أيضاً ، عند كلامه عن أمور تتصل بالإعجاز ، حيث قال ما نصّه - بعد تعديل بسيط - :

- ١ - أنه لا يجوز أن يخفى على العرب القرآن من غيره ، وهم الذين نزل القرآن فيهم ، وبلغتهم .
- ٢ - ثم إن عدد السور - عندهم - محفوظ مضبوط ، فالزيادة أو النقصان فيه مكشوف لا ف .
- ٣ - وربما كان ابن مسعود قد كتب القنوت في مصحفه ، لا لأنه قرآن ، وإنما ليكون الكل محفوظاً في مجموعة واحدة .
- ٤ - والرواية المردود عليها مروية بنجر الواحد ، فلا يمكن التعويل عليها ، أو لسكون إلى مثلها .
- ٥ - ويجوز أن يكون ابن مسعود كتب على ظهر مصحفه دعاء القنوت لثلاثين سنة ، كما يكتب الواحد منا بعض الأدعية على ظهر مصحفه .
- ٦ - ولو كان الأمر أمر حروف معدودة يقع فيها الغلط أو النسيان لجاز أن يكون شيئاً عادياً يقع مثله للحفظ ، أما أن يكون الغلط في سورتين فهو ما لا يمكن تجويزه لأنه غير طبيعي (٣) .

فكّرت في هذه الاختلافات المزعومة ، فبدأت أن جمع المصحف العثماني الذي أجمع عليه المسلمون تسجيلاً صوتياً هو خير ما يعاضد هذا المصحف ، فضلاً عن أنه سيكون رداً عملياً على دعاة تلك الاختلافات المثيرة الضارة : بيدد أوهاهم ، ويصحح أغلاطهم ، ويوهن رواياتهم ، ويجعلها عديمة الجدوى ، ويحمي من أذاها العقول والقلوب .

(١) سورة آل عمران / ١٢٨ .

(٢) السيوطي : المرجع السابق .

(٣) إعجاز القرآن - على هامش الإفتان للسيوطي - ج ٢ ص ١٩٣ و ١٩٤ .

٤

ودعا إلى تفكيرى فى هذا الجمع الذى يقتضى التسجيل الصوتى أمرٌ منكر آخر ، فقد نُسب إلى عكرمة أنه قال : لما كُتبت المصاحف عُرضت على عثمان ، فوجد فيها حروفاً من اللحن ، فقال : لا تغيروها ، فإن العرب ستغيرها ، أو قال : ستعربها بألسنتها ، لو كان الكاتب من ثقيف ، والمملى من هُذَيْل لم توجد هذه الحروف (١) .

وكان طبيعياً أن يتمسك الملحدون الطاعنون فى القرآن ودين الإسلام برواية كهذه ، ومن الأمثلة لهذا - فى عصرنا هذا - أن طاعناً على القرآن (٢) جعل هذه الرواية ضمن حججه المنقوضة فى الادعاء بأن القرآن بُدِّل ، وفى السخرية من معجزة حفظ القرآن . وأدعى للأسف أن تفلت هذه الرواية إلى معتقد رجل مسلم ، فبنى عليها رأياً (٣) ، كأنها صحيحة ، وكان الخير لو مَحَصَّها .

* * *

ويقول السيوطى ، فى مثل هذه الرواية : « وهذه الآفات مشكلة جداً » ، وكان الأولى عندنا - بالسيوطى - أن يقول إنها - من وجهة النظر الإسلامية - منكرة جداً . على أنه ، كما يقول هو (٤) :

١ - كيف يُظنَّ بالصحابة أنهم يُلحَنون فى الكلام ، فضلاً عن القرآن ، وهم الفصحاء اللدِّ ؟

٢ - ثم كيف يُظنَّ بهم فى القرآن الذى تلقَّوه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - كما أنزل ، وحفظوه ، وضبطوه ، وأتقنوه ؟

٣ - ثم كيف يُظنَّ بهم اجتماعهم كلهم على الخطأ وكتابته ؟

٤ - ثم كيف يُظنَّ بهم عدم تنبَّههم ورجوعهم عنه ؟

٥ - ثم كيف يُظنَّ بعثمان أنه ينهى عن تغييره ؟

(١) السيوطى : الإتيان ج ١ ص ١٨٣ .
 (٢) يسمّى نفسه الأستاذ الحداد ، وقد ملأ بالطن على القرآن كتاباً - من جزئين - اسمه : « القرآن والكتاب » ، وهو مطبوع فى بيروت .
 (٣) ابن الخطيب : الفرقان ص ٩٠ .
 (٤) السيوطى : الإتيان ج ١ ص ١٨٣ (بتصرف بسيط) .

٦ - ثم كيف بظن أن القراءة استمرت ، على مقتضى ذلك الخطأ ، وهو مروى بالتواتر خلفا عن سلف ؟ .

ويعنى السيوطي ، فيقول محققاً : هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة^(١)

ويسوق - بعد هذا - أجوبة ثلاثة للعلماء ، في هذا الشأن :

(أحدها) أن ذلك لا يصح عن عثمان :

(أ) فإن إسناده ضعيف مضطرب منقطع^(٢) .

(ب) ولأن عثمان جعل للناس إماما يقتدون به ، فكيف يرى فيه لحناً ويتركه لتقييمه

العرب بألسنتها ؟

فإذا كان الذين تولوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك ، وهم الخيار ، فكيف يقيمه غيرهم ؟ .

(ج) وأيضاً ، فإنه لم يكتب مصحفاً واحداً ، بل كتب عدة مصاحف .

فإن قيل إن اللحن وقع في (جميعها) ، فبعيد اتفاقهم على ذلك ؛

أو (بعضها) فهو اعتراف بصحة البعض .

ولم يذكر أحد من النامس أن اللحن كان في مصحف دون مصحف . ولم تأت المصاحف

قط مختلفة إلا فيما هو من وجوه القراءة ، وليس ذلك بلحن .

(الثاني) أن ذلك - على تقدير صحة الرواية - محمول على الرمز والإشارة ، ومواضع

الحذف ، نحو : « الكتّاب » و « الصّبرين » وما أشبه ذلك^(٣) .

(الثالث) أنه مؤول على أشياء خالف لفظها رسمها ، كما كتبوا : لا أوضعوا -

لا أدبحتنه (بألف بعد لا) - جزوا الظالمين (بواو وألف) - بأييد (بياءين) . فلو قرئ ذلك

بظاهر الخطّ لكان لحناً^(٤) .

ووجه هذا ، عند أبي عمرو الداني ، أنه لو تلا تال مثل هذه الكلمات - على غير معرفة

بحقيقة الرسم - « لصبر الإيجاب نفياً ، ولزاد في اللفظ ما ليس منه ولا من أصله » .

ويبنى الداني ، على هذا ، أن عثمان قصد « أن من فاته تمييز ذلك ، وعزبت معرفته

عنه ، ممن يأتي بعده ، سيأخذ ذلك عن العرب ، إذ هم الذين نزل القرآن بلغتهم ، فيعرفونه

(١) السيوطي : المرجع السابق .

(٢) يقول أبو عمرو الداني إن هذا الحديث مرسل ، لأن ابن يعمر وعكرمة - المنسوبة إليهما الرواية - لم يسما

من عثمان شيئاً ، ولا رأياه (المقتع ص ١١٥ النسخة المطبوعة) .

(٣) السيوطي : المرجع السابق .

(٤) نفس المرجع .

بحقيقة تلاوته ، ويدلونه على صواب رسمه «(١)» .

* * *

ويفند ابن الأنباري أيضاً الأقوال التي عُرِيت إلى عثمان ، فيحسن التفتيد ، يقول :

(أ) إنه لا تقوم بها حجة ، لأنها منقطعة غير متصلة .

(ب) وما يشهد عقل بأن عثمان - وهو إمام الأمة الذي هو إمام الناس في زمنه

وقدوتهم - يجمعهم على المصحف الذي هو الإمام ، فيتبين فيه خللاً ، ويشاهد في خطه زللاً ، فلا يصلحه . كلا ، والله ! ما يتوهم عليه هذا ذو إنصاف وتمييز .

(ج) ولا يُعتقد أنه أحر الخطأ في الكتاب ليصلحه مَنْ بعده ، وسبيل الجائين بعده :

البناء على رسمه ، والوقوف عند حكمه .

(د) ومن زعم أن عثمان أراد بقوله : « أرى فيه لحناً » : أرى في خطه لحناً إذا أقمناه

بالسنة كان لحن الخط غير مفسد ولا محرف - من جهة تحريف الألفاظ ، وإفساد الإعراب - فقد أبطل ولم يصب ، لأن الخط بُني عن النطق ، فمن لحن في كتبه فهو لاحق في نطقه .

ولم يكن عثمان ليؤخر فساداً في هجاء ألفاظ القرآن من جهة كتب ولا نطق . ومعلوم

أنه كان مواصلاً لدرس القرآن ، متقناً لألفاظه ، واقفاً على ما رسم في المصاحف المنقذة إلى الأمصار والنواحي «(٢)» .

* * *

ويقول عبد الله بن هاني مولى عثمان - وهو ما يتأيد به قول المدافعين عن عثمان :

كتب - عند عثمان - وهم يعرضون المصاحف ، فأرسلني بكتف شاة إلى ابن كعب ،

فيها : « لم يتسن » ، وفيها : « لا تبديل للمخلق » ، وفيها ، « فأمهل الكافرين » .

قال : فدعا بالدواة ، فمحا أحد اللامين ، فكتب : « لِحَلَّتِ اللهُ » «(٣)» وكتب : « فَمَهَّلِ » «(٤)»

وكتب : « لَمْ يَتَسَنَّه » «(٥)» ، ألحق فيها الهاء .

قال ابن الأنباري : « فكيف يدعى عليه أنه رأى فساداً فأمضاه ، وهو يُوقَف على

(١) المقنع ص ١١٦ (النسخة المطبوعة) .

(٢) السيوطي : نفس المرجع .

(٣) سورة الروم / من الآية ٣٠ .

(٤) سورة الطارق / من الآية ١٧ .

(٥) سورة البقرة / من الآية ٢٥٩ .

ما كُتِبَ ، ويُرفَعُ إليه الخلافُ الواقعُ عن الناسخين ، ليحكم بالحقِّ ، ويُلزِمَهُم إثبات الصواب وتخليده ؟^(١) .

* * *

ويرى القلقشندي أن تلك الرواية لا تجوز ، فقد أجمع الصحابة على أن ما بين دفتي المصحف قرآن ، ومحالٌّ أن يجتمعوا على لحن .
وهو يذكر أن هذه الرواية حُمِلت على أن المصاحف التي كُتِبَتْ - في زمن عثمان - كُتِبَتْ « بقلم جليل مبسوط ، فربما وقع - في بعض الأماكن - اللَّفظة ، فيقطعها في آخر السطر ، ويجعل باقيها في السطر الثاني » .
ثم يقول القلقشندي : على أن هذه الرواية غير مشهورة عن عثمان كما أشير إلى ذلك الشاطبي بقوله في الرائية :

ومن روى : سقيم العرب ألسنها لحنًا به قولَ عثمان فما شُهرًا^(٢)

* * *

والألوسي يقول :

« وأما قول عثمان إن في القرآن لحنًا . . إلخ فهو مشكل جدًا :

إذ كيف يُظن بالصحابة - أولاً - اللحنُ في الكلام فضلاً عن القرآن ، وهم هم ؟

ثم كيف يُظن بهم - ثانياً - اجتماعهم على الخطأ وكتابته ؟

ثم كيف يُظن بهم - ثالثاً - عدم التنبه والرجوع ؟

ثم كيف يُظن بعثمان عدم تغييره ؟

وكيف يتركه لتقييمه العرب ؟

وإذا كان الذين تولوا جمعه لم يقيموه ، وهم الخيار ، فكيف يقيمهم غيرهم ؟

(١) السيوطي : المرجع السابق .

هذا ، ونحن لا نصدّق رواية عبد الله بن هانئ ، ولو أنها تدافع عن عثمان المتهم بأنه رأى لحنًا في القرآن فلم يصححه : فهذه الرواية تطعن بجمع أبي بكر في الصميم ، ذلك أن الكلمات المقول بأن عثمان بعث بها إلى أبي بن كعب ليرى فيها رأيه إما أن تكون في الجمع البكري وإما أن لا تكون :

فإن كانت فيه ، وعلى صواب ، فلماذا يلتمس لها عثمان رأى ابن كعب ؟

وإن كانت غير مرجوحة فيه ، أو كانت مرجوحة ولكن على خطأ ، فالعنى أن الجمع البكري ناقص أو خاطئ ، وهذا ما يناقض إجماع المسلمين على سلامة هذا الجمع من كلِّ الوجوه سلامة مطلقة ، وعلى أنه الأصل الوثيق بجمع عثمان .

(٢) صبح الأعشى ج ٣ ص ١٤٧ و ١٤٨ .

فلعمري إن هذا يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة ؛ فالحق أن ذلك لا يصح عن عثمان ،
والخير ضعيف مضطرب منقطع . وقد أجابوا عنه بأجوبة لا أراها تقابل مؤنة نقلها .

* * *

وثمة تأويل للعبارة المنسوبة إلى عكرمة وسعيد بن جبير - على فرض صحتها - هو أن
هذين كانا يريدان - بكلمة « لحن » - القراءة واللغة « والمعنى : أن في القرآن ورسم المصحف
وجهاً في القراءة لا تلين به ألسنة العرب جميعاً ، ولكنها لا تلبث أن تلين به ألسنتهم جميعاً
بالمران ، وكثرة تلاوة القرآن بهذا الوجه » (١) .
وواضح أن هذا قريب مما فتده - آتفاً - ابن الأنباري .

* * *

وعندنا أنه أقرب من كل هذا وأصوب : أن ننفي الرواية عن عثمان أصلاً ، محتجين
بما أسلفنا .
والمهم أن جمع المصحف العثماني - كما هو - جمعاً صوتياً يعاضده : هو دحض
عمل هذه الرواية الضعيفة المضطربة بل المستحيلة - كما قال السيوطي والألوسي - « عقلاً
وشرعاً وعادة » ، والتي تحمل مع ذلك شراً كثيراً .

٥

وكان أيضاً من دواعي تفكيري في الجمع الصوتي لمصحف عثمان الذي عليه المسلمون
ما قيل من أن مصحفاً من مصاحف عثمان أدق من مصحف . نسبوا إلى إبراهيم النخعي
أنه قال :

قال لي رجل من أهل الشام : مصحفنا ومصحف أهل البصرة أضبط من مصحف أهل
الكوفة .

قلت : لم ؟

قال : لأن عثمان بعث إلى الكوفة - لما بلغه من اختلافهم - بمصحف قبل أن يُعرض ،
وتبى مصحفنا ومصحف أهل البصرة حتى عُرضاً (٢) .

(١) روح المعاني ج ١ ص ٢٩

(٢) محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان ص ٣٨١ .

(٣) انظر : ابن أبي داود : المصاحف ج ٢ ص ٣٥ ، وابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٩ ص ١٧

وهذه الرواية متهافة . ويُعَوِّزُهَا ما يَشْتَبُهـَا ، فضلاً عن مناقضتها لما أجمع عليه المسلمون من أن مصاحف عثمان يطابق بعضها بعضاً تمام المطابقة إلا في كلمات معدودة نصَّ عليه علماء القرآن ، وهي الكلمات التي تتضمن قراءتين أو أكثر ، والتي لم تُنسخ في العرصة الأخيرة ، والتي لا يجعلها تجرّيدها من علامات الضبط محتملة لما ورد فيها من القراءات ، فقد رسمت هذه الكلمات ، في بعض المصاحف ، برسم يدل على قراءة ، وفي بعضها ، برسم آخر يدل على القراءة الأخرى . وقد أسلفنا بيان هذا في حديثنا عن الجمع العثماني .

على أن ذلك الردّ - مع قوّته - لا يصحّ أن يصرف عن فكرة الجمع الصوّى لمصحف عثمان . فقد وَجَدت تلك الرواية نوعاً من الحياة في بعض الكتب ، ولا يبعد أن تجد لها - يوماً - سادجاً يُصدّقها ، أو ما كراً يتكلف تصديقها .

٦

وكذلك من دواعي معاضدة الجمع العثماني بجمع صوّى : ما نُسب إلى عليّ بن أبي طالب ، من أنه قال : رأيت كتاب الله يُزاد فيه .

عن عكرمة - فيما ذُكِرَتْ إحدى الروايات - قال :

لما كان ، بعد بيعة أبي بكر ، قعد عليّ بن أبي طالب في بيته .

فقيل لأبي بكر : قد كره بيعتك !

فأرسل إليه ، فقال : أكرهت بيعتي ؟

قال : لا ، والله !

قال : ما أقعدك عنى ؟

قال : رأيتُ كتاب الله يُزاد فيه ، فحدّثتُ نفسي أن لا ألبس ردائي إلا للصلاة ، حتى أجمعه .

قال له أبو بكر : فإنك نعم ما رأيت !^(١)

وقد أسلفنا القول في مناقشة هذه الرواية عند حديثنا عن جمع أبي بكر .

ونضيف أن الجمعين : البكرى والعماني تاليان - في تاريخهما - لبيعة أبي بكر . فالزيادة المزعوم أن علياً رآها لقيت - لو كانت وقعت - ما منعها منعاً .

(١) انظر السيوطي : الإقتاد ج ١ ص ٥٧ و ٥٨ .

وأفدح في محاولة إيقاع الشك في صحة الجمع العثماني الذي أجمعت عليه الأمة ، وأبعث على التفكير في جمع صوتي يعاضده : ما زعمه بعضهم من أن عثمان ، بل أبا بكر وعمر أيضاً ، حَرَفُوا الْقُرْآنَ ، وأسقطوا كثيراً من آياته وسوره :

(أ) زعموا أن القرآن الذي جاء به جبريل سبعة عشر ألف آية ، مع أن المشهور أنه ستة آلاف وسبعمائة وست عشرة آية (١) .

(ب) وأنه كان في « لم يكن » (٢) اسم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم (٣)

(ج) وأن « أُمَّةً هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ » (٤) ليس كلام الله ، بل محرف عن موضعه ،

والمترنل - بزعمهم - : أئمة هي أركبي من أئمتكم (٥) .

(د) وأن سورة اسمها سورة « الولاية » أسقطت بنامها (٦) .

(هـ) وأن سورة « الأحزاب » كانت مثل سورة « الأنعام » ، فأسقطوا منها فضائل

أهل البيت (٧) .

(و) وأنهم (٨) أسقطوا لفظ « وملك » من قبل « لَا تَحْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » (٩)

(ز) وأنهم أسقطوا (١٠) عبارة : « عن ولاية علي » من بعد « وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتَوِلُونَ » (١١)

(ح) وأنهم أسقطوا (١٢) عبارة : « وبعلي بن أبي طالب » من بعد : « وَكَفَى اللَّهُ

الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ » (١٣) .

(ط) وعبارة « وآل محمد » من بعد « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » (١٤) .

(ي) وأنه كانت في مصحف عائشة بعد « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا

(١) انظر : الألويسي : روح المعاني ج ١ ص ٣٣

(٩) سورة التوبة / ٤٠

(١٠) الألويسي : نفس المرجع .

(١١) سورة الصافات / ٢٤

(١٢) الألويسي : نفس المرجع

(١٣) سورة الأحزاب / ٢٥

(١٤) سورة الشعراء / ١٢٧

(٢) يعني سورة البينة

(٣) الألويسي : المرجع نفسه

(٤) سورة النحل / ٩٢

(٥) انظر : الألويسي : المرجع نفسه

(٦) نفس المرجع

(٧) نفس المرجع

(٨) نفس المرجع

الَّذِينَ آمَنُوا صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا» (١) «وعلى الذين يصلون الصفوف الأول» (٢).
 (ك) وأن النبي قال لأبي: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البيعة» رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة. وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البيعة. إن الذين عند الله الحنيفة غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية. ومن يفعل ذلك فلن يكفره». وفي رواية: «ومن يفعل صالحاً فلن يكفره. وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البيعة. إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وفارقوا الكتاب لما جاءهم أولئك عند الله شر البرية. ما كان الناس إلا أمة واحدة» ثم أرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين يأمرون الناس يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويعبدون الله وحده. أولئك عند الله خير البرية. جزاؤهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه». وفي رواية الحاكم: «فقرأ فيها: «ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيه يسأل ثانياً فأعطيه يسأل ثالثاً. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب» (٣)».

(ل) وأنه كان في سورة الواقعة - في مصحف الربيع بن خيثم من قراء الكوفة (٤) - القراءة المقرأة، والمنسوبة إلى ابن مسعود، وأبي: «والسابقون بالإيمان بالنبي عليه السلام فهم على وذريته الذين اصطفاهم الله من أصحابه، وجعلهم الموالى على غيرهم، أولئك الفائزون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون» (٥).

ومنسوبة إلى ابن مسعود أنه كان في مصحفه - في سورة المذثر - ، بعد «نذيراً للبشر» (٦):
 «نبينا وعلينا هما خير البشر، فمن شاء منهما أن يتقدم أو يتأخر» (٧).

ولعله واضح جداً أن هذه ادعاءات باطلة ضعيفة التأليف اختلق أغلبها غلاة الشيعة. وما كان إسقاط شيء من القرآن ليقع من مسلم، فضلاً عن أن يقع من ثلاثة هم من أشد المسلمين إيماناً، وأغبرهم على القرآن، وأحفظهم له.

(١) سورة الأحزاب / ٥٦

(٢) الألوبي: روح المعاني ص ٢٤.

(٣) نفس المرجع

(٤) أورده: ابن الجزرى ضمن من اشهر بالقراءة في الأمصار (انظر النشر - ١ ص ٨)

(٥) Jeffery: Materials for the History of the Text of the Quran. P. 306

(٦) الآية ٣٦ (٧) OP. Cit. P. 353.

والتغيير في القرآن هو - عند الإسلام - جريمة تُعْرَج منه فاعلها ، فكيف يُقَدَّم عليها هؤلاء الثلاثة ، وهم - من الإسلام - ما هم ؟

والثابت أن المسلمين - في جميع أيامهم - أولوا القرآن أصدق عناية ، وأشدَّ ضبط ، فكيف سكتوا عن هذا الإسقاط ؟

ولقد حفلت أقوال العلماء والمفسرين - شيعةً وسنيين ، قدامى ومحدثين - بالردود الحاسمة على كل هذه الدعاوى ، فضلاً عن أن المسلمين - على مدى القرون - كتبوا ألوف الألوف من المصاحف ، وزودوا بها المساجد ، ودور العلم ، في مختلف البقاع ، فلم يُذكر أن مصحفاً منها زاد أو نقص عن المصحف الذي أجمع عليه المسلمون^(١) .

٨

ويلحق بهذا الباب من المطاعن الباطلة ، والموجبة - في رأينا - لجمع المصحف العثماني جمعاً صوتياً يعاضده : ما يقوله الميمونية من الخوارج العجاردة من أن سورة يوسف ليست

(١) من الأمثلة التي يمكن أن نوثقها تأييداً لهذا :

(أ) في سنة ٣٨١ هـ ، أسس أبو النصر سابور بن أردشير وزير بني بويه داراً للعلم ، في الكرخ غربي بغداد ، كان بها مائة نسخة من القرآن ، بأيدي أحسن النساخ (متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع - ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ص ٣١١ - الطبعة الثالثة) .

(ب) وفي سنة ٤٠٣ هـ أنزل في مصر من القصر إلى الجامع العتيق بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفاً من ختات وربعات ، منها ما هو مكتوب كله بالذهب ، وسكن الناس من القراءة فيها (تاريخ المسبحي ، نقلا عن : علي مبارك : الخطط الترفيقية ج ٤ ص ٥ - ط ١٣٠٥ هـ) .

(ج) وأنزل الحاكم بأمر الله الفاطمي ، إلى جامع ابن طولون ، ثمانمائة مصحف وأربعة عشر مصحفاً ، للقراءة فيها (حل مبارك : المرجع السابق ص ٤٧) ، وجعل الحاكم في مسجده عدة متصدرين لتلقي القرآن الكريم (نفس المرجع ص ٨١) .

(د) ولما تكامل بناء المدرسة المستنصرية نقل إليها كثير من الربعات الشريفة . (ابن الفوطي : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ص ٥٤ ط . بغداد سنة ١٣٥١ هـ) .

(هـ) وكتب شخص واحد هو والد أسامة بن منقذ ثلاثة وأربعين مصحفاً (أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ج ١ ص ٥٣) .

(و) ولا تزال الآن في مكاتب العالم العامة والخاصة مصاحف خطية تعد بالألوف ، وكلها مطابقة للمصحف الذي بين أيدي الناس .

من القرآن ، وإنما هي قصة من القصص ، ومن أدخلها - في القرآن - فقد زاد فيه ما ليس منه ^(١) .

وهو قول يرده ما هو واضح - لكل ذى بصير بالقرآن ، وكل متذوق له - من أنّ هذه السورة هي كباقي القرآن لغةً ، وأسلوباً ، ومقاصدً ، وهي كباقي القرآن أيضاً تتحدى البلغاء أن يأتوا بمثلها فلا يستطيعون ، وهي - كباقي القرآن أيضاً - ثابتة التواتر .

وكذلك ، من المطاعن الموجبة - في رأينا - للجمع الصوقى : ما ادعاه بعض الغلاة من المنتسبين إلى الشيعة من أنّ علياً جمَعَ القرآن ، فكان فيه ما سمّوه : « فضائح المهاجرين والأنصار » ، وأن عمر طلب إلى زيد بن ثابت أن يسقط من القرآن هذه الفضائح ، وأنّ عمر لما استخلف « سأل علياً أن يدفع إليهم القرآن ، فيحرفوه فيما بينهم » ^(٢) فأبى عليّ ، وقال : « إن القرآن الذى عندى لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من وُلدى » ^(٣) . وقد سأله عمر : فهل وقت لإظهاره معلوم ؟ فأجاب عليّ : « إذا قام القائم من وُلدى يظهره ، ويحمل الناس عليه ، فتجرى السنة به » ^(٤) .

والبطلان هنا صارخ على نحو يكاد يكفيها مؤنة الردّ :

(أ) فالقرآن عاتب النبيّ نفسه غير مرة ، ولم يُحَفِّ - في كلامه عن بعض الأنبياء الآخرين أيضاً - ما لم يحمده لهم . وقد بقى هذا فيه يحفظه المسلمون أبد الدهر ، فهل المهاجرون والأنصار أعزّ على المسلمين من الأنبياء ، فضلاً عن النبيّ محمد الذى أحوه أشدّ الحبّ ، واقتدوه أخلص الافتداء ؟

(ب) وأشياء نزل بها الوحي ، وبلغها النبيّ (ص) ، كيف لم يحفظها من المسلمين جميعهم غير عليّ ؟ أليكون النبيّ قد اقتصر في إبلاغ بعض الوحي على عليّ وحده ؟ ولكن ، كيف ؟

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٢٣ .

(٢) اليمونية أصحاب ذلك الرأي خرجوا - به - عن فرق الإسلام ، لأنّ منكر بعض القرآن كمنكره . وقد زادوا - على هذا وعلى كفرهم في القدر - نوعاً من ضلالات المجوسية هو إباحة الزواج من بنات الأبناء والبنات ، ومن بنات الإخوة والأخوات (انظر : الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٦٤ ، والبنغادى الأسفرائينى : الفرق بين الفرق ص ٢٤ و ٩٦ و ٢٨١ ، والمقرئى : المخطوط ج ٢ ص ٣٥٤) .

(٣) الكاشانى : الصاق ص ١٠ .

(٤) نفس المرجع .

(٥) نفس المرجع .

والنبي مُرْسَلٌ للناس كافة ، وقد أَدَى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، فبما يؤمن به كل المسلمين ، وليس من الأمانة أبداً أن يحبس عن الناس ما نزل به الوحي ، ويؤثر به شخصاً واحداً ؟
في صحيح البخارى (١) :

عن عائشة قالت : مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ فَلَا تُصَدِّقْهُ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « بَيَّأُهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ » (٢)

وكيف غابت هذه الأشياء حتى عن أقرب الصحابة إلى الرسول من مثل أبي بكر صديقه الأول ، وأول من آمن به من الرجال ، وثاني اثنين إذ هما في الغار ، والذي ضحى ما ضحى في سبيل الرسول ، وفي سبيل دعوته ، والذي زوجه ابنته ، والذي اختاره النبي ليؤم - مكانه - المسلمين في الصلاة ، فاعتبروا ذلك إشارة إلى أحقيته بالخلافة بعده ؟
كيف غابت حتى عن أبي بكر ، وهو الذي كان النبي (ص) يقول فيه : إِنْ مِنْ أُمَّنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبِهِ وَمَالِهِ أَبِي بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَا تَخَذْتُ أَبِي بَكْرٍ خَلِيلًا (٣) .
كيف غاب شيء من القرآن حتى عن أبي بكر ، فلم يعرفه إلا من المصحف المزعوم حين خرجت بالصدقة « فضائح القوم » ، في أول صفحة فتحها ؟

كيف ، وهؤلاء القوم هم أتباع النبي ، وجنوده ، وأحبابه ، يعايشهم ويعايشونه في مجتمع لم تكن امتلت أطرافه ؟
(ح) وهذه الرواية - إذ تُنسب إلى عمر أنه رفض قرآناً ، وزور ما دُعي قرآناً - ترمى عمر بالكفر الصريح ، وهو ما تنقضه سيرة عمر الذي كان صماعة القرآن سبب دخوله المفاجئ في الإسلام .

(١) كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى : بَيَّأُهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ . . إلخ . ح ٧٥٣١ .

(٢) سورة المائدة / ٦٧ .

(٣) انظر في هذا الحديث :

صحيح البخارى ، كتاب الصلاة ، باب الخَوْفَةِ والمَرَفِ المسجد . ح ٤٦٦ و ٤٦٧ وكتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة - ح ٣٩٠٤ .

وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ح ٢٢ ، وكتاب فضائل الصحابة ح ٢ - ٧ .

واين حجر المقلاني : فتح الباري ج ١ ص ٥٨ وج ٧ ص ٢٢٧ (ط . محب الدين الخطيب) .

والبيهقي الفراء : مصابيح السنة ج ٢ ص ١٩٤ .

(د) وتوقيت ظهور القرآن بالشكل المزعوم « إذا قام القائم من وُلد عليّ » قيل فيه الغلو في التشيع على أوضح نحو .

ولماذا لم يظهر القرآن على يد عليّ نفسه حين تولى الخلافة ؟
وهل كان ضرورياً أن يدع التروير قائماً ، ريثما يظهر في المستقبل المجهول حاكم من ولده ؟

وإذا لم يبادر عليّ - في خلافته - إلى تصحيح خطأ رآه هو نفسه في كتاب الإسلام ، فأى شيء كان أحق عنده بالمبادرة (١) ؟

ثم لماذا لم يقرئ عليّ أهل بيته بالشكل المزعوم ، وهو على ذلك - لو شاء - قدير ؟
(هـ) و « الفصائح » المزعومة ليست عند غلاة الشيعة - في ذلك الوقت - غير تقديم أبي بكر للخلافة من دون عليّ . وما ينبغى - من أجل اختلاف الموازين في السياسة - التهور إلى ادعاءات هائلة كتلك .

(و) عليّ أن هؤلاء - فيما يرى علماء المسلمين - قد خرجوا بما قالوا من الإسلام .
ويصفهم ابن حزم بأنهم « طوائف » :

أشدّهم غلواً : يقولون بإلهية عليّ بن أبي طالب ، وإلهية جماعة معه .
وأقلّهم غلواً : يقولون إن الشمس ردت على عليّ بن أبي طالب مرتين .
فقوم هذا أقل مراتبهم في الكذب ، أيسّبعُ منهم كذبٌ يأتيون به ؟ . . . إلى أن يقول : « وكل دعوى بلا برهان فليس يستدلُّ بها عاقل ، سواء كانت له ، أو عليه » (٢) .
(ز) وعندى أن نسبة هذه المزاعم إلى الشيعة - بعامّة - هو قول تنقصه الدقة ، فضلاً عن الصّحة . فهذه طائفة من علماء الشيعة يبرءون من هذه المزاعم ، ويشاركون إخوانهم أهل السنّة الاعتقاد بأن القرآن الذي بين أيدي المسلمين هو القرآن الذي أنزله الله على محمد ، لم يزد عن هذا شيئاً ، ولم ينقص شيئاً ، ولم يعتره أى تغيير .

١- قال الشريف المرتضى في : « جواب المسائل الطرابلسيات » ، فيها حكاه عنه صاحب « مجمع البيان » ، وهو شيعي هو الآخر :

« إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان ، والحوادث العظام ، والكتب المشهورة ، وأشعار العرب ، فإن العناية اشتدت ، والدواعي توفرت على نقله وحراسته ، وبلغت إلى

(١) انظر : على القارى : شرح العقيلة الورقة ٦ من المخطوطة ٢٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالذاهرة .

(٢) الفصل في المنل والنحل = ٢ ص ٧٨

حدُّ لم تبلغه فيما ذكرناه ، لأن القرآن معجزة النبوة ، ومأخذ العلوم الشرعية ، والأحكام الدينية . وعلماء المسلمين قد بلغوا - في حفظه وحمايته - الغاية ، حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه ، من إعرابه ، وقراءته ، وحروفه ، وآياته . فكيف يجوز أن يكون مغيباً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد ؟ . . .^(١)

وقال الشريف المرتضى : « إن العلم بتفصيل القرآن وأبعاضه ، في صحة نقله ، كالعلم بجملته ، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورةً من الكتب المصنفة ككتاب سيويه والمزني ، فإن أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمون من جملتها ، حتى لو أن مُدْخِلًا أدخل في كتاب سيويه باباً في النحو ليس من الكتاب لُغْرَفٌ وميِّزٌ ، وعُلم أنه ملحق ، وليس من أصل الكتاب ، وكذلك القول في كتاب المزني .
ومعلوم أن العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بكتاب سيويه ودواوين الشعراء »^(٢) .

* * *

٢ - وقال أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ)^(٣) .
« وأما الكلام - في زيادته ونقصانه - فمما لا يليق به أيضاً .
لأن الزيادة : فيه يجمع على بطلانها .
والنقصان فيه : فالظاهر أيضاً - من مذهب المسلمين - خلافه ، وهو الأليق الصحيح من مذهبنا . . إلخ » .

* * *

٣ - وقال أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي في مقدمة تفسيره : « مجمع البيان لعلوم القرآن »^(٤) .

« أما الزيادة في القرآن : فمجمع على بطلانها .
وأما النقصان : فروى جماعة من أصحابنا ، وقوم من حشوية العامة أن في القرآن نقصاناً . والصحيح - من مذهب أصحابنا - خلافه ، وهو الذي نصره المرتضى » .

(١) انظر الطبرسي : مجمع البيان لعلوم القرآن ج ١ ص ١٨ ط . دار اتقريب بين المذهب الإسلامية بالقاهرة .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ١٩ ، ومحسن الأمين : نقض نوشحة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الدين

فاطمة التركستاني ص ١٩٦ و ١٩٧ .

(٣) البيان في تفسير القرآن ج ١ ص ٣ .

(٤) ج ١ ص ١٨ وانظر : محسن الأمين : الكتاب السابق ص ١٩٨ .

٤ - وقال بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي :^(١)
 « الصحيح أن القرآن محفوظ عن ذلك (أى عن التحريف) زيادة كان أو نقصاناً ،
 ويدل على ذلك قوله تعالى : « وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »^(٢) .

* * *

٥ - ويقول محسن حكيم الطباطبائي^(٣) :
 « إن سلف المسلمين كافة ، وعلماء الإسلام عامة - منذ بدء الإسلام إلى يومنا هذا -
 يرون أن القرآن - في ترتيب سورة وآياته - هو كما بين أيدينا ، ولم يعتقد أحد من السلف
 في التحريف » .

* * *

٦ - ويقول أبو القاسم موسى خوجا^(٤) :
 « إن أى حديث - حول أى تحريف في القرآن - لا يعدو أن يكون خرافة . فإن القرآن
 الكريم لم يعتره قط أى تغيير من أى نوع » .

* * *

٧ - ويقول هادى الحسينى الميلانى^(٥) :
 « لم يطرأ على القرآن - بأى شكل - أى اختلاف في الترتيب ، أو أى حذف ،
 أو أية إضافة . وكل جدال - حول التحريف - هو زائف ، وصفر من الحقيقة .
 إن القرآن هو المعجزة الأبدية للنبي الكريم ، وقد أخذ الله - سبحانه - على نفسه
 « جَمَعَهُ وَقَرَّانَهُ » ، وقال : « وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »^(٦) ، وقال عنه : (لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ
 بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ)^(٧) .

(١) الكتاب السابق .

(٢) سورة الحجر من الآية ٩ .

(٣) S.V. Mir Ahmed Ali : A preface to The Translation of The Holy Quran. P. 95 A.

(٤) Ibid. P. 61 A.

(٥) Ibid. P. 63 A.

(٦) سورة الحجر ، ٩ .

(٧) سورة فصنت ، ٤٢٠ .

ويقول :

« القرآن الكريم مصون من التحريف ، لم تتطرق إليه يد الباطل بوجه من الوجوه ، وذلك معتقدنا » .

• • •

٨ - وقال محمد بن بابويه القمّي المعروف بالصّدوق :

« إن عقيدتنا - يقيناً - هي أن القرآن الذي أنزله الله على النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - هو ما بين دفتي المصحف ، وهو ما بين أيدي الناس ، ولا شيء غير هذا » .
ويقول أيضاً :

« فإذا عزا امرؤ إلينا نحن الشيعة - غير هذا فهو كاذب » .

٩

وقبل إن ترتيب السّور والآي اختلف ، في مصاحف الصحابة ، عما هو في مصحف عثمان ، على تفصيل أوضحته بعض الكتب^(٣) .
وكذلك اختلف عدد السور^(٤) .

والذي نراه - من أقوال الثقات ، ومن النقل المتواتر المجمع عليه ، ومن جلالته الأمر التي لا تسمح بتركه للاجتهاد الإنساني - أن ترتيب القرآن ونظمه هو - كما قال القاضي أبو بكر في « الانتصار » - : « ثابت على ما نظمه الله تعالى ، ورّبه عليه رسوله ، من آي السور ، لم يُقدّم من ذلك مؤخّر ، ولا أخّر منه مقدّم ، وأنّ الأمة ضبّطت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ترتيب آي كل سورة ، ومواضعها ، وعرفت مواقعها ، كما ضبّطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة »^(٥) .

Op. Cit. P. 4 A.

(١)

Ibid. P. 63 A.

(٢)

(٣) انظر مثلاً :

السيوطي : الإنفان ج ١ ص ٦٢ و ٦٤ و ٦٥ .

وبن التديم : الفهرست ص ٢٦ و ٢٧ .

(٤) انظر : السيوطي : الإنفان ج ١ ص ٦٥ .

(٥) نفس المرجع ص ٦١ .

ونرى - مثل ما رأى ابن الحصار - أن ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي :

كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا . وقد حصل اليقين ، من النقل المتواتر بهذا الترتيب ، من تلاوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف ^(١) .

والمسلمون - منذ الصدر الأول - يدركون أنّ ترتيب القرآن على وفق نزوله هو فوق الطاقة . قال محمد بن سيرين لعكرمة ، أيام الجمع الأول للقرآن : ألقوه (يريد القرآن) كما أنزل : الأول فالأول ، فأجاب عكرمة : لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يؤلقوه هذا التأليف ما استطاعوا ^(٢) !

نعم ، إنّ ثمة أقوالاً بأنّ بعض السور لم يُعلم ترتيبها في حياة النبي (ص) ، وأنه يمكن أن يكون قد قوّض الأمر - فيه - إلى الأمة بعده ، ولكن الترتيب العثماني - حتى على فرض صحة هذا - هو أهم الترتيبات ، وأكثرها ذبوعاً ، ولذلك راعى الجمعُ الصوتيُّ الأول ، وسيظل - إن شاء الله - يراعى ما يجب من التزام الترتيب العثماني للسور والآيات .

ونحن نرى - مع أغلب القرآنيين - أن القرآن كما أنه معجز بسبب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو معجز أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته ^(٣) .

وكذلك نلاحظ - مع الملاحظين - أنه « يقوم - بين جمل القرآن ، وآيه ، وسوره - تناسب بارع ، وارتباط محكم ، واتلاف بديع ينشئ إلى حدّ الإعجاز ، خصوصاً إذا لاحظنا نزوله منجّماً على السنين والشهور والأيام » ^(٤) .

• • •

وكان من الحوافر المباشرة لتسجيل مصحف عثمان ، على وفق ترتيبه - سوراً وآيات - أنّ أفراداً - قدماء ومحدثين - ربّوا سور القرآن ترتيباً خاصاً ، حسبما أشرنا قبلاً . ومن هؤلاء - في العصر الحديث - « نولدكه » الذي أخذ ترتيبه عن كتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي من رجال القرن الخامس ^(٥) .

(١) انظر : السيوطي - الإتيقان - ج ١ ص ٦٢ .

(٢) انظر : السيوطي : الإتيقان - ج ١ ص ٥٨ .

(٣) انظر : محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ص ٧٣ (الطبعة الثانية) .

(٤) انظر : الزنجاني : تاريخ القرآن ص ٧١ .

ومنهم بلاشير Blachere الفرنسى .

وقد طالب فعلاً أحد الناس - قبل مشروع المصحف المرتل بسنوات قليلة - بترتيب سور القرآن، على حسب نزولها ، من سورة العلق ، ثم الزمل ، ثم المدثر ، ثم الفاتحة ، وهكذا حتى يحتم بسورة النصر^(١) .

وتضمنت هذه المطالبة قولاً جريئاً خطيراً هو أن « ترتيب القرآن - فى وضعه الحالى - يبلبل الأفكار ، ويضيع الفائدة المطلوبة من نزول القرآن ، لأنه يخالف منهج التدرج التشريعى الذى روى فى النزول ، ويفسد نظام التسلسل الطبيعى للفكرة ، لأن القارئ إذا تنقل من سورة مكية إلى سورة مدنية . اصطدم صدمة عنيفة ، وانتقل - بدون تمهيد - إلى جو غريب عن الجو الذى كان فيه . . . الخ » .

وقد ردّ على هذه الدعوة بما فحواه :

(ا) أن ترتيب السور توقيفياً ، على ما يقرره جمهور العلماء . ولم يخالف سنى ولا شيعى فى التزام هذا الوضع الذى كان عليه المصحف من أول يوم .

(ب) وأن احترام قدسية الوضع المأثور يقضى بالمحافظة على النسق القائم الآن ، فى الآيات والسور جميعاً ، وأن فكرة ترتيب المصحف - على حسب النزول - كانت تقضى بتغيير الوضع ، فى السور والآيات جميعاً ، بل هى - فى الآيات - كانت أشد اقتضاء ، ومع ذلك فقد خولفت .

(ج) وأن تغيير الترتيب يفتح مجال الشبهة ، أمام العصور المقبلة ، فيقول قائل منهم : إنه لم يبق لنا ثقة بأن هذا الكتاب بقى ، فى كلّ العصور ، بعيداً عن كلّ تبديل ، لأنه ، فى عصر ما ، غيرت أوضاع السور فيه ، فلعله قد أصابته - قبل ذلك - تعديلات أخرى لم تصل إلينا أنبأؤها .

(د) وأن هذه الدعوة خارقة لإجماع المسلمين ، ويحرف بها الكلم عن مواضعه التى وضعه الله فيها ، ولن يكون من ورائها إلا إفساد النسق وتشويه جماله^(٢) .

• • •

(١) تقدم هذا ، يوصف راشد ، بوزارة العدل ، فى رسالة عنوانها : « رتبوا القرآن كما أنزله الله » . وقد كتب المرحوم الدكتور محمد عبد الله دار تقريراً عن هذه الرسالة رفعه إلى إدارة الأزهر .

ونظرنا هذا تقريري مجلة كور القرآن ع . أكتوبر ونوفمبر ١٩٥١ .

(٢) نظر التقرير المشار إليه أعلاه .

ولعلّ مما يؤيد هذا الردّ القويّ أن كاتباً في الشام^(١) وضع تفسيراً للقرآن^(٢) ، فرأى أن يجعل ترتيب التفسير وفق ترتيب نزول السّورة^(٣) ، واعتضد بفتويين :
 قالت (إحداهما) : « إن التفسير ليس بقرآن يُتلى حتى يُراعى فيه ترتيب الآيات والسور^(٤) » .

وقالت (الأخرى) : إن المنع من هذه الطريقة « يثبت فيها لو كان هذا الصنيع مسلوفاً من أجل أن يكون هذا الترتيب مصحفاً للتلاوة^(٥) » .
 ومع ذلك ، فقد اضطر الكاتب إلى مخالفة ترتيب النزول . يقول هو نفسه : « ولقد رأينا - مع ذلك - أن يخالف ترتيب هذا المصحف بعض الشيء ، فسور : العلق ، والقلم ، والمزمل ، والمدثر التي وردت فيه كالسور الأولى ، والثانية ، والثالثة ، والرابعة - بالتولى - ليست كذلك إلا بالنسبة لمطالعها فقط على أحسن تقدير . . الخ^(٦) » .
 على أن هاتين الفتويين تستحقان - في رأينا - أن يعاد النظر فيهما :

فتاسير القرآن تتضمن - في الأغلب الأعمّ - كلّ نصوص القرآن مستقلة عن الشروح ، وكلها تلتزم - في الأغلب الأعمّ أيضاً - ترتيب المصحف العثماني ، ومن هنا يقرأ كثير من الناس القرآن ، في هذه المصاحف المفسّرة . وإذن ، فالأساس الذي قامت عليه الفتويان منهدم ، ويتعين المنع من مخالفة الترتيب المجمع عليه والمتواتر .

وهنا نذكر أن بعض القراء (الصيّبة) لا يلتزمون أحياناً - في المحافل - بترتيب السور والآيات ، وذلك لأغراض ساذجة ، منها الاقتصار على آيات معينة يضبطون أنغامها على نحو يتملقون به أذواق العامة ، ومنها : تجنّب آيات الإنذار والتخويف ، كأنما يريدون تجنّيب المستمعين شيئاً يقرع أسماعهم وقلوبهم .

• • •

هذا ، ومما قيل - في توقيفية ترتيب السور في المصحف - : إن لهذا الترتيب أسباباً :
 (أحدها) : بحسب الحروف ، كما في الحواميم .

(١) هو : محمد عزة دروزه .

(٢) اسمه : التفسير الحديث .

(٣) انظر : التفسير المذكور - المقدمة ج ١ ص ٨ .

(٤) أبو اليسر عابدين - انظر المقدمة ج ١ ص ٩ .

(٥) عبد الفتاح أبو غده - انظر المقدمة ج ١ ص ٨ و ٩ .

(٦) نفس المقدمة ج ١ ص ١٦ .

و (ثانيهما) : موافقة أول السورة لآخر ما قبلها ، كآخر « الحمد » في المعنى ، وأول البقرة .
و (ثالثها) : للوزن في اللفظ ، كآخر « تبت » وأول « الإخلاص » .
و (رابعها) : مشابهة جملة السورة لجملة الأخرى ، مثل : « والضحي » و « ألم نشرح »
وقد كان من الوسائل المخائبة التي أراد بها أصحابها إلقاء ظلال من الشك على إلهية النص
القرآني الزعم بأن زيد بن ثابت وبعض الصحابة هم الذين رتبوا التنزيل :
يقول بروكلمان ، في حديثه عن جمع عثمان : « إن زيدا رتب - في هذا الجمع -
السور حسب طولها ، وابتدأ بأطولها ، بعد الفاتحة التي وضعها على رأس السور كلها ، وعلى
هذا المنوال ، جمع القرآن أيضاً أبي بن كعب ، والمقداد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ،
وأبو موسى الأشعري . . . » (١) .
ونظن أن فيما تقدم عن ترتيب سور القرآن وآياته ما يسقط ببساطة ادعاء بروكلمان .

• • •

وبعد ، فقد رأيت أن أبلغ ما يردّ به المسلمون على كل تلك الدعاوى وما يسجلون به
رفضهم لها ، وأخذهم بمصحف عثمان الذي أجمع عليه المسلمون ، وما يمنعون به أن يقع -
في وهم وأهم - أن هنالك ما يخالف النص الذي استقرّ عليه الأمر ، هو أن يكون الجمع
الصوتي الأول للقرآن - وهو جمع سيوجه الأجيال المسلمة إلى يوم الدين - مقصوداً به جمع
المصحف العثماني وحده ، دون ما عداه من المصاحف ، وأن يكون الجمع على الترتيب الذي
راعه هذا المصحف دون أي ترتيب آخر .
والله المستعان .

(١) المصدر : الترشيح : البرهان ج ١ ص ٢٦١ .

(٢) تاريخ لأدب العربي (ترجمة عبد الحليم النجار) ج ١ ص ١٤٠ .

الفصل الثاني

درء التحريف

١

يقرر القرآن أن اليهود نقضوا ميثاقهم ، فطردهم الله من رحمته « فِيمَا نَقَضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعْنَهُمْ ^(١) »

ومن وجوه هذا النقض :

كتبتهم صفة النبي محمد ^(٢) (صلى الله عليه وسلم) .

ونبذهم الكتاب ، وتضييعهم الحدود ، والفرائض ^(٣)

ويقرر القرآن أيضاً أن اليهود حرفوا ما أوحى به الله :

« مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ » ^(٤)

« يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ » ^(٥)

ويحتمل هذا التحريف - فيما يقرر المفسرون - تحريف الألفاظ بالتقديم ، والتأخير ، والحذف ، والزيادة ، والتقصان . ومصادق ذلك قول القرآن حكاية عنهم : « وَيَقُولُونَ هُوَ

مِن عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » ^(٦) .

كما يحتمل تحريف المعاني ، بسوء التأويل ، وحمل الألفاظ على غير ما وضعت له ، والتحليل لتبديل المعاني ، من جهة اشتباه الألفاظ واشتراكها ، وتشعب التأويلات فيها ،

(١) سورة المائدة / ١٣ .

(٢) انظر : المفخر الرازي : الضير الكبير ج ١١ ص ١٨٦ - ١٨٨ .

(٣) انظر : الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٥١ - ٥٤ .

(٤) سورة النساء / ٤٦ .

(٥) سورة المائدة / ١٣ .

(٦) سورة آل عمران / ٧٨ .

ومثال ذلك - كما يقول ابن عطية - قولهم : « وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا » (١) ، ونحو ذلك (٢) .
ويروى المفسرون أن التحريف وقع بالكتاب ، أى بألفاظه ومعانيه معاً ، والمعاني هي
تبع للألفاظ (٣)

وقد روى (٤) أَنَّ النَّبِيَّ (ص) - حين دخل المدينة - دعا اليهود إلى القرآن ، فكذبوه ،
فتزلت الآية : « أَقْتَطَمْعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ قَرِينٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا سَمِعُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » (٥) .

فهكذا - فيما يقرر القرآن - كان تحريف اليهود لكتبهم تحريفاً مبكراً عنيداً متعمداً
سبباً القصد ، حتى صار سبباً لذلك الاستفهام الذى توجهه الآية إلى المسلمين - على سبيل
الإنكار والاستبعاد - عن كيف يرجون من اليهود الإيمان والرشد .

والقرآن يقول : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ
تَضِلُّوا السَّبِيلَ » (٦) . ويقول المفسرون فى هذا إن اليهود كانت تعطى أحبارها بعض أموالها ،
على ما كانوا يضعونه لهم ، مما ينصرون به اليهودية . ويقال إن هؤلاء الأحبار كانوا يؤثرون
تكذيب النبي (ص) ، ليأخذوا الرشا على ذلك ، ولتحصل لهم الرياسة (٧) .

والمرئى : أن بعض اليهود كتبوا كتاباً بدّلوا فيه صفة النبي محمد (ص) ، وأخذت قريظة
ما كتبه ، فخطوه بالكتاب الذى عندهم ، ولم يكتفوا بهذا الكذب ، حتى عضدوه
بقولهم إنه فى التوراة هكذا . وذلك - كما يقول أبو حيان المفسر - « لِفِرطِ جراتهم على الله ،
ويأسهم من الآخرة » (٨) ، فجعلوا يلون ألستهم أى يفتلونها - أمام المسلمين - بقراءة هذا
التحريف ليحسبه المسلمون من الكتاب الصحيح « وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ

(١) سورة النساء / ٤٦ .

(٢) أبو حيان الأندلسى : البحر المحیط ج ٢ ص ٥٠٢ و ٥٠٣ ، وانظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير ج ١٠

ص ١١٨ .

(٣) انظر : الطبرسى : مجمع البيان فى تفسير القرآن ج ٢ ص ٥١ - ٥٤ .

ورشيد رضا : تفسير المنار ج ١ ص ٣٥٥ - ٣٦٦ .

وأبو حيان الأندلسى : المرجع السابق .

(٤) انظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير ج ٤ ص ١٤٨ .

(٥) سورة البقرة / ٧٥ .

(٦) سورة النساء / ٤٤ .

(٧) انظر : الطبرسى : مجمع البيان ج ٥ ص ١١٦ .

والفخر الرازى : التفسير الكبير ج ١٠ ص ١١٥ .

(٨) البحر المحیط ج ٢ ص ٥٠٣ .

لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ، وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ،
وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ .

وعن ابن عمر قال :

« أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - برجل وامرأة من اليهود قد زنيا .

فقال لليهود : ما تصنعون بهما ؟

قالوا : نسخّم وجوههما ونخزهما .

قال : فأتوا بالتوراة : فآتوها إن كنتم صادقين .

فجاءوا ، فقالوا لرجل ميمّن يرضون : يا أعور . . . اقرأ .

فقرأ ، حتى انتهى إلى موضع منها ، فوضع يده عليه .

قال : ارفع يدك .

فرفع يده ، فإذا فيه آية الرَّجْمِ تلوح .

فقال : يا محمد ، إن عليهما الرَّجْمُ ، ونكنا نكاته بيننا .

فأمر بهما ، فرجما ، فرأيته يخافُ عليها الحجارة (١٢) .

فهكذا تقول الروايات الإسلامية إن اليهود خضعوا للهوى خضوعاً أمالهم عن الحق ،

وزين لهم تحريف كتابهم .

◊ ◊ ◊

وفي القرآن : أن اليهود أخفوا كثيراً من كتابهم :

« قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْلُوهُ قَرَأْتِيسَ

تُبْدُوهُنَّا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا » (١٣) .

« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ » (١٤) .

يقول أبو حيان الأندلسي : « دلت هاتان الآيتان على أن الذي أخفوه من الكتاب كثير ،

ودل - بمفهوم الصفة - أن الذي أبدوه من الكتاب قليل » (١٥) .

(١) سورة آل عمران / ٧٨ .

(٢) انظر : صحيح البخارى - باب ما يجوز من تفسير التوراة وكتب الله

وانظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ١٣ ص ٤٤٣ و ٤٤٤ (ط . البيه) .

(٣) سورة الأنعام : ٩٠ .

(٤) سورة المائدة / ١٥ .

(٥) البحر المحيط ج ٢ ص ٥٠٣ .

وقد عُرِفَتْ فعلاً كتب يهودية أحصاها المؤرخون ، وأخفاها اليهود ، مثل : سفر يهوذا ، أو يهوديت ، وكتب الميكانيين ، وسفر يسوع ابن سيراخ (١) .

° ° °

وربما أيد وقوع التحريف - بالإضافة إلى النصوص السابقة - أن من اليهود فرقة الصّادوقيين Sadducees ، وهي لا تؤمن بأوليات ما جاءت به الأديان السماوية من أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وهي تنكر الملائكة ، وتنكر الروح ، وتنكر القضاء والقدر ، ولا تشهد أن الحساب حق ، والنعم حق ، والعذاب حق ، وترى أن العقاب والثواب كليهما يقعان في الحياة الدنيا (٢) .

° ° °

وما يلاحظ على التوراة الحاضرة أنها تعارض أشياء يراها المسلمون حقائق : فهي تعدُّ النبيين : داود ، وسليمان مجرد ملكيين ، وتعدُّ الأنبياء : إبراهيم ، وإسحق ، ويعقوب مجرد آباء قدامى Patriarchs (٣) ، بينما يعدّهم المسلمون أنبياء من يكفر بهم أو لم يقرهم خرج عن الإسلام .

ويبدو أن هذه التسمية أثرت في كتاب اليهودية والمسيحية ، فهم الآخرون يردّونها (٤) .

(١) انظر : علي عبد الواحد واى : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص ١٦ ، وانظر : ابن خلدون : المقدمة ج ٢ ص ٥٩٣ - ٥٩٥ ، وانظر تعقيبات المحقق .

(٢) نشأت هذه الطائفة اليهودية في القرن الثاني قبل ميلاد المسيح ، لتواجه طائفة الميكانيين ، وأخذت اسمها من صادق Zadok بوصفه سلف الطبقة الكهنوتية الرفيعة . وربما كانوا ممثلين الآن في طائفة القيراطين Karaites وانظر : The Encyclopedia Americana, Vol. 14. P. P. 99 & 100.

(٣) انظر : الكتاب المقدس : أعمال الرسل : الفصل ٤ ، الفقرات ١ و ٢ وما بعدها ، والفصل ٢٣ ، الفقرة ٨ ، والإنجيل متى : الفصل ١٦ الفقرات ١ و ٦ و ١١ .

وانظر : A. P. Stanley : History of Jewish Church. Vol. III P. 335.

(٤) هذه مثلاً كتب وقعت لنا : وفيها ، حتى في عنوانها ، يسمّى هؤلاء الأنبياء آباء قدامى . . . Patriarchs

a) Patriarchal Times or The Land of Canaan in seven books. Founded on the Holy Scriptures, by Miss O. keffe (London. 1820).

b) History of The Patriarchs. by A. Alex ander. (philadelphia. American Sunday School Union).

c) The Patriarchal Age, by Charles F. Pfeiffer. (Baker Book House. Grand Rapids. 6 Michigan 1961).

d) The Patriarchs of Israel. by Gohn Marshall Holt (Vanderbilt University Press. Nashville 1964).

والعبارات والألفاظ في أسفار العهد القديم تحمل - طبعاً - ما ينمُّ عن زمن كتابتها ، وهو زمن متأخر كثيراً عن عهد موسى الذي أنزلت عليه التوراة الحقيقية .
وقد أسلفنا - في فصل سابق - أن التوراة - عند أهل الكتاب أنفسهم - ليست شيئاً واحداً ، فنسخة اليهود غير نسخة السامرة ، غير نسخة النصارى .
يقول صاحب تفسير المنار^(١) ، في موضوعية واضحة :

« ومن المعلوم من التاريخ - بالقطع ، عندنا وعندهم : أن التوراة التي كتبها موسى عليه السلام ، ووضعها في التابوت (صندوق العهد) ، وأخذ الميثاق على بني إسرائيل بحفظها ، كما هو منصوص في آخر سفر (تثنية الاشتراع) قد فقدت من الوجود عندما أغار البابليون على اليهود ، وأحرقوا هيكل بيت المقدس .
والتوراة الموجودة الآن يرجع أصلها إلى ما كتبه عزرا الكاهن^(٢) بأمر أرتخشستا ملكه فارس الذي أذن لنبي إسرائيل بالعودة إلى أورشليم ، وأذن له أن يكتب لهم كتاباً من شريعة الرب وشريعة الملك ، ولذلك تكثر فيه الألفاظ البالية كثرة فاحشة » .

٢

وفوق هذا ، فالظن أنه ليس عسيراً على من يطالع التوراة الحاضرة من المسلمين أن يكتشف التبديل في الألفاظ والمعاني ، فقد تضمنت أشياء لا يمكن التصديق بأنها من عند الله :
(١) فالله - فيها - ليس مخالفاً للحوادث ، وهو كالبشر : يأكل ، ويصارع ، ويبكي ، وينتحب ، ويندم ، ويأتي أموراً شريرة ، وهو - أحياناً - يكذب ، ويعتس ، وفيه - أحياناً - ضعف ، وغرارة ، وجهل ، وصفات أخرى هي - عند المسلمين - مستحيلة في حقّه ، منافية لجلاله ، مناقضة لكماله .

١) The Story of Patriarchs and Prophets.

The Conflict of the Ages illustrated in Lives of Holy Men of Old. by Ellen G. White (Washington. 1959).

(١) انظر ج ١ ص ٢٠٩ (ط . ١٣٧٣ هـ) .

(٢) يصفه العهد القديم بأنه « كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطها الرب إله إسرائيل » (سفر عزرا - الإصحاح

السابع) .

(ب) وثمة قبائح مستبشرة نَسَبَتْها هذه التوراة إلى الأنبياء والرسل ، ولا يستطيع المؤمنون بالله ورسله التصديق بها :

١ - نَسَبَتْ - مثلاً - إلى أبي الأنبياء : إبراهيم - الكذب ، والمتاجرة بزوجه الجميلة : سارة ، مرّة في مصر ، وفي أرض جرار مرة أخرى ، نظير « غنم ، وبقر ، وحمير ، وعبيد وإماء ، وأُتُن ، وجمال » (١) .

٢ - ونسبت - مثلاً أيضاً - إلى لوط أنّ ابنتيه أسكرتاه ، فأتد وعيه ، فزنى بهما ، فجاءتا ، منه ، بولدين هما أصل شعبيّ : المؤابيين ، والعمونيين (٢) .

٣ - ونسبت - إلى النبي : داود - أنه زنى بامرأة متروجة أعجمية ، فحملت منه ، ولكي يخلو له وجهها ، هيأ الأسباب لقتل زوجها الشجاع الوفيّ الذي كان يحارب أعداء وطنه ، والذي أبت عليه همته ومروته أن يأوى إلى بيته ، بعد اغترابه في الجهاد ، ما دام له إخوان لا يزالون في الصحراء يحاربون (٣) .

٤ - بل إنها نسبت - إلى النبي : هرون - أنه استجاب لليهود المخارجين من مصر ، لئلا طلبوا إليه أن يصنع لهم آلهة تسير أمامهم ، فطلب إليهم تزعم ما لديهم من حُلِيّ ذهبيّة ، فصوّرها بالأزميل ، وصنعها عجلًا مسبوكةً اتخذها اليهود معبوداً من دون الله ، وبني له هرون مذبحاً (٤) .

وواضح أنّ مخازي كهذه - فيها أقصى الخسة - لا تقع غالباً من إنسان سويّ ، فضلاً عن أن تقع من رجال اصطفاهم الله لرسالاته ، ويؤأهم منصب النبوة ، وجعلهم أئمة يهدون بأمره .

• • •

(ح) والتوراة الحاضرة خالية من ذكر الآخرة ، والبعث ، والحشر ، والنشر ، والعذاب والنعم الأخرين ، والبشير بالرسول محمد (ص) . فأين هذا من التوراة التي يؤمن بها المسلمون ، والتي فيها - ينصّ القرآن - (هُدًى وَنُورٌ) . وكما يقول أبو حيان المفسّر : وأين هذا من قوله تعالى : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ »

(١) سفر التكوين : الإصحاح ١٢ و ٢٠ .

(٢) نفس السفر : الإصحاح ١٩ .

(٣) سفر صمويل الثاني : الإصحاح ١١ .

(٤) سفر الخروج : الإصحاح ٣٢ .

(٥) سورة المائدة / ٤٤ .

وَالْإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُمُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ » (١) ، وقوله تعالى ، وقد ذكر رسولُه وصحابته ، : « ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ » (٢) ؟

٣

واعتور - في رأى المسلمين - التحريفُ والتبديلُ أسفار الديانة المسيحية الحاضرة أيضاً :

(أ) فهي تقرّر شركاً لا يمكن - عند المسلمين - أن تقوله السماء : تقرر أن عيسى ابن مريم إله وابن إله .

وتذكر أن الإله مركّبٌ من ثلاثة أقانيم هي : الأب ، والابن ، وروح القدس .
وتقول بالحلول والاتحاد بين اللاهوت والناسوت .

وقد جنحت المجامع المسكونية إلى تقرير الحرمان - وهو عقوبة بالغة الشدة - لكل من يتمسك بما ورد في بعض الأسفار عن تزوّج الله عن أن تكون له صاحبة أو ولد أو شريك .

(ب) وهي تختلف في نسب المسيح ، وفي أخبار القبض عليه (٣) . هذا فضلاً عن الاختلاف في مسائل العقيدة والعبادات (٤) .

(ج) ومن نفس المسيحيين الممتازى الثقافة والمتخصصين في الدراسات الدينية المسيحية من يرون أن هذه الأسفار بشكلها الحاضر ، ليست مما نزل على عيسى ، وإنما هي من كتابة بعض حواريه وأتباعه ، كتبها بعد رفعه بسنين كثيرة :

تقول موسوعة الدين والأخلاق المطبوعة في أمريكا (٥) :

« كُتِبَ الْإِنْجِيلُ وَأَعْمَالُ الرَّسْلِ فِي الْعَشْرِ السَّنَاتِ الَّتِي بَيْنَ ٩٥ وَ ١٥٠ مِنَ الْمِيلَادِ تَقْرِيباً . وَلَسْنَا نَعْبُدُ كَثِيراً عَنِ الصَّوَابِ إِذَا قُلْنَا - عَامِدِينَ إِلَى رَقْمٍ يَبْدَأُ يَمِيناً بِالصَّفْرِ - إِنَّ هَذَا

(١) سورة الأعراف / ١٥٧ . (٢) سورة الفتح / ٢٩ . وانظر : البحار المحيطة ج ٢ ص ٥٠٢ و ٥٠٣ .

(٣) انظر مثلاً : إنجيل متى : الإصحاح ٢٦ .

(٤) انظر : الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٢٢ (ط . مصطفى محمد سنة ١٩٦١) .

التاريخ هو السّنة المائة من الميلاد (١) .

ثم ذكرت الموسوعة تاريخ كتابة كلّ إنجيل ، فقالت :

« إن إنجيل مرقس كُتب بين سنتي ٦٥ و ٧٠ ميلادية

وإنجيل لوقا (والأعمال) كُتب في سنة ١٠٠ ميلادية

وإنجيل متي كُتب فيما بين سنتي ٨٠ و ١٠٠ ميلادية ، وعلى أية حال قبل سنة ١١٠ .

وإنجيل يونس كتب بين سنتي ١٠٠ و ١١٠ بعد الميلاد .

والمدة التي تلتّ فيها الكاثوليك الأناجيل هي ما بين السنة المائة والسنة المائة والخمسين (٢)

وتذكر دائرة المعارف الفرنسية (٣) أن التحقيقات العلمية والتاريخية تؤيد أن هذه الأناجيل

كتبها أناس غير الحواريين والتلاميذ التابعين الذين تنسب إليهم

وهذه الأناجيل - بحكم تعدّد مصادرها - مختلفة اختلافاً كثيراً في المضمون والحجم

وهو اختلاف يعلمه - بالضرورة - النصارى علم اليقين .

(د) وحتى الأسفار التي يعترف بها المسيحيون الآن ، ظلّت عندهم هم أنفسهم ،

حوالي أربعة قرون ، موضع شكّ في صحة حقائقها ، وصحة نسبتها إلى أصحابها (٤) .

(هـ) ومن علماء المسيحيين أنفسهم أيضاً من ينسبون إلى الكتاب المقدس الحاضر

التحيزّ والبعد عن الإنصاف . ومن الأمثلة لذلك ما كتبه أستاذ اللاهوت الإنجيلي بمدرسة

هارفورد اللاهوتية (٥) - عند حديثه عن الصادوقيين Sadducees الذين أشرنا إليهم قبلا ،

فهو يقول إن كتاب العهد الجديد New Testament ربما كانوا - في كتابتهم عن هؤلاء - قد

تأثروا بطائفة الفاريسيين Pharisaic ، وقال إن جوزيفوس Josephus كان يبغى - بكتابته -

Vol. VI P. 337.

(١)

Ibid. P. 344.

(٢)

Soc. des Savants et des Gens des Lettres :

(٣)

Le Grand Encyclopedie - Inventaire Raisonné des Sciences, des Lettres, et des Arts.

6 ieme Vol. P. P. 586 591.

(٤) انظر : ابن كثير : فضائل القرآن ص ١٩

(٥) على عبد الواحد بال : لأسفار أندلسية ص ٩٤ و ٩٦ .

Edward Nourse, Professor of Biblical Theology, Hartford Theological Seminary.

(٦)

مرضاة القراء اليونان ، فقال إنهم كانوا أكثر استمساكاً بالعدل المستقيم القاطع من « الفاريسيك » ، وإنما غلطة أن يسوى بين الفريقين ، فالفاريسيك كانوا يريدون أن يواثموا بين دينهم وبين الأفكار والأفعال اليونانية ، ولو أهدروا - في سبيل ذلك - الشريعة نفسها (١) .

٤

وقد سلّم القرآن - كما رأينا - من كل شيء من هذا القبيل ، ولم تقطع أسانيده في أى وقت .

ولا ريب أن من مؤكدات الجزم بسلامته المطلقة ، وعدم الغفلة عنه بحال : أن المسلمين درسوا عنه - في كل أزمنتهم - كل شيء ؛ درسوا مثلاً : ما نزل منه صيفاً أو شتاء ، مقرأً أو حَصراً ، نهاراً أو ليلاً ، في الأرض أو في السماء ، قبل الهجرة أو بعدها . . الخ ، ففرصة العبث به مفقودة ، وطريق التحريف فيه مسدودة .

وربما كانت أسباب التحريف في الكتب الأخرى هي التي أوردتها المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز (٢) ، وهي :

١ - أن الله لم يتكفل بحفظها ، وإنما طلب إلى الربانيين والأخبار حفظها « إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً » (٣) .

٢ - وأن هذه الكتب جيء بها على التوقيت ، لا على التأيد .

٣ - وأن القرآن جيء به مصدقاً لما بين يديه من الكتب ، ومهيماً عليها ، فكان جامعاً

The Encyclopaedia Americana, Vol. 14, P. P. 99 & 100.

(١)

(٢) النبأ العظيم ص ٨ و ٩ .

(٣) سورة المائدة / ٤٤ .

وفي (تاريخ قضاة الأندلس للنسائي) : أن أبنا عمرو اندلسى حكى عن قاض اسمه : أبو اللثاب ، قال : كنت عند إسماعيل (يريد : إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدى أحد أئمة المالكية وأعلام القضاة) يوماً ، فقل : لم جاز التبديل على أهل التوراة ، ولم يجوز على أهل القرآن ؟

فقال : قال الله تعالى في أهل التوراة : « وَمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ » (المائدة / ٤٤) ، فوكل الحفظ إليهم ، وقال في القرآن : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » (الحجر / ٩) فلم يجوز التبديل عليهم .

فذكر ذلك الهاملي ، فقال : ما سمعتُ كلاماً أحسن من هذا .

وقد رُوي أن نصرانياً سأل محمد بن وضاح عن هذه المسألة ، فأجاب بمثل هذا الجواب (ص ٣٣) .

لما فيها من الحقائق الثابتة ، زائداً عليها بما شاء الله زيادته ، وكان ساداً مسدّها ، ولم يكن شئ منها ليسدّ مسدّه (١) .

غير أنّ أعداء القرآن ظلّوا على رغبتهم في محاولة دسّ التحريف فيه ، فكان لزاماً على المسلمين الحذر من هذه المحاولات ، ودرؤها ، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً . وفي رأبي أنّ جمع القرآن صوتياً - فوق جمعه كتابة - وسيلة أكيدة إلى القضاء تماماً على كل محاولة تحريفية .

٥

وكأنما جاء مشروعى هذا في أنسب مناسبة ، فبعد أن رجوت وزارة الأوقاف تمويله (٢) ، وبعد أن مضيت في تسجيل رواية حفص عن عاصم ، بأموال هذه الوزارة ، وقّع ما كانت خشيته ضمن بواعث المشروع ، ذلك أنّ إسرائيل - فيما ذكرت بعض المصادر العربية - جدّت - فعلاً - في محاولة تحريف القرآن ، وتوزيع النسخ المحرّفة في : المغرب ، وغانا ، وغينيا ، ومالى ، ودول أفريقية أخرى (٣) . وقد اكتشفت سفارتنا بالمغرب هذه المحاولة ، فأخطرت بها القاهرة ، وبعثت إليها ببعض النسخ المحرّفة (٤) .

وكان من الوسائل والمظاهر التحريفية التي اكتشفت :

١ - إحداث أكثر من ألف خطأ مطبعي ولفظي ، في مائة ألف نسخة من القرآن ،

(١) ها نذكر شيئاً يتصل بمشروع الجمع الصوqى الأول للقرآن الكريم ، فقد كان المرحوم الدكتور دراز يرى أنّ نسبة القرآن بهدين الاميين : « قرآن » ، و « كتاب » إشارة إلى أنّ من حقّه على الناس أن يُعنيا بحفظه في موضعين ، لا في موضع واحد ، يعنى أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً ، أن تضلّ إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى . وقد عيّنت على هذا مجلّة الأزهر (ع . يناير ١٩٦٣) منهُة بمشروعنا ، فقالت : « لعلّه لم يكن يدور بخلد فضيلته رحمه الله أنّ القرآن سيسجّل على أسطوانات وأشرطة ، فقد تيسر بذلك ثلث من أسباب حفظه إنجازاً لوعده الله ، إذ يقول : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر / ٩٧) » .

(٢) على عهد وزيرها السيد أحمد عبد الله طعيمة .

(٣) مجلّة آخر ساعة ١١ يناير ١٩٦١ .

(٤) نفس المرجع .

وزعت في البلاد الأفريقية والآسيوية (١).

٢- وحذف «لا» النافية، من بعض المواضع، ليكون المعنى عكس ما نوه به القرآن (٢).

٣- وحذف كلمتي: «ليست» في الآية: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ»، وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ» (٣).

٤- وحذف كلمة «غير» في الآية: «وَمَنْ يَشْعُرْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (٤).

٥- وإبدال هذه العبارة: «والله غفور رحيم» بعبارة «وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» في الآية: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»

٦- وإسقاط الآيتين الآتيتين، ومنع تدريسهما في مدارس العرب والمسلمين في فلسطين المحتلة:

«لَا يَهْجُرُهُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُجْرِحُوا مِنْ دِينِهِمْ أَنْ تَرَوْهُمْ تُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» إِنَّمَا يَهْجُرُهُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ قَتْلُكُمْ فِي الدِّينِ وَخُرُوجُكُمْ مِنْ دِينِهِمْ وَظَهْرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»
والقصد من هذا الحذف - فيما قيل وقتها - هو صرف الأنظار عن جرائم إسرائيل التي ارتكبتها في حق العرب بإخراجهم من ديارهم (٥).

(١) جريدة الأهرام ع ٢٨ ديسمبر ١٩٦٠.

(٢) انظر تصريح أحد المشولين في وزارة الأوقاف، في جريدة الأخبار ع ٢ ديسمبر ١٩٦٠.

(٣) سورة البقرة / ١١٣.

وانظر: سليمان حسن عبد الرهاب: تحريف اليهود للقرآن قديماً وحديثاً، مجلة منبر الإسلام ع - حمادى الآخرة ١٣٨٥ ص ٩٢ - ٩٥.

(٤) سورة آل عمران / ٨٥، وانظر نفس المقال.

(٥) سورة المائدة / ٣٨، وانظر نفس المقال.

(٦) سورة المنحة / ٨ و ٩.

(٧) جريدة الجمهورية ع ١١ يناير ١٩٦١.

واهتم المسلمون بهذا الحادث الخطير اهتماماً كبيراً :

(١) فبحث وزير الأوقاف مع شيخ الأزهر الإجراءات الواجب اتخاذها ضد هذا العدوان ، ومنها تشكيل لجنة مشتركة لمراجعة المصحف المحرف وإبراز أخطائه ، وتحذير المسلمين من تداوله (١)

(ب) وأرسل شيخ الأزهر إلى رئيس الجمهورية برفقة قال فيها :

« . . . إن إسرائيل التي قامت على البغي والطغيان والاعتداء على المقدّرات والمقدّسات ما زالت تعيش في هذا العبث ، وتحيا في إطار هذا الطغيان ، وإنها - بتحريفها القرآن الكريم - تريد القضاء على معتقداتنا وديننا ، وهي - بذلك - تمارس ما كان عليه آباؤهم من تحريف الكلم عن مواضعه ابتغاء كَيْتِ الدعوة الإسلامية وإعاقها .

وإن المسلمين في أنحاء الأرض يُهرعون إليكم - وكلّهم أمل في قوة إيمانكم ، وغيرتكم على دينكم - أن تعملوا على حفظ كتاب الله ، فتقفوا في وجه هذا العدوان الأثيم .
إن الأمة الإسلامية كلّها من ورائكم . . الخ » (٢)

(ج) وأمر مفتي الديار السودانية كلّ موظفي المحاكم الشرعية وأصحاب المكتبات العامة بضرورة مراجعة المصاحف - قبل تداولها - للتأكد من سلامتها من التحريف .

وأصدر شيخ العلماء في السودان بياناً أهاب فيه بالمسلمين أن يتنبهوا لهذا الخطر . وأن لا يقبلوا أيّ مصحف إلا إذا كان موافقاً عليه من الأزهر . أو إحدى الهيئات الدينية الرسمية في البلاد الإسلامية (٣)

(د) وأصدرت الحكومة الأردنية بياناً استنكرت فيه التحريف ، وذكرت ما تأدى إليها من أن إسرائيل عرضت على الدول الأفريقية التي ورّعت فيها المصاحف المحرّفة أن ترسل إليها مدرسين لتدريس اللغة العربية ، والنسخة المشوّهة من القرآن ، وطلبت الأردن إلى

(١) جريدة الأهرام ع ٢٩ ديسمبر ١٩٦٠ .

(٢) عدد الأهرام نفسه ، وعدد الجمهورية بنفس التاريخ

(٣) جريدة المساء ع ١٠ فبراير ١٩٦١ .

المسؤولين في البلاد العربية إحباط أعمال إسرائيل الشريرة^(١).

وكان طبعياً جداً أن يفيد المسلمون - في ردّ هذا العدوان ومنعه - من مشروعنا الذي كأنما جاء في ذلك الوقت على قَدَر :

١ - فانهقد ، في ٣ يناير ١٩٦١ ، مؤتمر إسلامي ، برئاسة وزير الأوقاف ، واستعرض جريمة التحريف ، ثم انتهى إلى « اعتبار المصحف المرتل وسيلة فعالة لمقاومة هذه الجريمة^(٢) »
٢ - تقرر توزيع أسطوانات المصحف المرتل في الدُول التي وَزَعَتْ إسرائيلُ فيها المصاحفَ المحرّفة^(٣).

٣ - وأيد جِلْفُ العرب في الهند مشروعنا ، واعتبره « حَدَثًا عالمياً لمكافحة تحريف إسرائيل للقرآن ، ونذر اللّغة العربية ، بين الشعوب الإسلامية غير النّاطقة بالعربية »^(٤).

٤ - وقيل عن دَوْر المصحف المرتل في درء التحريف : « وقد قَبِضَ اللهُ - لصدّ تلك الحملة الظالمة على كتاب الله - رجالَ الجمهورية العربية المتحدة ، إذ وفقهم الله لصنع قنبلة ذرية نسفت عمل اليهود من القواعد ، فأصبح هبّاء تذرّوه الرياح . . . »^(٥).

(١) جريدة الأخبار ع ٨ أبريل ١٩٦١ .

(٢) جريدة الجمهورية ع ٤ يناير ١٩٦١ .

(٣) جريدة الجمهورية ع ٢ يناير ١٩٦١ .

(٤) تلقى السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف وقتئذ رسالة بهذا (انظر ، جريدة الأهرام

ع ٣٠ أبريل ١٩٦٢)

(٥) سليمان حسن عبد الوهاب : المقال السابق

الفصل الثالث

التمكين للغة العربية والوحدة الإسلامية

١

يعرف المتابعون لأفكار الغربيين - من مروّجى المسيحية ودعاة الاستعمار - أنّ بعضهم يحقدون على الإسلام دين القرآن حقاً شديداً ، لعلّ مبعثه أنّ الإسلام ، لما انتشر في القرون الوسطى ، كان سداً - أمام النصرانية - عاقها ، وأنّه سلبها مناطق نفوذ كانت لها ^(١) . ويرى هؤلاء - في تعصّبهم لدينهم ، وحقدهم على المسلمين ، وفي خوفهم من قوة يرونها كامنة في الإسلام - أن المسلمين إذا انتظمتهم وحدة أمكن أن يصبحوا « لعنة على العالم وخطراً » أو « أن يصبحوا نعمة له ، أما إذا بقوا متفرقين ، فإنهم سيقون بلا وزن ولا تأثير » ^(٢) . ويرى هؤلاء - ورأيهم هذه المرة صائب تماماً - أن وحدة المسلمين مفسدة للأطماع الاستعمارية الغربية ، فهم يحذّرون منها ، ويحاولون تعويضها ^(٣) .

٢

وكان من وسائل أعداء الوحدة الإسلامية إلى توهينها : إيقاد نار الحرب على كلّ أسبابها وموجباتها . وهم - لا ريب - يعرفون أنّ القرآن هو أصل الأصول عند المسلمين في كلّ أمورهم الدينية والدنيوية ، وأنه - في وقت واحد - كتاب دين ، وكتاب حضارة ، وكتاب ثقافة ، وأنه - بهذا ، وبما هو أقدم مقدّساتهم - هو موضع كلّ التفتّاح ، وموضع كل

(١) انظر : Becker C. H : Islamstudien, P. 183.

ومصطفى الخالدي وعمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٣٦ .

(٢) نقلاً عن الخالدي وفروخ : المرجع السابق ص ٣٧ .

(٣) انظر - في هذا الشأن - تفاصيل الجهد التي بذلها الغرب ضد الإسلام في المرجع السابق .

التفافهم ، ومن ثم كان الظهور عليه - بطريقة ما - هو بيقين ، تقويضاً لأهم أسس هذه الوحدة .

وإذ كان القرآن عربياً اللسان ، ويقتضى أتباعه ، كى يدركوا جيداً معانيه ، يدركوا جيداً السُّة الشارحة له ، أن يعرفوا لغته .

وإذ أكدت التجارب المتكررة والمخلصة أن لا سبيل إلى ترجمة القرآن ترجمة يكون لها ما يماثل بَلَّة ما يدانى النصَّ العربى ، فى الدقَّة والفصاحة ؛

فقد رأى أعداء الوحدة الإسلامية خطر لغته أيضاً على مطامعهم العدوانية ، مهما حشد هذه المطامع بالدأب ، واللجاجة ، والحيلة .

• • •

والحق أن القرآن ولغته يصنعان وحدة وثيقة ممتدة : هى وحدة الفكر والعقل والمشاعر ، بين مئات الملايين من المسلمين ، لا فى نطاق محليٍّ أو قوميٍّ فحسب ، ولكن فى مختلف أرجاء الأرض .

والحق أيضاً أن القرآن ولغته بمكَّنان كلِّ منهما للآخر دائماً :

فالقرآن يهذب العربية أنظماً ، وأغراضاً ، وعباراتٍ ، وأفكاراً ، ويقوى سلطانه منطوقاً ومكتوباً : يقول بروكلمان : « بفضل القرآن ، بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أية لغة أخرى من لغات الدنيا . والمسلمون - جميعاً - يؤمنون بأن العربية هى وحدها اللسان الذى أُحِلَّ لهم أن يستعمواوه فى صلواتهم ، وبهذا اكتسبت العربية - منذ زمان طويل - مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى التى تنطق بها شعوب إسلامية » (١) .

وأما اللغة العربية فهى - كما وصفها الثعالبي - : « أداة العلم ، ومفتاح الصفة فى الدين ، وسبب صلاح المعاش ، ثم هى - لإحراز الفضائل ، والاحتواء على المروءة ، وسائر أنواع المناقب - كالينبوع للماء ، والرُّند للنار » (٢) . وهى - عند المسلمين - السبيل إلى « قوة اليقين فى معرفة إعجاز القرآن ، وزيادة البصيرة فى إثبات النبوة الذى هو عمدة الإيمان » (٣) .

(١) بروكلمان : موجز فى علم اللغات السامية (بالفرنسية) ص ٤١ و٤٢ ، نقلاً عن : عثمان أمين : فلسفة اللغة العربية ص ١٠٤ و١٠٥ .

(٢) قفه اللغة ص ٣ .

(٣) نفس المرجع .

وعلى ما في عبارات الثعالبي هذه من استعارات ، وتشبيهات ، وعاطفة دينية ، فإن معانيها - في ميزان الحق - لا تُخسر الموضوعية شيئاً .
والمسلمون يعتقدون أن اللغة العربية لسان الله يوم القيامة (١) . ولذلك كان تعلمها وتعليمها - عندهم - من الذبابة .

• • •

واللغة العربية - ككل اللغات - لها علاقتها الوشيحة بنفسية الأمة الناطقة بها ، ولها أثرها الواضح في تكوين شخصيتها ، ولها شأنها الجليل في اجتماعيات هذه الأمة ، فهي - على مدى الزمن - وعاء تاريخها ، وأبجدها ، وتقاليدها ، وشئائها ، وفضائلها ، وتراثها الفكري ، والشعوري ، والأخلاقي ، والاجتماعي . وهي المستودع الذي - عنده - يطلب أفراد الأمة الألفاظ والتعبير التي هي أداة التفكير .

• • •

واللغة العربية بالذات لها - من خصائصها وظروفها - ما جعل لها الغلبة على بعض زميلاتها السامية ، وعلى اللغات اليمنية القديمة ، في منطقة بلاد اليمن ، وأللهجات الآرامية ، في معظم بلاد العراق والشام ، والألسنة القبطية والبربرية والكوشيتيكية (٢) .
بل إنه واضح أن للعربية من الخصائص والظروف ما جعل أثرها يزحف - بعد الإسلام - مقدساً عميقاً إلى مجتمعات لم تكن تربطها بها وشيجة من قبل ، كالمجتمعات الآرية والطورانية التي منها مجتمعات الهنود والفرس والتürk .
ومع أن بعض هذه المجتمعات الكبيرة احتفظ أحياناً بلغته الأم ، فقد اتخذت اللغة العربية لساناً أول له ، وذلك على مدى قرون طويلة ، وبرضى تذكيره العاطفة الدينية .
واللغة العربية أيضاً - ككل اللغات - من أهم أركان الوحدة ، بالنسبة للناطقين بها .

(١) ابن أجروم ، مقدمة متن الأجرومية .

وفي صبح الأعشى للغفشدى ، في فضل اللغة العربية : أن صر من الخطاب قال : « تعلموا اللحن والفرائض ، فإنه من دينكم » . قال يزيد بن هرون : « اللحن هو اللغة » ، ولا يخاف أنها أمث اللغات ، وأوضحها بياناً ، وأذلقها لساناً ، وأمدّها رُواقاً ، وأعذبها مذاقاً ، ومن ثم اختارها الله تعالى لأشرف رسله ، وخاتم أنبيائه ، وخيرته من خلقه ، وصغوته من برئته ، وجعلها لغة أهل سمائه ، وسكان جهته ، وأنزل بها كتابه المبين (ج ١ ص ١٤٨) .

(٢) Couchitiques نسبة إلى Cuch أحد أولاد حام بن نوح .

(انظر : سفر التكوين - إصحاح ١٠ .

وانظر : علي عبد الواحد واقي : علم اللغة ص ١٥٧) .

وكما كانت وحدة اللسان - في الدويلات القديمة المتعددة الناطقة بالألمانية ، وفي البقاع الناطقة باللغة البولندية - أهم دوافع الانتظام في وحدات سياسية ، فإن مثل هذا الانتظام مكفول تماماً للبلاد الناطقة بالعربية ، والتي يوحد القرآن أيضاً طرق تفكيرها ، ويوحد - دينياً ودينيّاً - وسائلها وغاياتها .

• • •

أدرك أعداء الوحدة الإسلامية الصحيحة أن سبيل تحقيق بُغيتهم هو أن لا يجتمع العرب والمسلمون على ذلك الكتاب ، وذلك اللسان ، وأن تنشأ النابتة العربية المسلمة على غير اللغة العربية الفصيحة التي هي لغة القراءة والكتابة ، فينسلخوا تلقائياً من وحدتهم ، وتاريخهم ، وتراثهم . فرأوا - كما يعبر كتاب « التبشير والاستعمار » - أن « تقطيع أوصال العرب والمسلمين لا يمكن أن يتم ما دامت هنالك لغة واحدة يتكلمها العرب ، ويعبر بها العرب والمسلمون عن آرائهم ، وما دام هناك حرف عربي يربط حاضر المسلمين إلى تراثهم الماضي ، فإذا حمل المستعمرون والمبشرون العرب على الكتابة باللغة العامية أصبح لكل عربي لغة خاصة به ، أو لغات متعددة » (١) ، وواضح أن من شأن هذا أن تنفصم العرى بين العرب والمسلمين وتمزق العلائق فيما بينهم ، ويصبح كلّ شعب عربي أو مسلم بمعزل عن باقي الشعوب الزميلة . والذين يصرفون المسلمين عن لغة القرآن إلى اللهجات العامية المتغايرة ، حَسْبُهُمْ أن ينجحوا في هذا ، ولا عليهم أن يبق القرآن بلغته الفصيحة تقرأه - بفهم قليل أو كثير - قلة متخصصة ، ويقرأه - في مشقة وبغير فهم - باقي المسلمين ، كما هو الشأن في القبطية ، في كنائس الأرثوذكس ، أو اللاتينية ، في الكنائس الكاثوليكية .

وقد يناسب هنا أن نشير إلى أن كارل فولرس Karl Vollers المستشرق النمساوي الوارد ذكره قبلاً كان قد كتب دراسة عنونها : (القرآن بلهجة مكة الشعبية) (٢) . وكأنما يتوهم أن المسلمين يُخضعون التنزيل للهجاتهم العامية الخاصة ، حيث يكونون ، وحينما يريدون ، أو كأنما يريد - بطريق غير مباشرة - الترويج لفكرة هذا الإخضاع .

(١) ص ٢٢٥ .

(٢) انظر : نجيب المقي : المنشرون - ٢ ص ٦٣٣ .

ومضى الغرب - فعلا - في تنفيذ خطته ، ضدّ ترابط المسلمين :
فمثلا حارب الفرنسيون اللغة العربية ، في : بلاد أفريقية الغربية ، وفي موريتانيا ،
وهي بلاد إسلامية عربية اللغة أصلا .

ولا تزال آثار هذه الحرب واضحة تعاني منها القومية العربية هناك .
ومثل هذه الحرب صَلِيَتْ حرَّها بلاد الشام حيناً .

ومثلها أيضاً ما فعلته إنجلترا - في مصر - طوال عهد الاحتلال ، حين كانت الإنجليزية
لغة المدارس ، حتى في المرحلة الابتدائية ، كما كانت لغة الدواوين . ولولا أن الأزهر كان
يرعى جانباً تعليمياً آخر هو الجانب الإسلامي العربي ، ومن ثم لم تكن فيه لغة الاحتلال هي
لغة التعليم ، لولا ذلك ، لعانت مصر مثل ما عانت زميلاتها من سياسة فرنسا (١) .

وقد فَصَلَتْ إنجلترا ما بين شمال السودان وجنوبه . ومنعت العرب والمسلمين - هناك -
من الصلاة ، ومن التخاطب بالعربية أمام الجنوبيين .

* * *

وخطر هذه الحرب شديد غاية الشدة : فهي توهن الأمة ، وتضع خطرهما ، وتفكك
أواصرها . يقول عباس محمود العقاد - في منطق صائب - : « الحملة على لغتنا - نحن -
حملة على كلِّ شيء يعيننا ، وعلى كلِّ تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينية ، وعلى اللسان
والفكر والضمير ، في ضربة واحدة ، لأن زوال اللغة في أكثر الأمم - يبقها - بجميع
مقوماتها - غير أفاظها ، ولكن زوال اللغة العربية لا يبقى للعربي أو المسلم قواماً يميزه عن
سائر الأقوام ، ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم ، فلا تبقى له باقية من بيان ، ولا عرف
ولا معرفة ، ولا إيمان (٢) . »

ومن المؤسف أن بعض العرب المسلمين المقيمين في غير بلاد الإسلام لا يفتنون إلى هذا
الخطر المحدق بشخصيتهم وتاريخهم ، والممزق لوحدهم ، والذي سياعد - وشيكا - بينهم
وبين ماضيهم الزاخر المشرف ، فيؤثرون الأسهل ، ويعلمون أبناءهم لغتهم العامية الخاصة ،

(١) انظر بعض تفاصيل هذه الحرب في : محمود محمد شاكر : أنطيل وأحصار ص ١٦٤ .

(٢) أشنات مجتمعات في اللغة والأدب ص ١٢٧ .

ويعلمونها الأجانب الداخلين في الإسلام . والخير لو كانت اللغة العربية الفصيحة التي نزل بها القرآن هي لغة هذا التعليم ، ومحلّ هذا الجهد .

٤

كانت هذه الأمور ومثلها ملء خاطري حين كنت أستجمع الأغراض التي يمكن أن يحققها الجمع الصوتي الأول للقرآن .

وكنت محيطاً بحقيقة تسترّجب الاهتمام هي : أن بعض المسلمين ، هنا وهناك ، - في إيمانهم بالقرآن ، وحبهم إياه ، وسهواتهم به - يعوزهم حسن الأداء في قراءته ، وأنهم يتلهفون على وسيلة ميسورة يتعلمونه عن طريقها ، ويتلونه على نَسَقِها ، تلاوة صحيحة يقرب عليها الفرد العادي . وكنت محيطاً بأن الحاجة إلى هذه الوسيلة - هي بالنسبة للمسلمين من غير الناطقين بالضاد - أمّس ، وكنت أذكر - في تأثر - ما هو مشهور من تطّلع مسلمي القارة الهندية إلى حدق العربية وإحياء تراثها ، وأذكر كيف تقدم المجلس النيابي ، في باكستان ، باقتراح اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية هناك .

وقدّرت - منذ فجر المشروع - أن انتشار القرآن - بفضل الوسيلة الصوتية - سيكون أوسع وأيسر ، وطلابه سيكونون أكثر ، وأن هذه الوسيلة ستصرف الناس عمّا لا يتفق مع أساليب العربية الفصيحة ، وسيصرف عن هذه اللغة نفسها كثيراً مما يرتكبه أعداؤها من جنابيات التعويق والتوهين .

• • •

وكنت أرى هذا الجمع - بخصائصه الجديدة - أعظم وسيلة إلى مطمح غال يحتدم به صدرى دائماً ، هو أن تصبح اللغة العربية في الصّف الأول من اللغات العالمية القليلة . ولعل هذا المطمح أن لا يكون مسرفاً أو مجافياً - بأى شكل - لطبيعة هذه اللغة ، فهي لغة هذا الكتاب الذي تدين به ملايين البشر^(١) ، وفيها تحلّى مسلمون كثير عن ألسنتهم الأصلية ، وإلى تعلّمها تمتدّ - عن طواعية لا يشوبها أى قهر - رغبات ملايين من المسلمين غير العرب . وربما كان من معضدات هذا الرأى ، أن معهد اللغات الشرقية ، في موسكو ، طلب إلى الجمهورية العربية المتحدة موافاته بنسخة من المصحف المرتل ، وقالت أستاذة اللغة العربية

(١) في تقديرنا أن عدد المسلمين الآن يربو على ٨٠٠ مليون نفس .

هناك : « إن المصحف المرتل سيساعدها على تدريس النطق العربي الصحيح لطلبة المعهد ، على أساس أن القرآن أقوى مرجع في اللغة العربية » (١) ومن قبل هذا ، حين كنت أخطو بالمشروع خطواته الأولى ، كتبت « الأهرام » تقول : « إن هذا المشروع يفيد بعض الدول الإسلامية التي لا تتكلم العربية مثل أندونيسيا وغيرها ، فيتعود أهلها النطق الصحيح للقرآن ، بعد سماع هذه التريلات » (٢) .

وكذلك قرر إبراهيم إينام الزعيم والداعية الإسلامي بغرب أفريقية : أنه استمع هو ، وبعض أتباعه ، إلى تسجيلات المصحف المرتل ، عشرات المرات فأفادهم ذلك حفظاً جيداً للقرآن ، واستقامة في لهجتهم العربية (٣) .

« »

وأملت - منذ قديم - أن يكون مشروعى سبباً خطيراً في زيادة توثق العلاقات بين المسلمين ، في مشارق الأرض ومغاربها ، وتوكيد العروبة على النحو الذي ننشده جميعاً وتدعو إليه .

ونصت على هذا - صراحةً - يوم تقدمتُ بمشروعى ، إلى الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم ، ثم في يوم تال ، حين عقدت مؤتمراً صحفياً ، لتبشير الرأي العام الإسلامي بهذا المشروع ، ودعوة رجال الفكر والرأى إلى موافاتى بتوجيهاتهم وملاحظاتهم ، حتى تتحقق لفكرة الجمع الصوتى الأول للقرآن ما هي كفاؤه من تنفيذ دقيق سليم (٤) .
وبالله التوفيق .

(١) انظر : الأهرام ع ٦ أغسطس ١٩٦٢ بعنوان ، مسكوتظب أسطوانات المصحف المقروء .

(٢) ع ١٦ مايو ١٩٥٩ .

(٣) نقل إلى هذا الأستاذ عبد الرحمن العدوى الأمين العام لجامعة الأزهر .

(٤) أهدى المصحف المرتل - برواية حفص - إلى جميع سفارات الجمهورية العربية المتحدة في الخارج ،

وأهدى إلى جميع الحكومات الإسلامية ، والمبشرات العلمية الكبرى ، في كل بلاد العالم ، وإلى بعض الإذاعات .

انظر مثلاً : جريدة الأهرام :

ع ٢٥ يوليو ١٩٦١ ، بعنوان : إهداء المصحف المرتل للحكومات الإسلامية والإذاعات .

وع ٥ أكتوبر ١٩٦١ ، بعنوان : أسطوانات القرآن في مكتبة الكونغرس .

وع ٩ مارس ١٩٦٢ ، بعنوان : إهداء المصحف المرتل إلى جميع سفارتنا بالخارج .

وع ٢٨ مارس ١٩٦٢ ، بعنوان : إهداء السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف للمصحف

المرتل إلى كل من إذاعتى نيجيريا وبنك كستان .

وع ٢٢ أبريل ١٩٦٢ ، بخصوص إهداء السيد حسين الشافعى مجموعة المصحف المرتل إلى الحاج بوح بلما وزير

الدولة نيجيريا ، والسيد سالم عيسى والى مستشار الخارجية لنيجيريا .

- = وع ١٢ مايو ١٩٦٢ ، بخصوص إهداء السيد حسين الشافعي مجموعات المصحف المرتل إلى وفد الحجاج الروسي لوضعها في مساجد الاتحاد السوفيتي .
- وع ١٨ يونية ١٩٦٢ ، بعنوان : الرئيس يهدى المصحف المرتل إلى رؤساء دول الدار البيضاء ، وفي هذا الخبر ، أن الملك الحسن أبدى رغبته في الاستماع إلى المصحف المرتل .
- وع ٦ أغسطس ١٩٦٢ ، بعنوان : موسكو تطلب أسطوانات المصحف المقروء .
- وع ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، بعنوان : المصحف المرتل : إهداؤه إلى الجزائر . وتضمن الخبر أيضاً إهداء مجموعات من المصحف المرتل إلى السيد تكو عبد الرحمن رئيس وزراء الملايو ، وإلى رئيس مجلس النواب ، وكبير الأمناء ، ووزير الداخلية هناك .
- وع ٣ أكتوبر ١٩٦٣ ، بخصوص بركة من أحد أعضاء المجلس البلدي بنابلس ، يرجو فيها تزويده بالمصحف المرتل . وانظر في : مجلة آخر ساعة ع ١٣ نوفمبر ١٩٦٣ خبراً بعنوان : مصحف مرتل هدية للإذاعة الإيطالية .
- والأهرام ع ١٣ يناير ١٩٦٤ ، بخصوص إرسال ٤٢ مجموعة من المصحف المرتل إلى اليمن ، والجزائر ، ونيجيريا الشمالية ، والسنتال ، وغرب أفريقية ، وإمارة عمان ، واتحاد ماليزيا ، والفلبين ، ولبنان .
- وقد زارك رسمياً ، في فبراير ١٩٦٤ ، مندوبون من المؤسسة المصرية العامة للتجارة عدة مرات ، يرجون وزارة الأوقاف الموافقة على إدماج مجموعات المصحف المرتل في قوائم الصادرات المصرية إلى الهند ، وذكروا أن هذه أمنية غاية للشعب المسلم هناك . غير أن الدولة هنا لم تسترح إلى فكرة اعتبار المصحف سلعة تخضع لما تخضع له عروض التجارة ، وآثرت - وهي محقة في هذا - أن يظل المصحف المرتل هديتها الدائمة إلى العالم .
- وقال وزير الأوقاف (الأستاذ الدكتور محمد البهي) في هذا الشأن لمنذوبي الصحف إنه حريص على أن يكون المصحف المرتل هدية تحمل رسالة القرآن إلى العالم الإسلامي من مركز القيادة التاريخية في القاهرة . وقال : « إن المصحف ليس سلعة تجارية ، ولكنه دعوة يجمع الناس على لسان عربي مبين » (انظر : الجمهورية ع ٥ مارس ١٩٦٤ بعنوان : المصحف المرتل رسالة وليس سلعة) .